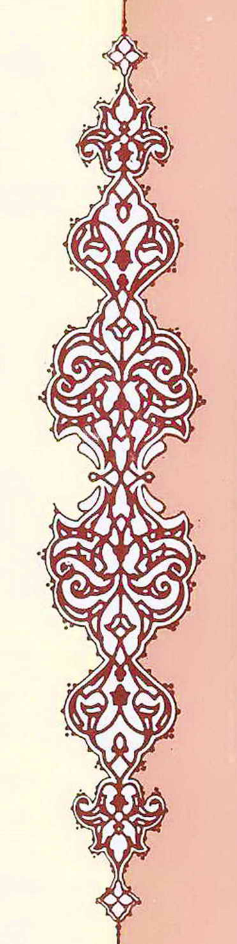
الشيعة هم أهل السنة



الدكتور محمد التيجاني السماوي

دكتوراه فلسفة من جامعة السوربون - باريس


الشيعة هم أهل السنة


بسم الله الرحمن الرحیم

الدكتور محمد التيجاني السماوي
دكتوراه فلسفة من جامعة السوربون - باريس



مؤسسة الفجر
لندن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، الرحمان الرحيم، قاهر الجبّارين والمتكبّرين ناصر المظلومين والمستضعفين، المتفضّل على عباده أجمعين من المؤمنين والكافرين والمشركين والملحدين، المنعم على خلقه كلّهم بالهداية والرعاية والتكريم، فقال جلّ وعلا: ﴿ولقد كرّمنا بني آدم وحملناهم في البرّ والبحر ورزقناهم من الطيّبات وفضّلناهم على كثير ممّن خلقنا تفضيلاً﴾ (الإسراء: ٧٠).

والحمد لله الذي أسْجَدَ لنا ملائكته المقرّبين ومن أبى أصبح من الملاعين، الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنّا لنهتدي لولا أن هدانا الله، والحمد لله الذي عبّد لنا الطريق ومهّد لنا السّبيل لنصل بعنايته وتحت ظلّ عبادته إلى مراتب الكمال العليّة، وأنار لنا الظّلام وأوضح لنا الحقيقة بالحجج القويّة والبراهين الجليّة، وأرسل لنا رُسُلاً منّا تتلو علينا آياته وتخرجنا من الظلمات إلى النّور وتنقذنا من الضلالة العميّة وجعل لنا العقل إماماً قائماً نهتدي به كلّما شكّت حواسّنا في أمر مُبهم أو قضيّة.

والصّلاة والسّلام، والبركات والتحيّات على المبعوث رحمة للإنسانيّة، سيّدنا ومولانا وقائدنا محمّد بن عبد الله خاتم الرّسل وسيّد البشريّة، صاحب الفضيلة والوسيلة والدرجة الرفيعة، صاحب المقام المحمود واليوم الموعود والشفاعة المقبولة والخلق العظيم وعلى آل بيته الطيّبين الطّاهرين الذين أعلى الله مقامهم

وجعلهم أمان الأمّة من الهلكة ومنقذي الملّة من الضّلالة ونجاة المؤمنين من الغرق، المتمسّك بحبل ولائهم مؤمن طيّب الولادة، والنّاكب عن صراطهم منافقٌ رديء الولادة محبّهم ينتظر الرّحمة ومبغضهم ليس له إلاّ النّقمة، لا يصلُ العبدُ إلى ربّه إلاّ من طريقهم ولا يدخلُ إلاّ من بابهم.

ثمّ الرّضوانُ على شيعتهم ومحبّيهم من الصّحابة الأوّلين الذين بايعوهم على نصرة الدّين، وثبتوا معهم على العهد وكانوا من الشّاكرين، وعلى من تبعهم بإحسان إلى يوم الدّين.

اللّهمّ إنّا نرغب إليك في دولة كريمة تعزّ بها الإسلام وأهله، وتذلُّ بها النّفاق وأهله، وتجعلنا فيها من الدّعاة إلى طاعتك، والقادة إلى سبيلك، وترزقنا بها كرامة الدّنيا والآخرة، برحمتك يا أرحم الرّاحمين.

ربّ اشرح لي صدري، ويسِّر لي أمري، واحلل عقدةً من لساني يفقهوا قولي، واجعل كلّ مَنْ يقرأ كتابي يميل إلى الحق بإذنك، ويترك التعصّب بمنّك وإحسانك، فإنّك أنتَ الوحيد القادرُ على ذلك ولا يقدر عليه سواك.

فبعزّتك وجلالك وبقدرتك وكمالك، وبمحبّتك لعبادك افتح بصائر المؤمنين الموحّدين الذين آمنوا برسالة حبيبك محمّد على الحقّ الذي لا شكّ فيه، حتّى يهتدوا إليه بفضلك ويعرفوا قيمة الأئمة من آل بيت نبيّك، ويتوحّدوا لإعلاء كلمة الدّين بالحكمة البالغة والموعظة الحسنة والأخوّة الصّادقة، فلقد عمّ الفساد في البرّ والبحر.

ولولا الصّبر الذي خلقته وألهمتنا إيّاهُ، لدَبَّ اليأسُ إلى قلوبنا ولأصبحنا من الخاسرين، لأنّه لا ييأسُ من رَوح الله إلاّ القوم الكافرون. فاجعلنا اللّهمّ من الصّابرين ولا تجعلنا من اليائسين.

اللّهمّ، كن لوليّك الحجّة ابن الحسن، صلواتك عليه وعلى آبائه في هذه

السّاعة وفي كلّ ساعة، وليّاً وحافظاً وقائداً وناصراً، ودليلاً وعيناً، حتّى تُسكنَه أرضكَ طوعاً وتمتّعه فيها طويلاً، واجعلنا من أنصاره وأعوانه والمستشهدين بين يديه في طاعتك وسبيلك، إنّك أنتَ السّميع العليم.

ربّنا لا تزغ قُلوبنا بعد إذ هديتنا، وهب لنا من لَدُنْكَ رحمةً إنّك أنتَ الوهّابُ.

ربّنا إنّك جامعُ النّاس ليوم لا ريبَ فيه، إنّ الله لا يخلفُ الميعاد.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين، اللّهم صلّ على محمّد وآله الطيّبين الطّاهرين.

المقدمة

الحمد لله ربّ العالمين والصّلاة والسّلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيّدنا ومولانا محمّد وعلى آله الطيّبين الطّاهرين، وبعد.

لقول الرّسول (ص): «مِدادُ العلماء أفضلُ عند الله من دماء الشّهداء».

كان لزاماً على كلّ عالم أو كاتب أن يكتبَ للنّاس مَا يراهُ صالحاً لهدايتهم وإصلاح ذات بينهم وجمع كلمتهم وإخراجهم من الظلمات إلى النّور، لأنّ الإنسان إذا ما استُشهد في سبيل الله وهي دعوة الحقّ من أجل إقامة العدل، فقد لا يتأثّر به إلاّ الذي حضره، ولكنّ العالم الذي يُعلّم الناس ويكتب قد يتأثّر بعلمه كثير من القرّاء من أبناء جيله ويبقى كتابه مناراً للأجيال اللاّحقة جيلاً بعد جيل إلى أن يرث الله الأرض ومَنْ عليها، فكل شيء تنقصه النّفقة إلاّ العلم فإنّه يزكو بالإنفاق.

وقد قال رسول الله (ص): «لَئِن يهدي الله بك رجلاً واحداً خيرٌ لك ممّا طلعت عليه الشمس، أو خيرٌ لك من الدنيا وما فيها». فكم من كاتب تُوفّي منذ قرون عديدة وأصبحت عظامه رميماً ولكنّ أفكاره وعلومه بقيت من خلال كتابه الذي قد يُطبَعُ مئات المرّات عبر الأجيال فيستلهم النّاسُ منه الهداية والتوفيق.

وإذا كان الشهيد حيّاً عند ربّه يرزق فكذلك العالم الذي كان سبباً في هداية النّاس فهو حيٌّ عند ربّه وعند العباد يذكرونه بأحسن ذكر ويدعون له ويستغفرون.

أمّا أنا فلستُ من العلماء ولا أدّعي ذلك لنفسي وأعوذ بالله من الأنانيّة ، بل أنا من خـدّام العلماء والباحثين في فضـلاتهم واللاّحسين من بقـاياهـم والمتّبعين خُطاهم كما يتبع الخادمُ سيّدَهُ .

ولمّا ألهمني الله لكتـابة «ثمّ اهتـديتُ» ولقيتُ تشجيعـاً من عـديدمن القـرّاء والباحثين ، ثمّ أردفتُـه بالكتاب الثـاني «لأكون مع الصادقين» والـذي لقيَ هو الآخر قبـولاً حسناً ، ممّـا شجّعني على مواصلـة البحث والتنقيب فكتبتُ الجزء الثـالث «فـاسألوا أهل الـذكـر» دفـاعـاً عن الإسلام وعن نبي الإسـلام لإزالـة الشُّبهات التي أُلصِقت بحضرته المقدّسة وكشف المؤامرة التي دُبّرت ضدّه وضدّ أهل بيته الأطهار .

وتلقّيتُ رسائل كثيرةمن كلّ أنحاء العـالم العربي والإسلامي تحملُ في طيّاتها عبارات الـودّ والولاء والمحبّة والإخـاء ، كما دُعيتُ لحضور العـديد من المؤتمرات الفكـريـة في أنحـاء العالم والتـي تُقيمها المؤسّسـات الإسـلاميـة ، فحضرتها في الولايـات المتّحدة الأمـريكية وفي الجمهوريـة الإسلامية وفي بـريطانيـا وفي الهند والباكستان وفي كينيا وغرب إفريقيا والسويد .

وكلّما التقيت مجموعة من الشّباب المثقّف ومن رجـال الفكر وجدتُ لديهم إعجـاباً وتعطّشـاً لمزيد من المعـرفـة فيسألون هل مـن مزيـد وهل هناك كتـابٌ جديد؟

فحمـدتُ الله وشكـرته على هـذا التّـوفيق وطلبت منـه مـزيداً من العنـايـة والهدايـة ، واستعنت بـه على هـذا الكتــاب الـذي أضعـه بين يـدي المسلمين الباحثين ، والذي يدور في فلك الكتب الثلاثة السابقة عسى أن ينتفع به بعض المثقّفين والباحثين عن الحق ليعلموا أنّ الفرقة المستهدفة والتي تسمّى بـ «الشيعة الإمامية» هي الفـرقة النّاجيـة ، وأنّهم ـ أي الشّيعـة ـ هم أهـل السنّة الحقيقيّة ، وأقصد بـالسنّة الحقيقيّة السنّة المحمّـدية التي صدع بها نبيّ الإسـلام بوحيٍ من ربّ العالمين .

فهـو لا ينطقُ عن الهوى إن هو إلاّ وحيٌ يـوحى ، وسأبيّن للقرّاء الكـرام بأنّ

الاصطلاح الذي اتّفق عليه مناوِئو الشيعة وخصومهم وتسمّوا بـ «أهل السنّة والجماعة» ما هي في الحقيقة إلاّ سنّة مزعومة سمّوها هم وآباؤهم، ما أنزل الله بها من سلطان والنّبي محمّد (ص) منها بريءٌ.

فكم كُذبَ على رسول الله (ص)، وكم مُنِعَتْ أحاديثُه وأقواله وأفعاله أن تصل إلى المسلمين بحجّة الخوف من اختلاطها بكلام الله وهي حجّة واهية كبيتِ العنكبوت، وكم من أحاديث صحيحة أصبحت في سلّة المهملات ولا يقامُ لها وزن ولا يُعبأ بها، وكم من أوهام وخُزعبلات أصبحت من بعده أحكاماً تنسبُ إليه(ص).

وكم من شخصيّات وضيعة يشهد التّاريخ بخسّتها وحقارتها، أصبحتْ بعده سادة وقادة تقود الأمّة ويُلتمس لأخطائها الأعذار والتأويلات.

وكم من شخصيّات رفيعة يشهد التّاريخُ بسُمُوِّها وشرف منبتها، أصبحتْ بعدَه مهملةً لا يُعبأُ بها ولا يُلتفتُ إليها، بل تُكفَّرُ وتُلعنُ من أجل مواقفها النّبيلة، وكم من أسماء برّاقة جذّابة تُخفي وراءها الكفر والضّلال، وكم من قبور تُزار وأصحابها من أهل النّار.

وقد عبّر ربّ العزّة والجلالة عن كل ذلك بأحسن تعبير فقال: **﴿ومن النّاس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويُشهدُ الله على ما في قلبه وهو ألدّ الخصام *وإذا تولّى سعى في الأرض ليُفسد فيها ويهلك الحرثَ والنّسلَ والله لا يُحبّ الفساد* وإذا قيل له إتّقِ الله أخذته العزّة بالإثم، فحسبه جهنّم ولبئس المهاد﴾** (البقرة: 207ـ206).

ولعلي لستُ مبالغاً إذا عملتُ بالحكمة القائلة: «لو عكستَ لأصبتَ» وعلى الباحث المحقّق أن لا يأخذ الأشياء على ما هي عليه بأنّها من المُسلّمات، بل عليه أن يعْكسها ويشكّك فيها في أغلب الأحيان ليصل إلى الحقيقة المطموسة التي لعبتْ فيها السياسة كلّ أدوارها، وعليه أن لا يغتَرَّ بالمظاهر ولا بكثرة العدد فقد قال تعالى في كتابه العزيز: **﴿وإن تُطع أكثر مَنْ في الأرض يضلّوك عن سبيل الله إن يتّبعون إلاّ الظنّ وإن هم إلاّ يخرصون﴾** (الأنعام: 116).

فقد يَلبِسُ الباطلُ لباسَ الحقّ للتمويه والتضليل وقد ينجحُ في أغلب الأحيان لبساطة عقول النّاس أو لحسن ظنّهم به وقد ينتصرُ الباطلُ أحياناً لوجود أنصارٍ مؤيّدين لَهُ فما على الحقّ إلاّ الصّبر وانتظار وعد الله بأنْ يزهق الباطل إنّ الباطل كان زهوقاً.

وأكبر مثلٍ على ذلك ما حكاه القرآن الكريم في قصّة يعقوب وأولاده، إذ **﴿جاؤوا أباهم عشاء يبكون * قالوا يا أبانا إنّا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذّئبُ وما أنتَ بمؤمن لنا ولو كنّا صادقين﴾** (يوسف: 16 ـ 17).

وكان من المفروض لو كانوا من أهل الصّدق أن يقولوا: «وما أنتَ بمؤمن لنا لأنّا كاذبون».

فما كان من سيّدنا يعقوب وهو نبيُّ الله يُوحَى إليه إلاّ أن استسلم إلى باطلهم واستعان بالله على الصّبر الجميل رغم علمه بأنّهم كاذبون، قال: **﴿بل سوّلتْ لكم أنفسكم أمراً فصبرٌ جميل والله المستعانُ على ما تصفون﴾** (يوسف: 18).

وماذا عساه أنْ يفعل أكثر من ذلك، وهو يواجه أحَدَ عشر رجلاً اتّفقوا كلّهم على كلمة واحدة ومثّلوا مسرحية القميص والدّم وكلّهم يبكون على أخيهم المفقود.

فهل يكشف يعقوب كذبهم ويدحض باطلهم ويُسارع إلى الجبّ ليخرج ابنه الصّغير الحبيب لقلبه، ثمّ يُعاقبهم على فعلتهم الشّنيعة؟

كلاَّ، إنَّ ذلك فعل الجاهلين الذين لا يهتدون بحكمة الله أمّا يعقوب فهو نبيّ يتصرّف تصرُّف الحكماء العلماء وقد قال الله في شأنه: **﴿وإنّه لذو علم لما علّمناه ولكنّ أكثر الناس لا يعلمون﴾** (يوسف: 68) فما كان من علمه وحكمته إلاّ أن تولّى عنهم وقال: **﴿يا أسفي على يوسف وابيضت عيناهُ من الحزن فهو كظيم﴾** (يوسف: 84).

ولو تصرّف يعقوبُ مع أبنائه كما قدّمنا بأن أخرج ابنه من الجبّ وعنّفهم على كذبهم وعاقبهم على جريمتهم لاشتدّ بُغضهم لأخيهم ولوصل بهم الأمر إلى

اغتيال أبيهم وربّما عبروا عن ذلك بقولهم لأبيهم : **﴿تالله تفتأ تذكر يوسف حتّى تكون حرضاً أو تكون من الهالكين﴾** (يوسف : 85).

ومن كلّ هـذا نستنتجُ بأنّ السّكوت في بعض الأوقـات مستحبٌّ إذا كان في معارضة البـاطل مفسدة أو هلاك أو كان في السّكوت عن الحقّ مصلحـة عامّة ولو آجلة.

ولا بدّ أن يُفهم من الحديث النبوي الشريف القائل : «السّاكتُ عن الحقّ شيطانٌ أخرس» هذا المدلول الذي يتّفق مع العقل ومع كتاب الله المجيد.

ولو تتبّعنا حياة الرّسول (ص) لوجدناه يسكتُ في كثير من الأوقات لمصلحة الإسلام والمسلمين حسبما يُروى في الصحاح من السّيرة النّبوية كصلح الحديبيّة وغيرها.

ورحم الله أمير المؤمنين عليّاً الذي سكتَ بعد وفـاة ابن عمّه بأبي هو وأمّي، وقال في ذلك قولته المشهورة : «وطفقتُ أرتأي بين أن أصول بيد جذّاء أو أصبر على طخيـة عمياء يهرم فيهـا الكبير ويشيب فيها الصغير ويكـدح فيها مـؤمن حتّى يلقى ربّـه، فرأيتُ أنّ الصّبر على هاتين أحجـى فصبرتُ وفي العين قذى وفي الحلق شجاً . . .».

ولـو لم يسكت أبـو الحسن عن حقّـه في الخلافـة، وقـدّم في ذلك مصلحـة الإسلام والمسلمين، لما كـان للإسـلام بعد محمّـد (ص) أنْ يعيش أبـداً على ما رسمه الله ورسوله.

وهذه هي الحقيقة التي يجهلها أكثر الناس الذين يحتجّون علينا دائماً بصحّة خلافة أبي بكر وعمر لأنّ عليّاً سكتَ عنهما، ويضيفون كما يحلو لهم : «لو كان الرسـول (ص) عيَّن عليّاً للخلافـة بعده لما جاز لـه أن يسكتَ عنها، لأنها من حقّه والسّاكت عن الحقّ شيطان أخرس. هذا ما يقولونه ويردّدونه.

وهذا لعمري هو الفهم الخاطىء الـذي لا يعرفُ من الحق إلاّ الذي يتماشى مع ميوله وهواه، ولا يُدركُ الحكمة التي تتمخّضُ عن ذلك السّكوت والمصالح

الآجلة التي لا تُقدّر بقيمة إذا ما قيستْ بالمصلحة العاجلة نتيجة الثورة على الباطل الذي له أنصارٌ ومؤيّدون كثيرون .

وإذا كان سكوت رسول الله (ص) يوم الحديبية على الحقّ وقبوله بشروط قريش وباطل المشركين، حتّى ثارتْ ثورة عمر بن الخطاب فقال للرسول : أولستَ نبي الله حقّاً؟! أولسنا على الحقّ وهم على الباطل؟ فلماذا نعطي الدنيّة في ديننا؟ .

أقول : إذا كان سكوتُه (ص) سلبياً بنظر عمر بن الخطاب وأغلب الصّحابة الذين حضروه، فإنّ الواقع يثبتُ بلا شكّ أنه إيجابيّ لمصلحة الإسلام والمسلمين وإن لم تكن تلك المصلحة عاجلة فقد ظهرت نتائجه الإيجابية بعد عامٍ واحدٍ عندما فتح رسول الله (ص) مكّة المكرّمة بدون حرب ولا مقاومة ودخلَ النّاسُ في دين الله أفواجاً عند ذلك استدعى رسول الله (ص) عمر بن الخطاب وأطلعه على نتائج سكوته عن الحق والحكمة من وراء ذلك .

ونحن إذ نقدِّمُ هذه الاستدلالات للتعبير عن الواقع الذي لا مفرّ منه ألا وهو انتصار الباطل على الحقّ إذا وُجِدَ لَه أنصارٌ ومؤيّدون، فبالرغم من أنّ عليّاً مع الحقّ والحقّ معه يدور حيث دار إلاّ أنّه لم يجد له أنصاراً ومؤيِّدين لمقاومة معاوية وباطله ولأنّ هذا الأخير وجدَ أنصاراً كثيرين لمقاومة الحقّ ودحضه، فالنّاس عبيد الدنيا والدّين لعقٌ على ألسنتهم فهم لا يحبّون الحقّ ويميلون مع الباطل فالحقّ مرٌّ وصعبٌ والباطل سهل ميسور.

وصدق الله العظيم إذ يقول : ﴿بل جاءهم بالحقِّ وأكثرهم للحقِّ كارهون﴾ (المؤمنون: 70) .

وانتصر باطل يزيد على حقّ الحسين لنفس الأسباب كما انتصر باطل الحكّام الأمويين والعبّاسيين على حقّ الأئمّة من أهل البيت الذين استشهدوا كلّهم ساكتين لمصلحة الإسلام والمسلمين .

كما غاب الإمام الثاني عشر واختفى خوفاً من الباطل وسكت حتّى يجد لنصرةِ الحقّ أعواناً ومؤيِّدين، عند ذلك يأذن اللهُ له بالخروج لتكون ثورة الحقّ

ضدّ الباطل عالمية، فيملأها عدلاً وقسطاً كما مُلِئَتْ ظُلماً وجوراً وبتعبير آخر يملأها حقّاً بعدما مُلِئَتْ بالباطل.

وبما أنّ أكثر الناس للحق كارهون فهم أنصار الباطل ويبقى في الناس عدد قليل محبّ للحقّ فلا ينتصرون على أهل الباطل إلاّ بإعانة الله لهم عن طريق المعجزات، وذلك ما سجّله كتاب الله الكريم في كل المعارك والحروب التي جمعتْ أهل الحقّ ضدّ أهل الباطل ﴿**كم من فئة قليلة غلبتْ فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصّابرين**﴾ (البقرة: 249).

فالذين يصبرون على الحقّ رغم قلّة أعوانه ينصرهم الله سبحانه بالمعجزات فيبعث الملائكة المسوّمين يُقاتلون معهم، ولولا تدخّل الله مباشرة لما انتصر الحقّ على الباطل أبداً.

وها نحنُ نعيش اليوم هذه الحقيقة المؤلمة، والمؤمنون الصّادقون أنصار الحقّ مغلوبون على أمرهم ومقهورون مشرّدون ومنكوبون، بينما أنصار الباطل الذين يكفرون بالله يحكمون ويلعبون بمصير الشعوب وبأرواحهم ولا يمكن للمؤمنين المستضعفين أن ينتصروا في معركتهم ضدّ الكافرين المستكبرين إلاّ بإعانة الله تعالى، ولذلك وردتْ الروايات بأنّ المعجزات ستظهر بظهور المهدي (ع).

وليستْ هذه دعوةً للركود والانتظار، كيف يصحّ ذلك وقد قدّمتُ آنفاً بأنّه لا يظهر إلاّ بوجود الأنصار والأعوان، ويكفي المؤمنين الصّادقين أن يحملوا فكر الإسلام الصحيح المتمثّل في ولاية أهل البيت ـ أعني بذلك التمسُّك بالثّقلين كتاب الله وعترة النّبي ـ ليكونوا من أنصار وأعوان المهدي المنتظر (عليه وعلى آبائه أفضل الصّلاة وأزكى السّلام).

أقول قولي هذا وأستغفر الله إن كنتُ مُخطئاً على رأي الأكثرية من ا لنّاس، ومُصيباً على رأي الأقليّة منهم، فلا أُبالي بلوم الأكثرية ولا أُباهي بمدح الأقلية مادمت أبتغي رضا الله ورسوله ورضا الأئمّة من أهل البيت (ع).

أمّا رضا النّاس فهو غاية لا تُدرك، لأنّ النّاس لا يرضون إلاّ عمّا يعجبهم ولا

يميلـون إلاّ مع أهوائهـم، وأهـواؤهـم شتّى ﴿ولـو اتّبع الحقّ أهواءهم لفسـدت السّماوات والأرض ومن فيهن. . .﴾ (المؤمنون: 71).

وإذا كان أغلب النّاس معرضين عن الحق حتّى وصل بهم الأمر إلى قتل رُسُل الله معـاندة للحقّ الـذي لا يتماشى مع أهـوائهم قال تعـالى: ﴿أفكلّما جاءكم رسـولٌ بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففـريقـاً كـذّبتم وفـريقـاً تقتلـون﴾ (البقرة: 87).

فـلا غضـاضـة عليّ إنْ أُهنتُ أو لُعنتُ على لســان البعض منهم الـذين لم يتحمّلوا الحقّ الذي صدعتُ به في كُتُبي السّـابقة وقد أعيتهم الحيلة في الردّ عليَّ بالحجّة والدّليل العلمي فلجأوا للسبّ والشتم كما هي عادة الجاهلين.

فلا ولن أخضع للمساومات ولا للترهيب والترغيب وسأكون المدافع بلساني وقلمي عن رسول الله وأهل بيته (صلوات الله عليهم أجمعين)، عسى أن أحظى لـديهم بالقبـول فأكون من الفـائزين. وما تـوفيقي إلاّ بالله عليـه توكّلتُ وإليـه أُنيب.

محمد التيجاني السماوي التونسي

التّعريف بالشّيعة

إذا أردنا الكلام عن الشيعة[1] بدون تعصّب ولا تكلّف، قلنا: هي الطائفة الإسلامية التي تُوالي وتقلّد الأئمّة الاثني عشر من أهل بيت المصطفى علياً وبنيه، وترجع إليهم في كل المسائل الفقهيّة من العبادات والمعاملات، ولا يفضلون عليهم أحداً سوى جدّهم صاحب الرسالة محمّداً رسول الله(ص).

هذا هو التعريف الحقيقي للشيعة بكلّ اختصار، ودعك من أقوال المرجفين والمتعصبين من أنّ الشّيعة هم أعداء الإسلام، أو أنّهم يعتقدون بنبوّة علي وأنّه صاحب الرسالة أو أنّهم ينتمون إلى عبدالله بن سبأ اليهودي.

وقد قرأت كتُباً ومقالاتٍ عديدة يُحاول أصحابها بكلّ جهودهم تكفير الشّيعة وإخراجهم من الملّة الإسلامية.

ولكن أقوالهم كلّها محض افتراء وكذبٌ صريح لم يأتوا عليه بحجّة ولا بدليل سوى أنّهم يُعيدون ما قاله أسلافهم من أعداء أهل البيت، والنّواصب الذين تسلّطوا على الأمّة وحكموها بالقوّة والقهر، وتتبّعوا عترة النّبي ومن تشيّع لهم فقتلوهم وشرّدوهم ونبزوهم بكلّ الألقاب.

ومن هذه الألقاب التي تتردّد كثيراً في كتب أعداء الشّيعة لقب الرّافضة، أو الرّوافض. فيخيّل للقارىء لأوّل وهلة أنّ هؤلاء رفضوا قواعد الإسلام ولم يعملوا بها، أو أنّهم رفضوا رسالة النّبي محمّد (ص) ولم يقبلوا بها.

(1) ونقصد بالشيعة هنا، (الإمامية الاثني عشرية) والمسمّاة أيضاً بالجعفرية نسبة للإمام جعفر الصادق، ولا يتعلّق بحثنا بالفرق الأخرى كالإسماعيلية والزيدية ولا يهمّنا من أمر هؤلاء مادمنا نعتقد بأنّهم كسائر الفرق الأخرى التي لم تتمسّك بحديث الثقلين، ولا ينفع اعتقادهم بإمامة علي بعد رسول الله مباشرة.

ولكنَّ الواقع غير هـذا، إنّما لُقِّبوا بالرّوافض لأنّ الحكّـام الأوّلين من بني أميّة وبني العبّاس ومن يتزلّف إليهـم من علماء السّوء أرادوا تشويههم بهذا اللّقب، لأنّ الشيعـة والوا عليّـاً ورفضوا خـلافة أبي بكـر وعمر وعثمان أوّلاً، كما رفضـوا خلافة كلّ الحكّام من بني أميّة وبني العبّاس ولم يقبلوا بها ثانياً.

ولعلّ هؤلاء كانوا يُموِّهون على الأمّة بإعانة بعض الوضّاعين من الصحابة بأنّ خلافتهم شرعيّة لأنها بأمر الله سبحانه، فكانوا يُروِّجون بأنّ قوله تعالى: ﴿ **يا أيّها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم** ﴾(النساء: 59)تخصهم ونـازلة في حقّهم، فهـم أولو الأمـر الـواجبة طـاعتهم على كلّ المسلمين، وقـد استأجروا من يـروي لهم كذباً عن رسول الله (ص) قول: «ليـس أحدٌ خرج من السّلطان شبراً فمات عليـه إلاّ مات ميتـةً جاهليـة» فليس من حقّ أي مسلم أن يخرج عن طاعة السلطان.

وبهذا نفهمُ بأنّ الشّيعة إنّما استُهدفوا من قبل الحكّام لأنّهم رفضوا بيعتهم ولم يقبلوا بها واعتبروها اغتصـاباً لحقِّ أهل البيت، فكان الحكّـام وعلى مرّ العصور يُوهمونَ العامّـة بأنّ الشّيعة رافضون للإسـلام بل يريدون هدمـه والقضاء عليه، كما عبّر عن ذلك بعض الكتّـاب والمؤرّخين ممّن يـدّعي العِلم من السّـابقين واللاّحقين.

وإذا رجعنا إلى لعبة تلبيس الحقّ بالباطل فسندرك بأنّ هناك فرقاً بينَ مَنْ يُريد هدم الإسـلام وبين مَنْ يُـريد هدم الحكـومة الجائرة الفـاسقة التي تعمـل ضد الإسلام.

فالشّيعـة لم يخرجوا على الإسلام، إنّما خـرجوا على الحكّـام الجائرين وهدفهم إرجاع الحقّ إلى أهلـه لإقامـة قواعد الإسـلام بالحاكم العـادل. وعلى كلّ حال فـالـذي عـرفنـاه خـلال البحـوث السّـابقـة من كتـاب «ثمّ اهتـديت» و «مع الصادقين» و «أهل الذّكر» أنّ الشّيعة هم الفـرقة النّاجية لأنهم تمسّكوا بالثّقلين كتاب الله وعترة الرسول (ص).

وإذا أنصفنـا المنصفين، فإنّ البعض من علماء «أهل السنّـة» يعترف بهذه الحقيقة، فقد قال ابن منظور في كتابه «لسان العرب» في تعريف الشّيعة:

«والشّيعة هم قومٌ يهوون هوى عترة النّبي ويوالونهم» كما يقول الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور بعد استعراض هذا المقطع من الكتاب المذكور:

«وإذا كان الشّيعة هم الذين يهوون هوى عترة النّبي ويوالونهم فَمَنْ من المسلمين يرفض أن يكون شيعيّاً؟!».

هذا وقد ولّى عصر التعصّب والعداوة الوراثية، وأقبل عهد النّور والحريّة الفكرية، فعلى الشباب المثقّف أن يفتح عينيه، وعليه أن يقرأ كتب الشّيعة ويتّصل بهم ويتكلّم مع علمائهم كي يعرف الحقّ من بابه، فكم خُدِعْنا بالكلام المعسول وبالأراجيف التي لا تثبتُ أمام الحجّة والدليل.

والعالم اليوم في متناول الجميع، والشّيعة موجودون في كلّ بقاع الدنيا من هذه الأرض، وليس من الحقّ أن يسأل الباحث عن الشّيعة أعداء الشّيعة وخصومهم الذين يخالفونهم في العقيدة، وماذا ينتظر السائل من هؤلاء أن يقولوا في خصومهم منذ بداية التاريخ؟

فليست الشيعة فرقة سرّيّة لا تُطلع على عقائدها إلاّ مَنْ ينتمي إليها، بل كتبها وعقائدها منشورة في العالم، ومدارسُها وحوزاتها العلمية مفتوحة لكلّ طلاّب العِلم، وعلماؤهم يُقيمون النّدوات والمحاضرات والمناظرات والمؤتمرات، ويُنادون إلى كلمة سواء وإلى توحيد الأمة الإسلامية.

وأنا على يقين بأنّ المنصفين من الأمّة الإسلامية إذا ما بحثوا في الموضوع بجدّ سوف يستبصرون إلى الحقّ الذي ليس بعده إلاّ الضّلال لأنّ مانعهم من الوصول هو فقط وسائل الدعاية المغرضة والإشاعة الكاذبة من أعداء الشيعة أو تصرّفٌ خاطىء من بعض عوام الشيعة[1].

ويكفي في أغلب الأحيان أنْ تُزاح شُبهة واحدة أو تنمحي خرافة باطلة حتى ترى مَن كان عدوّاً للشّيعة يصبحُ منهم.

---

(1) ستعرف في آخر هذا الكتاب بأنّ أعمال بعض العوام من الشّيعة ينفر الشباب المثقّف من أهل السنّة ولا يشجّعهم على مواصلة البحث للوصول إلى الحقيقة.

ويحضرني في هذا الصدد قصة الشّامي الـذي ضلّلته وسائل الإعلام في ذلك العهد، عندما دخل المدينة المُنوّرة لـزيارة قبر الرسول الأعظم (ص) وجد رجلاً يركب فرسه عليه هيبة ووقار وحولـه كوكبة من أصحابه يحوطونه من كل جانب وهم طوع إشارته.

إستغـرب الشّامي وتعجّب أن يكـون في الدّنيـا رجلٌ له من الهالـة والتعظيم أكثر من معـاوية في الشّام فسأل عن الرجل، فقيل لـه: إنّه الحسن بن علي بن أبي طالب، قال: هذا هو ابن أبي تراب الخارجي؟ ثمّ أولغ سبّاً وشتماً في الحسن وأبيه وأهل بيته.

وشهر أصحاب الحسن سيوفهم كلّ يـريد قتله، ومنعهم الإمام الحسن ونزل عن جواده فرحّب به ولاطفه قائلاً له:

يبدو أنّك غريب عن هـذه الدّيار يا أخا العرب؟ قـال الشّامي: نعم أنا من الشّام من شيعة أمير المؤمنين وسيد المسلمين معاويـة بن أبي سفيان، فرحّب به الإمام من جديد وقال له: أنت من ضيوفي وامتنع الشّامي ولكنّ الحسن لم يتركه حتّى قَبِلَ النزول عنده وبقي الإمـام يخدمه بنفسه طيلة أيام الضيافـة ويلاطفه، فلمّا كان اليوم الرّابع بدا على الشّامي النّـدم والتّوبة ممّا صدر منه تجاه الحسن بن علي وكيف يسبّه ويشتمه فيقابله بالإحسان والعفو وحُسن الضيافة، فطلب من الحسن ورجاه أن يُسامحه على ما صدر منه وكان بينهما الحوار التّالي بمحضر من أصحاب الحسن:

الحسن: أقرأتَ القرآن يا أخا العرب؟

الشّامي: أنا أحفظ القرآن كلّه.

الحسن: هل تعـرف مَـنْ همْ أهل البيت الـذين أذهب الله عنهـم الـرّجس وطهّرهم؟

الشّامي: إنّهم معاوية وآل أبي سفيان.

إستغرب الحاضرون وتعجّبوا وابتسم له الحسن قائلاً: أنا الحسن بن علي وأبي

هو ابن عمّ رسول الله وأخوه، وأمّي فاطمة الزهراء سيِّدة نساء العالمين، وجدّي رسـول الله سيّد الأنبيـاء والمرسلين وعمّي حمزة سيّـد الشهـداء وجعفر الطيّـار، ونحن أهل البيت الـذي طهّرنا الله سبحـانه وافترض مـودّتنا على كلّ المسلمين ونحن الذين صلّى الله وملائكته علينا وأمر المسلمين بالصلاة علينا، وأنا وأخي الحسين سيِّدا شباب أهل الجنّة.

وعـدّد لـه الإمـام الحسن بعض فضـائل أهل البيت وعـرّفـه حقيقـة الأمـر فـاستبصر الشّـامي وبكى وأخذ يقبِّل أنـامل الحسن ويلثم وجهـه معتـذراً عمّا صدر منه في حقّه قائلاً:

والله الذي لا إله إلاّ هـو إنّي دخلتُ المدينة وليس لي على وجه الأرض أبغض منكم، وها أنا أخرج منها وليس على وجه الأرض أحبّ إليَّ منكم، وإنّي أتقرّب إلى الله سبحانه بحبِّكم ومودّتكم وموالاتكم والبراءة من أعدائكم.

التفتَ الإمام الحسن إلى أصحابه قائلاً:

لقد أردتـم قتله وهـو بريء لأنّـه لو عـرف الحقّ ما كـان ليعانـده وإنّ أكثر المسلمين في الشّام مثله لو عرفوا الحقّ لاتّبعوه.

ثـمّ قرأ قول الله تعالى: ﴿**ولا تستوي الحسنة ولا السيّئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنّه وليٌّ حميم**﴾ (فصلت: 34).

نعم هـذا هو الـواقع الذي يجهلـه أكثـر النّاس مع الأسف فكم من إنسـان يُعادي الحقّ ويُعانـده ردحاً من عمره، حتّى يكتشف في يوم مـن الأيام أنّه على خطأ فيُسارع بالتوبة والاستغفار وهذا هو واجب كل إنسان فقد قيل: «الرجوع للحق فضيلة».

وإنّما المصيبة في الـذين يرون الحق عياناً ويلمسـونه بأيديهم ثـمّ يقفـون ضدّه ويحاربونه من أجل أغراض خسيسة ودنيا دنيئة وأحقاد دفينة.

وهذا النّمط من النّاس، قـال في حقّهم ربّ العزّة والجلالة: ﴿**وسواءٌعليهم أأنذرتهم أم لم تُنذرهـم لا يؤمنون**﴾ (يّس: 10). فلا فـائدة في تضييع الوقت معهم وحرق الأعصاب من أجلهم، وإنّما الواجب علينا أن نضحّي بكلّ شيء

مع أولئك المُنصفين الـذين يبحثون عن الحقّ ويبـذلون جهـدهم للوصـول إليه والذيـن قال في حقّهم ربّ العـزّة والجلالة : **﴿إنّما تُنذر مَن اتّبع الـذكر وخشيَ الرحمان بالغيب فبشِّره بمغفرة وأجرٍ كريم﴾** (يّس : 11).

فعلى المستبصرين من الشّيعة في كلّ مكان أن ينفقوا من أوقاتهم ومن أموالهم في سبيل التعريف بالحقّ لكلّ أبناء الأمـة الإسلامية ، فلم يكن أئمّة أهل البيت حكـرة على الشّيعـة وحـدهم ، إنّما هم أئمّـة الهدى ومصـابيـح الـدّجى لكلّ المسلمين .

وإذا بقي الأئمّـة من أهل البيت مجهولين لـدى عامّـة المسلمين وخصوصـاً منهم المثقّفين من أبنـاء «أهل السّنة والجماعـة» فإنّ الشيعة يتحمّلـون مسؤوليـة ذلك عند الله .

كما إذا بقي النّاس كفّاراً وملحـدين لا يعرفون دين الله القويم الـذي جاء به محمّد (ص) سيّد المرسلين ، فالمسؤولية على كلّ المسلمين .

التعريف بأهل السنّة

هم الطائفة الإسلامية الكبرى التي تمثّل ثلاثة أرباع المسلمين في العالم، وهم الذين يرجعون في الفتوى والتقليد إلى أئمّة المذاهب الأربعة أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد بن حنبل.

وقد تفرّع عنها فيما بعد ما يسمّى بالسّلفية التي جدّد معالمها ابن تيميّة الذي يسمّونه مجدّد السنّة، ثمّ الوهّابية التي ابتدعها محمّد بن عبد الوهّاب، وهو مذهب السّعودية.

وكلّ هؤلاء يُسمّون أنفسهم «بأهل السنّة» وفي بعض الأحيان يضيفون كلمة الجماعة، فيُقال «أهل السُنّة والجماعة».

ويتبيّنُ لنا من خلال البحث التاريخي أنّ كلّ مَن انتمى إلى ما يُسمّى عندهم بالخلافة الرّاشدة، أو الخلفاء الرّاشدين وهم «أبو بكر وعمر وعثمان وعلي»[1] واعترف بإمامتهم سواء في عهدهم أو في عصرنا فهو سُنّي من «أهل السنّة والجماعة».

وكل من رفض تلك الخلافة واعتبرها غير شرعية، وقال بثبوت النّص على علي بن أبي طالب فهو شيعيّ من أهل الرّفض.

ويتبيّن لنا أيضاً أنّ كل الحكّام، من أبي بكر وإلى آخر خلفاء بني العبّاس

(1) سيتبيّن لنا في أبحاث لاحقة بأنّ «أهل السنّة والجماعة» لم يُلحِقوا عليَّ بن أبي طالب بالخلفاء الرّاشدين الثلاثة إلاّ في زمن متأخر جدّاً.

هم راضون على أهل السنة ومتّفقون تماماً معهم، وغاضبون ومُنتقمون من الذين تشيّعوا لعلي بن أبي طالب وبايعوه بالخلافة كما بايعوا أولاده من بعده.

وعلى هذا الأساس فإنّ علي بن أبي طالب وشيعته لم يكونوا معدودين عندهم من «أهل السنّة والجماعة» وكأنّ هذا الاصطلاح - يعني «أهل السنّة والجماعة» قد وُضِعَ في مقابل علي وشيعته، وهو حسب اعتقادي السّبب الرّئيسي في تقسيم الأمّة الإسلامية بعد وفاة الرسول إلى سنّة وشيعة.

وإذا رجعنا لتحليل الأسباب وكشف الأستار حسب المصادر التاريخية الموثوقة لوجدنا أنّ هذا التقسيم ظهر عقيب وفاة الرسول (ص) مباشرة وبدون فصل، إذ أنّ الأمر استتبّ لأبي بكر باعتلائه منصّة الخلافة وأيّدته الأغلبيّة السّاحقة من الصّحابة، وعارضه علي بن أبي طالب وبنو هاشم وقلّة قليلة من الصّحابة الذين كانوا في أغلبهم من الموالي.

وبديهي أنّ السّلطة الحاكمة أقصت هؤلاء وأبعدتهم واعتبرتهم خارجين من الصفّ الإسلامي، وعملتْ كلّ جهودها على شلّ معارضتهم بكلّ الأساليب الاقتصادية والاجتماعية والسياسية.

ومن المعلوم أنّ «أهل السنّة والجماعة» اليوم، لا يُدركون الأبعاد السياسيّة التي لعبتْ في تلك العصور، ومدى العداوة والبغضاء التي أولدتها تلك الأدوار الخبيثة في عزل وإبعاد أعظم شخصية عرفها تاريخ البشرية بعد الرسول محمّد (ص). و «أهل السنّة والجماعة» في هذا العصر يظنّون أو يعتقدون بأنّ الأمور كانت على أحسن ما يُرام وأنّها تدور وفقَ الكتاب والسنّة في زمن الخلفاء الرّاشدين وأنّ هؤلاء كانوا يتشبّهون بالملائكة فكانوا يحترمون بعضهم ولم تكن بينهم أحقاد ولا مطامع ولا نوايا سيّئة.

ولكلّ ذلك تراهم يرفضون كل ما يقوله الشيعة في الصحابة عامّة وفي الخلفاء الراشدين منهم خاصّة.

وكأنّ «أهل السنّة والجماعة» لم يقرأوا كتب التاريخ التي سجّلها علماؤهم، واكتفوا فقط بما يسمعونه من أسلافهم من مديح وإطراء وإعجاب بعامّة

الصّحابة وخصوصاً منهم الخلفاء الرّاشدين، ولو فتحوا قلوبهم وأبصارهم وتصفّحوا تاريخهم وكتب الحديث عندهم طلباً للحقّ ومعرفة الصّواب لغيروا عقيدتهم ليس في الصحابة فحسب ولكن في كثير من الأحكام التي يعتبرونها صحيحة وما هي كذلك.

وإني أحاول بهذا المجهود المتواضع أن أُبيّن لإخواني من «أهل السنّة والجماعة» بعض الحقائق التي طفحتْ بها كتب التاريخ، وأخرج لهم باختصار وجيز النّصوص الجليّة التي تدحض الباطل وتظهر الحق، عسى أن يكون في ذلك الدّواء الناجع لتشتّت المسلمين واختلافهم ويعمل على توحيدهم وجمع كلمتهم.

وإنّ «أهل السنّة والجماعة» كما أعرفهم اليوم ليسوا متعصّبين، وليسوا ضدّ الإمام علي وأهل البيت، بل إنّهم يحبّونهم ويحترمونهم ولكنهم في نفس الوقت يحبّون ويحترمون أعداء أهل البيت ويقتدون بهم باعتبار «كلّهم من رسول الله ملتمسٌ».

و«أهل السنّة والجماعة» لا يعملون بقاعدة الولاء لأولياء الله والبراءة من أعداء الله، بل يُلْقُون بالمودّة للجميع ويترضّون على معاوية بن أبي سفيان كما يترضّون على علي بن أبي طالب.

وقد بهرتهم هذه التسمية البرّاقة (**أهل السنّة والجماعة**) ولم يعرفوا خفاياها ودسائسها التي وضعها دُهاة العرب ولو علموا يوماً بأنّ علي بن أبي طالب هو محض السنّة المحمّدية وهو بابها الذي يؤتى منه للدخول إليها، قد خالفوه في كلّ شيء وخالفهم، لتراجعوا عن موقفهم ولبحثوا الموضوع بجدّ، ولما وجدتَ «أهل السنّة» إلاّ شيعةً لعلي وللرسول (ص) ولكلّ ذلك لا بدّ من كشفٍ حقيقي لتلك المؤامرة الكبرى التي لعبتْ أخطر الأدوار في إقصاء السنّة المحمّدية، وإبدالها ببدع جاهلية سبّبتْ نكسة المسلمين وارتدادهم عن الصراط المستقيم وتفرّقهم واختلافهم ثم تكفير ومقاتلة بعضهم البعض، الشيء الذي سبّب تخلّفهم العلمي والتقني ممّا أدّى إلى احتلالهم وغزوهم ثم إذلالهم وتحقيرهم وتذويبهم.

وبعد هذا الاستعراض الوجيز للتعريف بالشّيعة وبالسنّة لا بدّ من الملاحظة بأنّ اسم الشيعة لا يعني معارضة السنّة كما يتوهّم عامّة النّاس عندما يتباهون بقولهم : نحن أهل السنّة ؛ ويقصدون بأنّ غيرهم ضد السنّة ، فهذا لا يوافق عليه الشيعة أبداً ، بل إنّ الشيعة يعتقدون بأنهم وحدهم المتمسّكين بسنّة النّبي الصحيحة لأنهم أتوها من بابها وهو علي بن أبي طالب ولا بابَ سِواه وعلى رأيهم لا يمكن الوصول إلى الرسول إلاّ عن طريقه .

ونحْن كالعادة في توخّي الحياد للوصول إلى الحقّ لا بدّ أن نتدرّج بالقارىء العزيز، ونستعرض معه بعض الأحداث التاريخية ونقدّم إليه الدّليل والبرهان على أنّ الشيعة هم أهل السنّة كما جاء عنوان الكتاب .

ونترك له بعد ذلك حرّية الاختيار والتعليق .

أول حادث فرّق المسلمين إلى شيعة وسنة

ذلك هـو الموقف الـرّهيب والخطير الـذي وقفـهُ عمـر بن الخطـاب وأكثـر الصحابة تجاه أمر رسول الله (ص) عندما أراد أن يكتب لهم ذلك الكتاب الذي يعصم المسلمين من الضلالة(1).

وعارضـوه بشدّة وقسـاوة وعدم احترام لمقـامه السّـامي حتّى اتّهموه بـالهجر والهذيان، مُدّعين بأنّ كتاب الله يكفيهم فلا حاجة لكتابة الرّسول.

ومن خلال هذه الحادثة التي سماهـا ابن عبّاس رزيّة المسلمين يتبيّن لنا بأنّ الأكثرية من الصّحابة يرفضون السنّة النبويّة ويقولون: «حسبُنا كتاب الله».

أمّا علي وأتباعـه من الصّحابة وهم الأقليّة والـذين سماهم رسول الله (ص) بشيعة علي، فكـانوا يمتثلون أوامـر الرّسول بـدون اعتراض ولا نقاش ويعتبرون كلّ أقواله وأفعاله سنّة واجبة الاتّباع تماماً ككتاب الله، ألم يقل كتاب الله:

﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول﴾(النساء: 59).

وسيرة عمر بن الخطاب معروفة عند كلّ المسلمين ومواقفه المعارضة للنّبي في كلّ أدوار حياته مشهورة(2).

وبطبيعة الحال فإنّ عمر بن الخطاب كان يرى عـدم التقيد بالسنّة النّبوية، ويظهر ذلك جليّاً من خلال أحكامـه عندما أصبح أميراً للمؤمنين فكان يجتهد

(1) رزية يوم الخميس مشهورة في صحيح البخاري وصحيح مسلم.

(2) لقد وافينا البحث لمعارضة عمر للنبي (ص) في كتابنا «فاسألوا أهل الذكر».

برأيه مقابل النّصوص النّبويّة بل كـان يجتهد برأيه مقابل النّصوص الإلهية الجليّة فيحرّم ما أحلّ الله ويحلّلُ ما حرّم الله[1].

وبطبيعة الحال إنّ أنصـاره ومؤيّديه من الصّحـابة كانوا على شـاكلته، وإنّ محبّيه والمعجبين به من السّلف والخلف يقتدون به وببدعه الحسنة كما يُسمّونها.

وسيأتي خلال الأبحاث القادمة بـأنّهم يتركون سنّة النّبي (ص) ويتّبعون سنّة عمر بن الخطاب.

---

(2) كتحريمه سهـم المؤلفة قلوبهم ومتعة الحج ومتعة النسـاء التي حلّلها الله وتحليله طـلاق الثلاث بطلقة واحدة وقد حرّم الله ذلك.

الحادث الثاني في مخالفتهم للسنّة النبويّة

ذلك هـو رفضهم الالتحـاق بجيش أسـامـة الـذي عبّأه رسـول الله (ص) بنفسه وأمرهم بالسّير تحت قيادته، يومين قبل وفاته(ص).

ووصل الأمـر بهم إلى الطعن برسـول الله (ص) وانتقاده إذ ولّى عليهم شـابّاً صغيراً لا نبات بعارضيه عمره سبعة عشر عاماً.

وتخلّف عن السّير أبـو بكـر وعمـر وبعض الصّحابـة ولم يلتحقـوا بـالجيش بدعوى إدارة أمر الخلافة رغم لعن الرسول لمن تخلّف عن أسامة[1].

أمّـا علي وأتبـاعـه فلـم يعيّنهم رسـول الله (ص) في الجيـش وذلك لحسم الخلاف، وليصفُو الجوّ ويخلـو من أولئك المعانـدين والمعارضين لأمـر الله، فلا يرجعوا من مؤتة إلاّ والأمر قد استتبّ لعلي كما يريده الله ورسوله في خلافة النّبي (ص).

لكنّ دهاة العرب من القريشيين عرفوا ذلك منه، فرفضوا الخروج من المدينة وتباطأوا حتى لحق الرّسول بربّه، فأبرموا أمرهم كما خطّطوا له من قبلُ، وأبعدوا ما أراده رسول الله (ص) أو بعبارة أخرى رفضوا السنّة النّبوية.

وبهذا يتبيّن لنا ولكلّ باحث أنّ أبا بكـر وعمر وعثمان وعبد الرحمان بن عوف وأبا عبيدة عامر بن الجرّاح كانوا يرفضـون السنّة النّبوية ويجتهدون بآرائهم جرياً وراء المصالح الدنيوية ومن أجل الخلافة ولو كلّفهم ذلك معصية الله ورسوله.

(1) إقرأ كتاب الملل والنحل للشهرستاني قول النبي: لعن الله من تخلّف عن جيش أسامة ج1، ص29.

أمّا علي والصحابة الذين اتّبعوه فكانوا يتقيّدون بالسنّة النّبوية ويعملون على تنفيذها حرفياً ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً، وقد رأينا علياً (ع) في تلك المحنة كيف أنّه تقيّد بوصيّة النّبي له على أن يقوم بتغسيله وتكفينه والصّلاة عليه ومواراته في قبره، فنفّذ عليٌّ كلّ أوامره ولم يشغله عن ذلك شاغل، ورغم علمه المسبق بأنّ الجماعة تسابقوا إلى السّقيفة لاختيار أحدهم للخلافة، وكان بإمكانه أنْ يُسارع إليها هو الآخر ويفسِد عليهم تخطيطهم ولكنّ احترامه للسنّة النّبوية والعمل على تطبيقها يحتّم عليه البقاء بجانب ابن عمّه ولو كلّفه ذلك ضياع الخلافة.

ولا بدّ لنا هنا من وقفة ولو قصيرة، لنلاحظ الخلق العظيم الذي ورثه علي من المصطفى (ص).

ففي حين يزهدُ علي في الخلافة من أجل تنفيذ السنّة نرى الآخرين يرفضون السنّة من أجل الخلافة.

الحادث الثالث الذي أبرز الشيعة في مقابل «أهل السنة»

ذلك هو الموقف الخطير الذي وقفه أغلب الصحابة في السّقيفة ليُخالفوا صراحة النّصوص النّبوية التي نصّبتْ عليّاً للخلافة وقد حضروها كلّهم يوم الغدير بعد حجة الوداع.

ورغم اختلاف المهاجرين والأنصار في أمر الخلافة إلاّ أنّهم تصافقوا في الأخير على ترك النّصوص النّبوية وتقديم أبي بكر للخلافة ولو كلّفهم ذلك زهق النّفوس، وشمّروا على سواعدهم لقتل كلّ من تحدّثه نفسه بمخالفتهم ولو كان من أقرب النّاس للنّبي (ص)[1].

وهذا الحادث أبرز أيضاً أنّ الأغلبيّة السّاحقة من الصّحابة عاضدوا أبا بكر وعمر في رفض سنّة نبيّهم وإبدالها باجتهاداتهم، فهم أنصار الاجتهاد.

كما أبرز في المقابل الأقلية من المسلمين الذين تمسّكوا بالنصوص النّبوية وتخلّفوا عن البيعة لأبي بكر وهم علي وشيعته.

نعم، لقد ظهر في المجتمع الإسلامي بعد الأحداث الثلاثة المذكورة، هويّة الفريقين أو الحزبين المتعارضين، يعمل أحدهما على احترام السنّة النّبوية وتنفيذها، ويعملُ الثاني على دحض السنّة النّبوية وطمسها وإبدالها بالاجتهاد الذي يُطمّع الأكثرية ويُمنّيهم بالوصول إلى الحكم أو المشاركة فيه.

---

(1) وأكبر دليل على ذلك تهديد عمر بن الخطاب بحرق بيت فاطمة الزهراء بمن فيها، والقصّة مشهورة في كتب التاريخ.

برز على رأس الحزب الأول السنّي علي بن أبي طالب وشيعته، وبرز على رأس الحزب الثّاني الاجتهادي أبو بكر وعمر وأغلب الصحابة.

وعمل الحزب الثـاني بقيادة أبي بكـر وعمـر على تحطيم وكسر شوكـة الحزب الأوّل ودبّروا لذلك عدّة تدابير للقضاء على الحزب المعارض، من ذلك:

أوّلاً: عزل المعارضة وشلّها اقتصادياً

أول مبادرة بادر بها الحزبُ الحاكم هو إقصـاء المعارضين عن كلّ موارد الرّزق والمال. وقد عمد أبو بكر وعمر على طرد فلاّحي فاطمة من فدك[1] واعتبرا تلك الأرض ملكاً للمسلمين، وليستْ خالصة لفاطمة كما أقرّ بذلك أبوها(ص).

كما حرماها من ميراث أبيها بدعوى أنّ الأنبياء لا يُورّثون، وقطعا عنها سهم الخمس الـذي كان رسـول الله يخص به نفســه وأهل بيته لأنّ الصّـدقات محرّمـة عليهم.

وبـذلك أصبح علي مشلولاً اقتصـاديـاً فقـد اغتُصبتْ منه أرض فـدك التي كانت تدرّ عليه أرباحاً هائلة، وكذلك حُرم من ميراث ابن عمّه والذي هو حقّ من حقـوق زوجته، وقُطع عنـه سهم الخمس، فأصبح علي وزوجتـه وأولاده في حاجـة لمن يسدّ رمقهم ويكسو أجسامهم، وهـو بالضبط ما عبّر عنه أبـو بكر عنـدما قـال للـزهراء: نعم أنتِ لك الحقّ في الخمـس ولكنّي سوف أعمل فيـه عمل رسول الله، فلا أتركك تجوعين ولا تعرين.

وكما قدّمنا فإنّ الصحابة الـذين تشيّعوا لعلي أغلبهم من الموالي الذين لا ثراء لهم، فـلا يخشى الحزب الحاكم منهم ولا من تأثيرهم، فـالنّاس يميلـون للغني ويحتقرون الفقير.

(1) قصة فدك معـروفة في كتب التاريخ، وخصام الزهـراء لأبي بكر حتى ماتتْ وهي غاضبـةٌ عليه مشهورة ذكرها البخاري ومسلم.

ثانياً : عزل المعارضة وشلّها اجتماعياً

ولأجل إسقاط الصف المعارض الذي يتزعّمه علي بن أبي طالب فقد عمل الحزبُ الحاكم أيضاً على عزله اجتماعياً .

وأوّل شيء فعله أبو بكر وعمر هو تحطيم الحاجز النّفسي والعاطفي الذي يحمل المسلمين كافّة على احترام وتقدير قرابة الرّسول الأعظم(ص) .

و إذا كان علي هو ابن عمّ النّبي وسيد العترة الطّاهرة، قد وُجدَ له مُبغضُون ضمن الصحابة الذين كانوا يحسدونه على ما آتاه الله من فضله، فضلاً عن المنافقين الذين كانوا يتربّصون به .

فإنّ فاطمة هي وحيدة النّبي التي بقيتْ بعده في أمّته وهي أمّ أبيها كما كان يسمّيها الرّسول (ص) وسيدة نساء العالمين فكلّ المسلمين يحترمونها ويعظّمونها للمكانة التي حظيتْ بها عند أبيها وللأحاديث التي قالها في فضائلها وشرفها وطهارتها .

ولكنّ أبا بكر وعمر عمدا إلى إسقاط هذا الاحترام والتقدير من نفوس النّاس، فجاء عمر بن الخطاب إلى بيت الزهراء وفي يده قبس من نار وطوّق بيتها بالحطب وأقسم أن يحرقها بمن فيها إن لم يخرجوا لبيعة صاحبه .

يقول ابن عبد ربّه في العقد الفريد[1]:

«وأمّا علي والعبّاس والزبير فقعدوا في بيت فاطمة حتّى بعث إليهم أبو بكر عمر بن الخطاب ليُخرجهم من بيت فاطمة وقال له: إنْ أبَوا فقاتلهم، فأقبل بقبس من نار على أن يضرم عليهم الدّار فلقيتْهُ فاطمة فقالتْ: يا ابن الخطاب أجئتَ لتحرق دارنَا؟

قال: نعم أو تدخلوا في ما دخلتْ فيه الأمة»[1].

فإذا كانت فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين كما جاء في صحاح «أهل السنة والجماعة»، وإذا كان ولداها الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنّة وريحانة

---

(1) العقد الفريد لابن عبد ربّه الجزء الرّابع عند ذكر جماعة تخلّفوا عن بيعة أبي بكر.

النّبي في هذه الأمة يُستهانُ بهم ويُستصغرُ شأنهم حتّى يُقسم عمر أمام الملأ أن يحرق عليهم دارهم إن رفضوا البيعة لأبي بكر، فهل يبقى بعد هذا في نفوس الآخرين شيء من الاحترام أو التقدير لعلي بن أبي طالب الذي يبغضه أكثرهم ويحسدونه وقد أصبح بعد وفاة النّبي زعيم الصف المعارض وليس عنده من حُطام الدّنيا ما يُرغّبُ النّاس فيه؟

فهذا البخاري يحدّث في صحيحه بأنّ فاطمة طالبتْ أبا بكر بميراثها من رسول الله ممّا أفاء الله عليه بالمدينة وفدك وما بقي من خمس خيبر، فأبَى أبو بكر أن يدفع إلى فاطمة منها شيئاً، فوجدتْ فاطمة على أبي بكر فهجرته فلم تكلّمه حتى توفّيتْ، وعاشتْ بعد النّبي ستّة أشهر، فلما تُوفّيتْ دفنها زوجها علي ليلاً ولم يؤذن بها أبا بكر وصلّى عليها، **وكان لعلي من النّاس وجه حياة فاطمة، فلمّا توفّيتْ استنكَر علي وجوه النّاس**، فالتمسَ مُصالحة أبي بكر ومُبايعته، ولم يكن يُبايع تلك الأشهر[1].

فقد نجح الحزب الحاكم نجاحاً كبيراً في عزل علي بن أبي طالب اقتصادياً واجتماعياً وأسقطه من أعين النّاس، فلم يبقَ له بينهم احترام ولا تقدير وخصوصاً بعد وفاة الزهراء ولذلك استنكر علي وجوه النّاس فاضطرّ لمصالحة أبي بكر ومبايعته حسب ما يرويه البخاري ومسلم.

وتعبير البخاري بكلمة «استنكر علي وجوه النّاس» يَدلّنا دلالة واضحة على مدى الحقد والبغض الذي كان يواجهه أبو الحسن (سلام الله عليه) بعد وفاة ابن عمّه وزوجته، ولعلّ بعض الصحابة كان إذا مشى بينهم يسبّونه ويشتمونه ويستهزئون به، ولذلك استنكر وجوههم للمنكر الذي رآه.

ولا نقصد من هذا الفصل سرد التّاريخ ومظلومية علي بقدر ما نُريد إظهار الحقيقة المرّة والمؤلمة، ألا وهي أنّ حامل لواء السنّة النّبوية وباب علم الرّسول أصبح متروكاً، وفي المقابل أصبح أنصار الاجتهاد بالرّأي الذين يرفضون السنّة النّبوية هم الحاكمون والمؤيدون أغلب الصحابة.

---

(1) صحيح البخاري ج 5، ص 82 باب غزوة خيبر. صحيح مسلم كتاب الجهاد.

ثالثاً: عزل المعارضة سياسيّاً

رغم الحصار الشّديد ومصادرة الحقوق المالية وعزلهم عن المجتمع الإسلامي حتى تحوّلت وجوه النّاس عن علي بن أبي طالب كما مرّ علينا، فإنّ الحزب الحاكم لم يكتف بكل ذلك حتّى عمد إلى عزله سياسيّاً وإبعاده عن كل أجهزة الدّولة وعدم إشراكه في أي منصب حكومي أو إسناده أيّ مسؤولية. وبالرغم من تعيينهم الولاة من الطّلقاء ومن فسّاق بني أميّة الذين حاربوا الإسلام طوال حياة الرّسول (ص)، فقد بقي الإمام علي بعيداً عن مسرح الحياة السياسيّة طيلة ربع قرن حياة أبي بكر وعمر وعثمان. وفي حين كان بعض الصحابة الولاة يجمع الأموال ويكنزُ الذهب والفضة على حساب المسلمين، كان علي بن أبي طالب يسقي نخيل اليهود كي يحصلَ على قوته بكدّ يمينه وعرق جبينه.

وهكذا بقي باب العلم، حبر الأمة وحامل السنّة حبيس داره ولا يعرف قدره إلّا بعض المستضعفين الذين كانُوا يُعَدّون على الأصابع فكانوا يتشيّعون له ويهتدون بهديه ويتمسّكون بحبْله.

وقد حاول الإمام علي زمن خلافته إرجاع النّاس إلى القرآن والسنّة النبويّة بدون جدوى إذ أنّهم تعصبوا لاجتهاد عمر بن الخطاب وصاح أكثرهم في المسجد: وا سنّة عُمراه.

ونَسْتنتجُ من كلّ هذا بأنّ عليّاً وشيعته تمسّكوا بالسنّة النّبوية وعملوا على إحيائها ولم يحيدوا عنها أبداً بينما اتّبعتْ بقية الأمة بدع أبي بكر وعمر وعثمان وعائشة وسمّوها بـ«البدع الحسنة»(1).

وهذا ليس من الادّعاء بل هي الحقيقة التي أجمع عليها المسلمون وسجّلوها في صحاحهم وعرفها كلّ باحث ومنصف.

فقد كان الإمام علي يحفظ القرآن ويعرف كلّ أحكامه وهو أول من جمعه بشهادة البخاري نفسه.

---

(1) صحيح البخاري ج2، ص252 باب صلاة التراويح وكذلك ج7، ص98.

في حين لم يكن أبو بكر ولا عمر ولا عثمان يحفظونـه ولا يعرفون أحكامه[1]. وقد أحصى المؤرّخون على عمر قوله سبعين مرّة: لولا علي لهلك عمر، وقول أبي بكر: لاَ عشتُ في زمن لستَ فيه يا أبا الحسن. . أمّا عثمان فحدّث ولا حرج.

(1) جهل عمر بحكم الكلالة مشهور في كتب السنّة، وكـذلك جهله بأحكام التيمّم معلوم لدى الجميع، ذكره البخاري في صحيحه ج 1، ص 90.

السنّة النبوية بين الحقائق والأوهام

إذا كان عمر بن الخطاب المعدود عند «أهل السنّة والجماعة» من الملهمين ومن أعلم الصحابة، إذا لم يكن أعلمهم على الإطلاق للرّواية التي أخرجوها في صحاحهم أنّ النبي أعطاه فضل شرابه وتأوّل ذلك بالعلم، يشهد على نفسه بأنّه يجهل الكثير من السنّة النبوية وقد شُغل عنها بالتّجارة في الأسواق.

فهذا البخاري يروي في صحيحه في باب الحجّة على من قال: إنّ أحكام النّبي كانت ظاهرة وما كان بعضهم يغيبُ عن مشاهدة النّبي وأمور الإسلام، قال:

استأذن أبو موسى على عمر فكأنّه وجده مشغولاً فرجع، فقال عمر: ألم أسمع صوت عبدالله بن قيس ائذنوا له فدُعي له فقال: ما حملك على ما صنعتَ؟

فقال: إنّا كنّا نُؤمر بهذا، فقال عمر: فائتني على هذا ببيّنة أو لأفعلنّ بك، فانطلق إلى مجلس الأنصار فقالوا: لا يشهدُ إلاّ أصاغرنا، فقام أبو سعيد الخدري فقال: قد كنّا نؤمر بهذا فقال عمر: خفيَ عليَّ هذا من أمر النّبي (ص) ألهاني الصفق بالأسواق[1].

(1) صحيح البخاري ج8، ص157 من كتاب الاعتصام بالكتاب والسنّة. صحيح مسلم ج6، ص179 في باب الاستئذان من كتاب الآداب.

تعليق: في هذه القصّة طرائف لاَ بدّ من ذكرها

* **أولاً**: إنّ قضيـة الاستئذان معـروفة في الإسـلام وهي سنّـة نبويـة يعرفهـا الخاصّ والعام وقـد كان النّاس يستأذنـون للدخول على رسـول الله (ص) وهذه من آداب الإسلام ومفاخره.

وتفيد هذه الرّواية بأنّ عمر بن الخطّاب كان له حرّاس وشرطة تمنع النّاس من الدّخول عليه إلاّ بالاستئذان، فقد استأذن عليه أبو موسى ثلاث مرّات ولم يأذن له فرجع ولكنّ أنصاره وأتباعـه من بني أميّة وكأنّهم أرادوا تفضيله وتقديمه على النّبي فقالوا بأنه كان ينام على حافّة الطريق بدون حرس حتّى قيل فيه: عدلتَ فنمتَ.

وكأنهم يقولون بأنّه أعدل من النّبي (ص) لأنّ النّبي كان عنده حراسة، وإلاّ لماذا يقال: ماتَ العدلُ مع عمر؟!

* **ثانياً**: تفيدنـا هذه الـرّواية على مدى الغلظـة والشدّة التي كـان يعرفُ بها عمر بن الخطاب وكيف كان يعامل المسلمين بدون مبرّر لذلك.

فهذا أبـو موسى الأشعري وهـو من أكابـر الصحابة يستـدلّ بحديث النّبي (ص) بخصوص الاستئـذان، فيقول له عمـر: والله لأوجعنّ ظهرك وبطنك أو لتأتينّ بمن يشهد لك على هذا[1].

فهل هنـاك مبرّر لإهانـة أبي موسى وتكـذيبه أمـام النّاس وتهديـده بالضرب الموجع لمجرّد رواية رواها عن رسول الله (ص)، حتّـى قال أُبي بن كعب ـ بعدما شهد بصحّة الحديث ـ: يا ابن الخطاب لا تكوننّ عذابـاً على أصحاب رسول الله[2].

أمّا أنـا فلا أرى مـن مبرّر غير استبداد عمـر برأيـه في أكثر الأمـور، وإذا ما عارضوه بكتاب الله أو بسنّة النّبي فتراه يغضب ويهدّد، الشيء الذي جعل كثيراً من الصحابـة يكتمون الحق وهم يعلمـون كما وقع ذلك لعمار بن ياسر عنـدما

---

(1) صحيح مسلم ج6، ص179 كتاب الآداب، باب الاستئذان.

(2) المصدر نفسه.

جابه عمر بالسنّة النبـوية في قضية التيمّم، ولمّا هدّده عمر قال عمّار: إنْ شئتَ لم أحدّث به[1].

والشواهد كثيرة على منع عمر الصّحابة من نقل الأحاديث النّبوية وذلك من عهـد أبي بكر وبـالأخصّ في أيام خـلافته التي امتـدّتْ أكثر من عشر سنـوات أحرق خلالها كل ما جُمع من الأحاديث النبويّة ومنع الصّحابة من نقلها وحبسَ بعضهم من أجلها[2].

وقد فعل ذلك من قبله أبو بكر كما فعل ذلك عثمان من بعده.

فكيف يقالُ لنـا بأنّ الخلفاء كانـوا يعملون كلّهم بالسنّة النبـويّة في حين أنّ السنّة النبويّة لم تلقَ منهم إلاّ الحرق والمنع والتعتيم؟!

* **ثالثاً**: تفيدنـا هذه الرّوايـة بأنّ عمر بن الخطاب كـان كثيراً ما يتغيّب عن مجالسة النّبي والاستماع لأحاديثه ويشتغلُ عنه بالتجارة في الأسواق.

ولذلك غـابتْ عنه أكثـر الأحاديث النّبويـة التي عرفهـا الخاصّ والعامّ من الصحابـة حتى صبيانُهم، يشهدُ على ذلك قـول الأنصار عندما فـزِع إليهم أبو موسى من تهديـد عمر، قالـوا: فوالله لا يقوم معك إلاّ أحـدثنا سنّاً، فقـام أبو سعيـد الخدري، وكـان أصغـر القـوم، فشهـد أنّـه سمع النّبي (ص) يحدّثُ بذلك.

وهذا في حدّ ذاته توهين لشأن عمر الذي اعْتلى منصّة الخلافة وهو لا يعرف من السنّـة النبويّـة أبسط الأمور التي عـرفهـا أصغر القـوم سنّاً، وأينَ هـو من حديث الرسـول (ص) الذي يقول: «إذا تولّى والٍ أمـر رعيّة وهو يعلمُ أنّ فيهم من هو أعلم منه، فقد خان الله ورسوله والمؤمنين».

وأنّى لعمـر بن الخطاب أن يُصغـي قلبه لمثل هـذه الأحـاديث النبويّـة التي رفضها في حياة النّبي ولم يقنع بها وجعل لنفسه حقّ الاجتهاد في مقابلها.

---

(1) صحيح مسلم ج1ص193 باب التيمّم وكذلك صحيح البخاري.

(2) قـد ذكـرتُ ذلك بشيء من التفصيل في كتـاب «فـاسألـوا أهل الذكـر» مع ذكـر المصـادر فليرجع إليـه البـاحثون.

بقيَ أن نعترف لأبي حفص بـاعترافه بـالجهل عنـدما يـواجـه من قبل بعض الصحـابة بـالحجّة والـدّليل، فيقول مـرّة: كلّ النّاس أفقـهُ منك يا عمـر حتّى ربّاتُ الحجال، ومرّة يقول: لولا عليٌّ لهلك عمر. وأخرى يقول: لقد ألهاني عن أحاديث النّبي الصفق بالأسواق.

وإذا كان عمر يتلهّى عن السنّة النبويّـة بالصفق في الأسواق فإنّه عن القرآن أكثر لهواً، فقد اختلف مرّة مع أُبي بن كعب وهـو من أشهر الحفّاظ وأنكر عليه قراءتَـه وقال بأنّـه لم يسمع بها من قبلُ، فقـال له أُبي: يـا عمر إنّه كـان يُلهيني القرآنُ ويُلهيكَ الصفقُ بالأسواقِ[1].

فشغله بـالتجارة ولهوه بالصفق في الأسـواق يعرفه الخاص والعـام وليس هو بالأمر الخفي عن الصحابة وخصوصاً منهم العارفين بكتاب الله وسنّة رسوله.

لذلك أعتقدُ بأنّه كان يعيش عُقدةً نفسية كبيرة، وهي عقدة الجهل المركب، إذ يرى أصغر المسلمين يعرف ما لاَ يعرفُ هو ويحفظ ما لاَ يحفظ هو، ويرى إلى جانبه علياً وهو شابٌّ لم يبلغ الثلاثين يصوّب رأيه بما حفظه من الكتاب والسنّة وبمحضر من الصّحابة، حتّى يضطر للقول: «لولا علي لهلك عمر».

ويـرى امرأة تقـوم في آخر المسجـد فتعترض عليه وهـو فوق المنبر وتحاججُـه بكتاب الله في قضيـة مهور النّساء على مشهـد ومسمع من كلّ المصلّين، فيقول عند ذلك: كلّ النّاس أفقه منك يا عمر حتّى ربّات الحجال!

وفي الحقيقة لم يكن ذلـك قناعة منـه بقدر مـا هو تغطيـة على جهله وكسب الموقفِ لصالحه ليقول النّاس عنه بأنّه متواضع كما نسمع اليوم الكثير من النّاس يردّدون ذلك.

ومن أجل هذه العُقدة عمل عمـر على محق السنّة النبويّة مـا استطاع لذلك سبيـلاً، واجتهد بـرأيه معـارضـاً للكتاب والسنـة، والشواهـد على ذلك كثيرة جدّاً[2].

(1) تاريخ ابن عساكر ج2، ص228 وروى مثل هذا الحاكم في مستدركه وأبو داود في سننه وابن الأثير في جامع الأصول.

(2) ذكرت بعضها في كتاب «مع الصادقين» وكتاب «فاسألوا أهل الذكر».

والمتتبّع لسيرة عمـر يكتشف بأنّـه لم يعش مع النّبي بعـد إسلامـه إلاّ نصف عمر الرّسالة أو أقل من ذلك بكثير.

فها هو يحدّث عن نفسه في هذا الصّدد فيقول:

«كنتُ أنا وجـارٌ لي من الأنصار في بني أميـة بن زيد وهي من عـوالي المدينة وكنا نتناوبُ النزولَ على رسول الله (ص) ينزل يومـاً وأنزلُ يوماً، فإذا نزلتُ جئته بخبر ذلك اليوم من الوحي وغيره، وإذا نزل فعل مثل ذلك»[1].

فقولـه: كنّا نتناوبُ النّـزول على رسول الله ينزل يـوماً وأنـزلُ يوماً، فيـه دلالة واضحة على أنّـه كان بعيد المسكن عن مسجد رسـول الله(ص)، ولذلك قسّم عمر حياته إلى يومين يوم ينزل لـرؤية النّبي، ويومٌ لاَ ينزل ولا يكلّف نفسه عناء النزول لبعد المسافة.

أو أنّ المسافـة لم تكن بعيدة ولكنّه ينـزل إلى الأسواق ويشتغل فيهـا بالصّفق والتّجارة.

وإذا أضفنا هـذا إلى قوله: «ألهاني الصّفق بالأسـواق عن أحاديث النّبي» في قضية أبي مـوسى الأشعري المتقدّم ذكرهـا ثم أردفنا بقول أُبي بن كعب لـه: «يا عمر إنّه كان يُلهيني القرآن ويُلهيكَ الصّفق بـالأسواق»، كما مرّ علينا، تأكّدنَا بأنّه لم يقضِ وقتاً طويلاً مع صاحب الرسالة(ص).

ولعلّـه كـان يغيبُ عن رســول الله (ص) حتّى في المنـاسبـات الكبرى التي يجتمع فيها المسلمون كـافة كيوم عيد الفطر وعيـد الأضحى، ولذلك نراه يسأل بعض الصّحـابـة الـذين لم تُشغلهم تجارة ولا بيعٌ عن ذكـر الله وإقـام الصّـلاة يسألهم عمّا كان يقرأ به رسول الله (ص) في عيد الفطر وعيد الأضحى.

فقد أخـرج مسلم في صحيحه في كتـاب صلاة العيديـن، عن عبيد الله بن عبد الله أنّ عمـر بن الخطّاب سألَ أبـا واقد اللّيثي، ما كـان يقرأ بـه رسول الله (ص) في الأضحى والفطـر فقـال: كـان يقـرأ فيهما بـ **﴿قٓ والقرآن المجيـد﴾** و**﴿اقتربت السّاعة وانشقّ القمر﴾**[2].

---

(1) صحيح البخاري ج1، ص31 من كتاب العلم باب التناوب في العلم.

(2) صحيح مسلم ج3، ص61 كتاب الصّلاة باب ما يقرأ به في صلاة العيدين.

وعن أبي واقد اللّيثي أنـه قال : سألني عمر بن الخطاب عمّا قـرأ به رسول الله (ص) في يوم العيد فقلتُ : بـ ﴿اقتربت السّاعة﴾ و﴿قَ والقرآن المجيد﴾[1].

فشهادة عبيـد الله وأبو واقـد اللّيثي على عمر بأنّـه لم يكن يعرف قـراءة النّبي (ص)في العيدين ، إذا أضفنا إليها شهادة أُبي بـن كعب وشهادته هو على نفسه بأنّه كان يشغله عن القرآن والسنّة الصّفقُ بالأسواق عرفنا الأسرار والألغاز التي بقيتْ حتّى الآن محيّرة للعلماء كفتـواه بترك الصّـلاة للمجنب الـذي لا يجد الماء وجهله بأحكام التيمّـم التي جاء بها القرآن والسنّة ، وكحكمِهِ في الكـلالة التي قضى فيها بعـدة أحكام متناقضة ، رغـم نزولها في كتاب الله ورغم ما جـاء فيها من التفصيل والبيان في السنّة النبويّة فإنّ عمر لم يفهمها إلى أن فارق الحياة[2].

ولو وقف عمـر عند حـدّه وحاول التعلّمَ للقضـاء على جهله لكـان خيراً له وللمسلمين ، ولكنّه أخـذته العزّة بالإثم فـراحَ يحرّم ما أحلّ الله ورسولـه كمتعة الحجّ ومتعة النّساء وسهم المؤلفـة قلوبهم ، ويحلّلُ ما حرّم الله ورسـولهُ كإمضائه الطّلاق الثلاث والتجسّس على المسلمين وغير ذلك[3].

ومن أجل ذلك عمل هـو وصاحبه أبـو بكر من أوّل يـوم على منع أحاديث الرسول (ص) ومنع تدوينها وكتابتها حتى وصل الأمر بهما إلى حرق كلّ ما جمعه الصّحابة من الأحاديث والسّنن النبـويّة ، أولاً لطمس حقائق علي وأهل البيت التي نَطق بها الرّسول (ص) وثـانياً لكي لا يجدوا في النّصوص النبويّـة معارضة للسياسـة التي تبنّوها والأحكـام التي اجتهدوا فيهـا بآرائهم وثالثـاً لأنّ عمر بن الخطاب ما كان يعرف من سنّة النبي إلاّ القليل .

فقـد أخـرج الإمـام أحمد بن حنبل في مسنـده عن ابن عبّاس أنّ عمـر بن

---

(1) صحيح مسلم ج 3، ص 61 كتاب الصّلاة باب ما يقرأ به في صلاة العيدين .

(2) أخرج البيهقي في سننه أنّ عمر سأل النّبي عن ميراث الجد مع الإخـوة ، فقال له النبي : ما سؤالك عن هذا يا عمر؟ إنّي أظنّك تموت قبل أن تعلمه ، قال سعيد بن المسيّب : فمات عمر قبل أن يعلمه .

(3) إقرأ كتاب النّص والاجتهاد لشرف الدين الموسوي .

الخطاب تحيّر في حكـم الشكّ في الصّلاة، فقال لـه: يا غـلام هل سمعتَ من رسول الله أو من أحد أصحابه إذا شكّ الرجل في صلاته ماذا يصنع[1]؟

عجيبٌ والله أمر عمـر بن الخطاب خليفـة المسلمين لاَ يعـرف كيف يـرقّع صـلاته فيسأل عـن ذلك صبيانَ الصحـابـة وهو أمـرٌ يعـرفـه عامّـة المسلمين والأميّـون منهم حتى في يـومنـا الحاضر والأعجـب من ذلك قـول «أهل السنّـة والجماعة» بأنّ عمر كان أعلم الصحـابة فإذا كان أعلمهم على هذا النمط فظنّ خيراً ولا تسأل عن الخبرِ.

نعم تبقى فقـط بعض المعـارضـة الطّفيفـة التي لاَ تُغيّر مـن أحكـامهم واجتهـاداتهم شيئاً ولا تهدد مصـالح الخلافة، كقضيـة استئذان أبي مـوسى أو استدلال أُبي بن كعب بقراءة لا يعرفها عمر، عند ذلك يفتخر عمر بالرجوع إلى الاعتراف وهو فضيلة فيقول: لقد ألهاني عن ذلك الصّفق بالأسواق.

فأين هذا من قول علي بن أبي طالب الذي يقول:

«كان لي مدخلٌ خاصٌ على رسول الله (ص) في كل يوم مرتينِ مرّة في الصّباح وأخرى في المساء»؟

فهـذه المجالس كـانت خـاصّة بعلي في كـلّ صباح ومسـاء أضف إلى ذلك حضوره دائماً مع النّبي (ص) في مجالسه العامّة.

فكان علي أقـرب النّاس للنبي وأشـدّهم لصوقـاً به وأخصهـم لديه مـن يوم ولادته، فقد تربّى في حجره حتى شبّ فكان يتبعه اتّباع الفصيل إثر أمّه في كل مكان، وفي غار حراء عنـد نزول الوحي عليه وقد رضع حليب الرّسـالة وترعرع على معارف السنّة النبوية من أوّل مهدها.

فمن أولى بالسنّة منه، وهل لأحد غيره أن يدّعيها لو أنصف المنصفون ورجع إلى الحقّ المعاندون؟

وهذا أكبر دليل على أنه (سلام الله عليه) وشيعته الذين اتّبعوه هم رمز السنّة

---

(1) مسند الإمام أحمد بن حنبل ج 1، ص190.

المحمّدية وأعلامها. أمّـا غيرهم ممّن لم يهتدوا بهديه ويسيروا على دربه فهم أبعد مـا يكونـون عن السنّة النبـويّـة، ولو أنّهم سمّـوا أنفسهم «بأهل السنّة» غفلـةً وتقليداً.

وسنبين ذلك بنحـو أكثـر وضوحـاً في مـا يأتي من أبحـاث في مضمون هـذا الكتاب إن شاء الله تعالى.

﴿يا أيها الـذين آمنوا اتّقـوا الله وقولـوا قولاً سديـداً * يُصلح لكم أعمالكم ويغفـر لكم ذنـوبكم، ومـن يُطع اللـه ورسـولـه فقـد فـاز فـوزاً عظيماً﴾ (الأحزاب: 70ـ71).

أهل السنّة لا يعرفون السنّة النّبوية

أيها القارىء العـزيز، لا يستفـزّك هذا العنوان، فـأنت بحمد الله تمشي على طريق الحق لتصل في النهايـة إلى مرضاة الله سبحانه وتعالى. فـلا تدع وساوس الشيطـان، ولا الغرور بـالنّفس، ولا التعصّب المقيت يستولي عليك ويصـدك عن الوصول إلى الهدف المنشود والحق المفقود وجنة الخلود.

وكما قـدّمنا في مـا سبق بأنّ المتسمين «بأهل السنّـة والجماعـة» هم القائلـون بخلافة الخلفاء الـرّاشدين الأربعة: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي. هـذا ما يعرفه النّاس اليوم.

ولكنّ الحقيقـة المؤلمة هي أنّ علي بن أبي طـالب لم يكن معـدوداً عنـد «أهل السنّة» من الخلفاء الراشدين، لا ولم يعترفوا حتى بشرعية خلافته.

وإنما أُلحِقَ عليّ بالخلفاء الثـلاثة في زمن متأخرٍ جداً، وذلـك في سنة ثلاثين ومائتين للهجرة في زمن أحمد بن حنبل.

أمّـا الصّحـابـة من غير الشيعـة والخلفاء والملـوك والأمـراء الـذين حكمـوا المسلمين من عهـد أبي بكـر وحتى عهـد الخليفـة العبّـاسي محمـد بن الـرشيـد المعتصم، لم يكونوا يعترفـون بخلافة علي بن أبي طالب أبـداً، بل منهم من كان يلعنه ولا يعتبره حتى من المسلمين وإلا كيف يجوز لهم سبّه ولعنـه على المنابر؟! وقد عـرفنا سيـاسة أبي بكر وعمـر في إقصائه وعزلـه كما قدّمنـا، ثم جاء عثمان بعدهما فأمعن في احتقاره أكثر من صاحبيـه والتقليل من شأنه حتّى هدّده مرةً بـالنفي كما نفى أبـا ذر الغفـاري. ولما ولي معاويـة أمعن في سبّـه ولعنـه وحمل

الناس على ذلك فدأب حكّام بني أمية على ذلـك في كل مدينة وقرية ودام ذلك ثمانين عاماً[1].

بل وتـواصل ذلك اللعن والطعـن والبراءة منـه ومن شيعتـه أكثـر من ذلك بكثير، فهـذا المتـوكّل الخليفـة العبـاسي يصل بـه الحقـد إلى نبش قبر علي وقبر الحسين بن علي وذلك سنة أربعين ومائتين للهجرة.

وهذا الوليد بن عبد الملك أمير المؤمنين في عهده، يخطب الناس يوم الجمعة فيقـول لهم من فـوق المنبر: «إن الحديث الـذي رُوي عن رســول الله أنت مني بمنزلة هارون من موسى صحيـح ولكنه محرف لأنَ رسول الله قال له: أنت مني بمنزلة قارون من موسى» فاشتبه على السّامع[2].

ولمّا كان عهـد المعتصم الذي كثـر فيه الزنـادقة والملحـدون والمتكلمون وولّى عهد الخلافـة الراشـدة واشتغل النّاس بمشاكل هـامشيةٍ وكـانت محنة أحمد بن حنبل في قـوله بقدم القـرآن وأصبح الناس يـدينون بـدين ملوكهم وبـأن القرآن مخلوق.

ولمّا تراجع أحمد بن حنبل عن قـوله الأول خوفاً من المعتصم وخـرج من محنته واشتهر بعد ذلك ولمع نجمُه في عهد المتوكل بين أهل الحديث[3] عند ذلك أُلحِقَ علي بن أبي طالب بالخلفاء الثلاثة.

ولعلّ أحمد بن حنبل بهرته الأحاديث الصحيحة الواردة في فضائل علي والتي ظهرت رغم أنف الحكّام، فهو القائل: «لم يرد في أحدٍ من الناس من الفضائل بالأحاديث الحسان مثل ما ورد في علي بن أبي طالب».

عند ذلك ربّع بخلافته واعتبرها صحيحة بعدما كانت عندهم منكورة.

***الدّليل على ذلك:**

جاء في طبقات الحنـابلة ـ وهو الكتاب الصحيح والمشهـور عندهم ـ: عن ابن أبي يعلى بالإسناد عن وديزة الحمصي قال:

(1) كلّهم باستثناء عمر بن عبد العزيز (رحمه الله).

(2) تاريخ بغداد ج8، ص266.

(3) أهل الحديث هم أنفسهم أهل السنّة والجماعة.

دخلتُ على أحمد بن حنبل حين أظهر التربيع بعلي (رضي الله عنه)[1] فقلت له: يـا أبا عبد الله إنّ هـذا لطعن على طلحة والزّبير! فقـال: بئسما قلتَ، وما نحن وحرب القوم وذكرها؟ فقلت: أصلحك الله إنما ذكرناها حين ربَّعتَ بعلي وأوجبْتَ له الخلافة وما يجب للأئمة قبله!

فقال لي: ومـا يمنعني من ذلك؟! قلتُ: حديث ابن عمر فقـال لي: عمر خير من ابنه فقـد رضي علياً للخلافة على المسلمين وأدخلـه في الشورى، وعلي قد سمّى نفسه أمير المؤمنين، أفأقول أنا ليس للمؤمنين بأمير؟! قال: فانصرفتُ عنه[2].

ومن هذه القصّـة يتبين لنا بأنّ «أهل السنّـة» لم يقبلوا بخـلافة علي ويقـولوا بصحّتها إلاّ بعد أحمد بن حنبل بكثير كما لا يخفى.

ويظهر جلياً من هذا المحدث أنّه زعيم «أهل السنّة و الجماعة» ومتكلّمهم، لأنهم يرفضـون خلافة علي محتجين على ذلك بحـديث عبد الله بن عمر ـ فقيه أهل السنة ـ والذي أخرجه البخـاري في صحيحه وبما أنهم يقولون بأنّ البخاري هو أصحّ الكتب بعـد كتاب الله، فكان لـزاماً عليهم رفض خلافـة علي وعدم الاعتراف بها.

وقـد ذكرنـا هذا الحديث في كتـاب «فاسألـوا أهل الذكـر» ولا بأس بإعادتـه لتعميم الفائدة، فإن في الإعادة إفادة. أخرج البخاري في صحيحه عن عبد الله ابن عمر، قـال: «كنا نخير بين الناس في زمن النبي (ص) فنخير أبـا بكر، ثم عمر بن الخطاب، ثم عثمان بن عفان (رضي الله عنهم)[3].

كما أخرج البخاري في صحيحه حديثاً آخر لابن عمر أكثر صراحة من الأول إذ قال عبد الله بن عمر:

---

(1) أنظر إلى هذا المحـدّث رغم أنّه لا يسبّ علياً ولا يلعنه بل يقـول: (رضي الله عنه) ولكنّـه لا يقبل بأن يكون علي معدوداً من الخلفاء وينكر ذلك على أحمد بن حنبل، وقوله: إنّما ذكرناها يدلّ على أنّه يتكلّم باسم الجماعة وهم أهل السنّة الذين بعثوه إلى أحمد بن حنبل منكرين عليه.

(2) كتاب طبقات الحنابلة ج1، ص292.

(3) صحيح البخاري ج4، ص191، كتاب بدء الخلق، باب فضل أبي بكر بعد النبي.

«كنّا في زمن النبي (ص)لاَ نعـدل بأبي بكر أحـداً، ثم عمر، ثم عثمان، ثم نترك أصحاب النبي (ص)لا نفاضل بينهم»(1).

ومن أجل هذا الحديث الذي ليس لرسول الله فيه رأي ولا عمل، إنما هو من خيال عبد الله بن عمر وآرائه الفاسدة وحقده وبغضه المعروف لعلي، بنى «أهل السنّة والجماعة» مذهبهم على عدم الاعتراف بخلافة علي.

وبأمثال هذه الأحاديث استباح بنـو أميّة سبّ علي ولعنه وشتمه وانتقاصه، ودأب الحكـام من عهد معـاوية إلى أيـام مروان بن محمـد بن مروان سنـة 132 للهجـرة يلعنـون عليـاً على المنـابـر ويقتلـون من تشيّع لـه أو من أنكـر عليهم ذلك»(2).

ثم قامتْ دولة العباسيين من عهـد العباس السفّاح سنة 132 للهجرة وإلى عهد المتوكّل سنة 247 للهجرة، تواصلت خـلالها البراءة من علي ومن تشيّع له بأساليب مختلفة ومتعددة حسب الظروف والملابسات لأن دولة العباسيين قامتْ على أنقـاض أهل البيت والمتشيعين لهم، فكـان الحكـام لا يجهـرون بلعن عليّ عنـدمـا تقتضي مصلحـة الـدولـة ولكنهم يعملـون في الخفـاء أكثـر من عمل الأمويين وقـد استفادوا من التجربة التـاريخية التي أبرزت مظلـومية أهل البيت وشيعتهم وعطف النـاس عليهـم، فعمل الحكّـام بـدهـاء لكسب الموقف لصـالحهم وتقـربـوا إلى أئمـة أهل البيت لاَ حبـاً فيهم ولا اعترافـاً بحقّهم وإنما لاحتواء الثورات الشعبية التي تقوم في أطراف الدولة وتهدد كيانها، ذلك ما فعله المأمون بن هارون الرشيد مع الإمام علي بن موسى الرضا، أمّا إذا سيطرت الدولة وقضت على الثـورات الـداخلية فإنها تمعـن في إهانـة الأئمـة وشيعتهم كما فعل المتـوكل الخليفة العبـاسي الـذي اشتهر ببغض عليّ وشتمـه حتى نبش قبره وقبر الحسين.

ولكل ذلك قلنا بأن «أهل السنّة والجماعة» لم يقبلوا بخلافة علي إلاّ بعد زمن أحمد بن حنبل بكثير.

---

(1) صحيح البخاري ج 4، ص 203 باب مناقب عثمان بن عفّان من كتاب بدء الخلق.

(2) باستثنـاء سنتين تولّى خلالها عمر بن عبـد العزيز فأبطل اللّعن، ولكن بعد قتلـه عادوا إلى اللّعن وإلى أكثر من اللّعن حتّى نبشوا قبره، وحرّموا أن يتسمّى أحدٌ باسمه.

صحيح أن أحمد بن حنبل هو أول من قال بها، ولكنه لم يقنع بها أهل الحديث كما قدّمنا، لاقتدائهم بعبد الله بن عمر.

فلا بدّ لذلك من وقت طويل حتى يقتنع النّاس ويقبلوا الفكرة التي ظهر بها أحمد بن حنبل، والتي قد تظهر الحنابلة بمظهر المنصفين والمتقربين لأهل البيت فتميزهم عن المذاهب السنية الأخرى من المالكية والحنفية والشافعية والذين كانوا يتنافسون لكسب المؤيدين. فلا بدّ إذاً من قبول الفكرة وتبنيها.

وبمرور الزّمن قال «أهل السنّة والجماعة» كلّهم بمقولة أحمد بن حنبل وقبلوا بتربيع الخلافة بعلي وأوجبوا له ما أوجبوه للخلفاء الثلاثة من الاحترام والترضي.

أليس هذا أكبر دليل على أن «أهل السنّة والجماعة» كانوا من النواصب الذين يبغضون علياً ويعملون على انتقاصه وإسقاطه؟

ولقائل أن يقول: كيف يصحّ ذلك ونحن نرى اليوم «أهل السنّة والجماعة» يحبون الإمام علياً ويترضون عنه؟

فنقول نعم، لمّا قدُم العهد ومات الأئمة من أهل البيت ولم يعد هناك ما يخيف الحكام ويهدد ملكهم، وتلاشتْ هيبة الخلافة الإسلامية واستولى عليها المماليك والمغول والتّتار، وضعُف الدّين وأصبح أكثر المسلمين يُشغلهم الفن والطرب واللهو والمجون والخمر والجواري، وخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشّهوات، وأصبح المعروف عندهم منكراً والمنكر عندهم معروفاً وعم الفساد البر والبحر، عند ذلك بكى المسلمون على أسلافهم وتغنّوا بأمجادهم وتذاكروا أيامهم فسمّوها بالعصور الذّهبية وبما أنّ أفضل العصور عندهم هو عصر الصحابة فهم الذين فتحوا الأمصار ووسّعوا المملكة الإسلامية شرقاً وغرباً ودان لهم الأكاسرة والقياصرة فترضوا على الصحابة جميعاً بما فيهم علي بن أبي طالب. وإذا كان «أهل السنّة والجماعة» يقولون بعدالتهم جميعاً فلا يمكنهم عند ذلك أن يخرجوا علياً من بين الصحابة.

ولو قالوا بإخراجه لافتضحوا وكُشفَ أمرُهم عند كل عاقل وباحثٍ، فموّهوا

على العامة بأنه رابع الخلفاء الراشدين وهو باب مدينة العلم رضي الله عنه وكرّم الله وجهه.

ونحن نقول لهم: فلماذا لا تقلدوه في أمور دينكم ودنياكم إن كان اعتقادكم فيه صحيحاً بأنه باب مدينة العلم؟

لماذا تركتم الباب عمداً وقلّدتم أبا حنيفة ومالكاً، والشافعي وابن حنبل وابن تيمية، الذين لا يدانوه في علم ولاَ عملٍ ولا فضل ولا شرف، فأين الثرى من الثريا وأين السيف من المنجل وأين معاويةَ من علي لو كنتم تعقلون؟

هذا بقطع النظر عن كل النصوص الواردة عن رسول الله (ص) والتي توجب على كلّ المسلمين اتباع الإمام علي من بعده والاقتداء به، ولقائل من «أهل السنّة» أن يقول: إنّ فضل علي وسابقته وجهاده في سبيل الإسلام وعلمه الغزير وشرفه العظيم وزهده الكبير يعرفه الناس جميعاً، بل إن أهل السنّة يعرفون علياً ويحبونه أكثر من الشيعة (هذا ما يردده الكثير منهم اليوم).

فنقول لهؤلاء: أين كنتم[1] وأين كان أسلافكم وعلماؤكم عندما كان عليّ يلعن على المنابر مئات السنين؟ فلم نسمع ولم يحدثنا التاريخ أن أحداً منهم أنكر ذلك أو منع من ذلك أو قُتلَ من أجل ولآئه وحبّه لعلي، فلا ولن نجد من علماء أهل السنّة من فعل ذلك بل كانوا مقربين للسلاطين والأمراء والولاة لما أعطوهم من البيعة والرضا وأَفْتوا لهم بقتل الرافضة الذين يوالون علياً وذريته، وهؤلاء موجودون حتى في عصرنا الحاضر.

لقد دأب النصارى على معاداة اليهود عبر القرون واعتبروهم مجرمين وحملوهم مسؤولية قتل السيد المسيح عيسى بن مريم، ولكن لمّا ضعف أمر النصارى وتلاشت أمور العقيدة عندهم واعتنق أكثرهم مذهب الإلحاد وأصبحت الكنيسة في سلّة المُهملات للموقف المُعادي الذي وقفته ضد العلم والعلماء،

(1) لقد تعمّدت القول: أين كنتم، وأقصد بها المعاصرين من «أهل السنة والجماعة» اليوم، فإنّهم يقرأون في صحيح مسلم بأنّ معاوية كان يسبّ علياً ويأمر الصحابة بذلك، فلا ينكرون، بل إنّهم يترضّون على سيّدهم معاوية كاتب الوحي عندهم. فدلّ ذلك على أنّ حبّهم لعلي حبّ مزيّف خال عن كل اعتبار.

وفي المقابل قـويَ أمرُ اليهـود واستفحل واستشرى حتى احتلوا الأراضي العـربية والإسلامية بالقوة، وامتدّ نفوذهـم في الشرق والغرب وأقاموا دولة إسرائيل، عند ذلك اجتمع البابا يـوحنا بولس الثاني مع أحبار اليهود وبـرأهم من جريمة قتل المسيح.

«فالناس ناس والزمان زمان».

«أهل السنة» ومحق السنّة

نـريد في هـذا الفصل توضيح شيء مهـم لا غنى للباحث أن يتعمق فيـه، ليكتشف بدون لبس بأن الذين يتسمـون «بأهل السنّة» ليس لهم في الحقيقة من سنّة النّبي شيء يذكر.

وذلك لأنهم، أو بـالأحرى لأنّ أسلافهـم من الصحابـة والخلفاء الراشـدين عندهم الذين يقتدون بهم ويتقربـون إلى الله بحبهم وولائهم قد وقفوا من السنّة النبوية موقفاً سلبياً إلى درجة أنهم أحرقوها ومنعوا من كتابتها والتحدث بها[1].

وإضـافة لما سبق تـوضيحه، لا بـدّ لنـا من كشف الستار عن تلك المؤامـرة الخسيسة التي حيكتْ ضدّ السنّـة النبوية المطهرة لمنع انتشارهـا والقضاء عليها في المهد، وإبدالها ببدع الحكّام واجتهاداتهم وآراء الصحابة وتأويلاتهم.

وقد عمل الحكام الأوّلون:

* **أولاً**: على وضع الأحاديث المكـذوبة التي تؤيد مذهبهـم في منع الكتابه لعموم السنّة النبوية والأحاديث الشريفة.

فها هـو الإمام مسلم يخرج في صحيحـه، عن هدّاب بن خـالد الأزدي عن همام عن زيـد بن أسلم عن عطـاء بن يسـار عن أبي سعيـد الخدري أن رسـول الله (ص) قال:

---

(1) يراجع في هذا الصّدد كتاب «فاسألوا أهل الذكر» من صفحة 200 وما بعدها.

«لا تكتبـوا عني، ومن كتب عني غير القـرآن فليمحـه، وحـدّثـوا عني ولا حرج. . . »[1].

والغـرض من وضع هـذا الحديث هو تبريـر مـا فعلـه أبو بكـر وعمـر تجاه الأحاديث النبوية التي كتبها بعض الصحابة ودونوها، وقد وُضع هذا الحديث في زمن متأخر عن الخلفـاء الرّاشدين، وغفل الـوضاعون الكاذبـون عن الأمور التالية:

أ: لو قال هذا الحديث صـاحب الرسالة لامتثل أمره الصحابـة الذين كتبوا عنه ولمحوه قبل أن يتولى أبو بكر وعمر حرقها بعد سنوات عديدة من وفاة النبي (ص).

ب: لو كان هذا الحديث صحيحاً لاستدلّ بـه أبو بكر أولاً، ثم عمر ثانياً، لتبرير منعهما كتابة الأحاديث ومحوها، ولاعتـذر أولئك الصحابة الذين كتبوها إما جهلاً و إما نسياناً.

ت: لو كان هذا الحديث صحيحاً لوجبَ على أبي بكر وعلى عمر أنْ يمحوا الأحاديث محواً لا أن يحرقاها حرقاً.

ث: لو صحّ هذا الحديث فـالمسلمون من عهد عمر بن عبد العـزيز الى يوم الناس هذا كلهم آثمون لأنهم خالفـوا نهي الرسول (ص) وعلى رأسهم عمر بن عبد العزيـز الذي أمر العلماء في عهده بتدوين الأحاديث وكتـابتها، والبخاري ومسلم اللذان يُصحّحان هـذا الحديث ثم يعصيانه ويكتبان ألـوف الأحاديث عن النبي.

ج: وأخيراً لو صحّ هـذا الحديث لما غاب عن باب مـدينة العلم علي بن أبي طـالب الـذي جمع أحاديث النبي في صحيفـة طـولها سبعـون ذراعاً ويسميهـا الجامعة (وسيأتي الكلام عنها لاحقاً بحول الله).

* ثانياً: عمل الحكـام الأمـويـون على التأكيـد بأن رسـول الله (ص) غير معصوم عن الخطأ وهـو كغيره من البشر الذين يخطئون ويصيبـون، ويروون في

---

(1) صحيح مسلم ج8، ص229 كتاب الزهد والرقائق باب التثبّت في الحديث وحكم كتابة العلم.

ذلك عـدة أحاديث. والغـرض من وضع تلك الأحـاديث هو التأكيـد على أن النبي (ص) كان يجتهد برأيه فكان كثيراً مـا يخطىء مما حدا ببعض الصحابة أنْ يصـوب رأيـه، كما جـاء ذلك في قضيـة تأبير النخل ونـزول آيـة الحجـاب، والاستغفار للمنافقين، وقبول الفدية من أسرى بدر، وغير ذلك مما يدعيه «أهل السنة والجماعـة» في صحاحهم ومـا يعتقدونه في صـاحب الرسـالة (عليـه وآله أفضل الصلاة وأزكى السّلام).

ونحن نقول لأهل السنّة والجماعة:

إذا كـان هذا هـو ديدنكم وهـذا هـو اعتقادكم في رسـول الله (ص) فكيف تدعون التمسك بسنته، وسنته عنـدكم وعند أسلافكم غير معصومة، بل غير معلومة ولا مكتوبة؟[1]

على أننـا نـردُّ على هـــذه المزاعم والأكـاذيب ونـدحضهـا من نفس كتبكم وصحاحكم[2].

فهـذا الإمام البخـاري يخرج في صحيحـه من كتـاب العلم وفي بـاب كتابـة العلم، عن أبي هريرة قال: ما من أصحـاب النبي (ص) أحد أكثر حديثاً عنه مني، إلا ما كان من عبد الله بن عَمْرو فإنّه **كان يكتُبُ ولاَ أكتُبُ**[3].

ويستفاد من هذه الرواية بأنّ هناك من أصحاب النبي (ص) من كان يكتب أحـاديثه، وإذا كـان أبو هـريرة يـروي أكثـر من ستة آلاف حـديث عن النبي شفاهياً فإن عبد الله بن عمرو بن العاص فـاق هذا العدد كتابياً ولذلك اعترف أبو هريرة بأن عبد الله بن عمرو أكثر منه أحاديث عن النبي لأنه كان يكتب ولا شكّ بأن هنـاك في الصحابـة كثيرين ممن كـانوا يكتبـون عن النبي أحاديثـه ولم يذكرهم أبو هريرة لعدم اشتهارهم بكثرة الرواية عنه(ص).

---

(1) لأنّ تدوين السنّة النبوية تأخر إلى زمن عمر بن عبد العزيز أو بعده، أمّا الخلفاء والحكّام الذين حكموا قبله فقد أحرقوها ومنعوا من كتابتها والتحدّث بها.

(2) الغريب أنّ أهل السنّة كثيراً ما يـروون الحديث ونقيضه في نفس الكتاب، والأغرب من ذلك أنّهم كثيراً ما يعملون بما هو مكذوب ويهملون ما هو صحيح.

(3) صحيح البخاري ج1، ص36 باب كتابة العلم.

وإذا أضفنا إلى هؤلاء الإمام علي بن أبي طالب الذي كان ينشر من فوق المنبر صحيفة يسمّيها الجامعة، جمع فيها كلّ ما يحتاجه النّاس من أحاديث النبي (ص) وقد توارثها الأئمة من أهل البيت (عليهم السّلام) وكثيراً ما تحدثوا عنها.

فقد قال الإمام جعفر الصادق:

«إنّ عندنا لصحيفة طولها سبعون ذراعاً، إملاء رسول الله (ص) وخط علي بيده، ما من حلال ولا حرام وما من شيء يحتاج إليه الناس وليس قضية إلا وهي فيها حتى أرش الخدش»[1].

وقد أشار البخاري نفسه في صحيحه إلى هذه الصحيفة التي كانت عند علي في عدة أبواب من كتابه، ولكنه وكما عودنا البخاري فإنه أبتر الكثير من خصائصها ومضمونها.

قال البخاري في باب كتابة العلم:

«عن الشعبي عن أبي جحيفة قال: قلت لعلي هل عندكم كتاب؟

قال: لا إلا كتاب الله أو فهم أُعطيه رجلاً مسلماً أو ما في هذه الصحيفة.

قال: قلت: وما في هذه الصحيفة؟

قال: العقل وفكاك الأسير ولا يقتل مسلم بكافر»[2].

كما جاء في صحيح البخاري في موضع آخر قوله:

«عن الأعمش عن إبراهيم التيمي عن أبيه عن علي قال: ما عندنا شيء إلاّ كتاب الله وهذه الصحيفة عن النبي (ص)»[3].

كما جاء في موضع آخر من صحيح البخاري قوله:

---

(1) أصول الكافي ج1، ص239 وكتاب بصائر الدرجات ص143.

(2) صحيح البخاري ج1، ص36.

(3) صحيح البخاري ج2، ص 221.

عن إبراهيم التيمي عن أبيه قال: خطبنا علي فقال: «ما عندنا كتاب نقرأه إلا كتاب الله وما في هذه الصحيفة»[1].

وينقل البخاري في باب آخر من صحيحه قوله:

عن علي (رضي الله عنه) قال: «ما كتبنا عن النبي (ص) إلا القرآن وما في هذه الصحيفة»[2].

كما أخرج البخاري في موضع آخر من صحيحه قوله:

عن إبراهيم التيمي عن أبيه قال: خطبنا علي (رضي الله عنه) على منبر من آجر وعليه سيف فيه صحيفة معلقة، فقال: «والله ما عندنا كتاب يقرأ إلا كتاب الله وما في هذه الصحيفة»[3].

ولم ينقل البخاري ما قاله الإمام جعفر الصادق من أن الصحيفة تسمى الجامعة لأنها جمعتْ كلّ حلال وكلّ حرام، وفيها كل ما يحتاجه الناس حتى أرش الخدش بإملاء رسول الله (ص) وخط علي بن أبي طالب. فاختصرها بقوله مرة: بأن فيها العقل وفكاك الأسير ولا يقتل مسلم بكافرٍ، ومرة أخرى بقوله: فنشرها علي فإذا فيها أسنان الإبل، وإذا فيها المدينة حرم... وإذا فيها ذمة المسلمين واحدة... وإذا فيها من والى قوماً بغير إذن مواليه...

إنه التزوير والتعتيم على الحقائق، وإلا هل يعقل أنْ يكتب علي هذه الكلمات الأربعة في صحيفة ويعلقها على سيفه وتلازمه عندما يخطب من فوق المنبر ويجعل منها المرجع الثاني بعد كتاب الله فيقول للناس: ما كتبنا عن النبي إلا القرآن وما في هذه الصحيفة؟؟!

وهل كان عقل أبي هريرة أكبر من عقل علي بن أبي طالب إذ كان يحفظ عن رسول الله مائة ألف حديث من غير كتابة؟

---

(1) صحيح البخاري ج4، ص67 وصحيح مسلم ج4، ص115.
(2) صحيح البخاري ج4، ص69.
(3) صحيح البخاري ج8، ص144.

عجيب والله أمر هؤلاء الذين يقبلون مائة ألف حديث عن أبي هريرة الذي لم يصحب النبي إلاّ ثلاث سنوات وكان يجهل القراءة والكتابة ويزعمون بأن علياً باب مدينة العلم الذي تعلم منه الصحابة شتى العلوم والمعارف، كان يحمل صحيفة فيها أربعة أحاديث ظلت تلازمه من حياة الرسول إلى أيام خلافته فيصعد بها على المنبر وهي معلقة على سيفه؟ كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً.

على أن في ما أخرجه البخاري كفاية للباحثين والعقلاء، وذلك عندما ذكر بأن فيها العقل، فهو دليل بأن في الصحيفة أشياءً كثيرةً تخص العقل البشري والفكر الإسلامي.

ونحن لا نريد إقامة الدليل على ما في الصحيفة، فأهل مكة أدرى بشعابها وأهل البيت أدرى بما فيه وقد قالوا بأن فيها كلّ ما يحتاجه الناس من حلال وحرام حتى أرش الخدش.

ولكن الذي يهمنا في هذا البحث هو أن الصحابة كانوا يكتبون أحاديث النبي (ص)، وقول أبي هريرة بأن عبد الله بن عمرو كان يكتب أحاديث النبي، وقول علي بن أبي طالب: ما كتبنا عن رسول الله إلا القرآن وما في هذه الصحيفة، كما جاء في صحيح البخاري، هو دليل قاطع على أن رسول الله (ص) لم ينه عن كتابة أحاديثه أبداً، بل العكس هو الصحيح، وأن الحديث الذي أخرجه مسلم في صحيحه «لا تكتبوا عني ومن كتب عني غير القرآن فليمحه» هو حديث مكذوب وضعه أنصار الخلفاء لتأييد وتبرير ما فعله أبو بكر وعمر وعثمان من حرق الأحاديث النبوية ومنع السنة من الانتشار. ومما يزيدنا يقيناً بأن رسول الله (ص) لم ينه عن كتابة الأحاديث عنه بل إنه أمر بها، هو ما قاله الإمام علي أقرب الناس للنبي: «ما كتبنا عنه غير القرآن وما في هذه الصحيفة» والذي صححه البخاري.

وإذا أضفنا إلى هذا قول الإمام جعفر الصادق بأن الصحيفة الجامعة هي من إملاء رسول الله وخط علي فمعناه أن النبي أمر علياً بالكتابة.

وحتى لا يبقى عندك شك أيها القارىء العزيز، أزيدك ما يلي :

أخرج الحاكم في مستدركه وأبو داود في صحيحه والإمام أحمد في مسنده والدارمي في سننه ، أخرجوا كلهم حديثاً مهماً جداً بخصوص عبد الله بن عمرو الذي ذكره أبو هريرة بأنه كان يكتب عن النبي :

قال عبد الله بن عمرو: كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله (ص)، فنهتني قريش وقالوا : تكتب كل شيء سمعته من رسول الله وهو بشر يتكلم في الغضب والرضا؟

قال عبد الله : فأمسكت عن الكتابة ، فذكرت ذلك لرسول الله (ص) فأومأ إلى فيه وقال : «**أكتب فوالذي نفسي بيده ما خرج منه إلا الحق**»[1].

ونُلاحظ من خلال هذا الحديث بأن عبد الله بن عمرو كان يكتب كل ما يسمعه من النبي (ص) فلم ينهه النبي عن ذلك وإنما وقع النهي من قريش، ولم يرد عبد الله التصريح بأسماء الذين نهوه عن الكتابة لأن في نهيهم طعن على رسول الله ، كما لا يخفى فأبهم القول بأنهم قريش ، والمقصود بقريش زعماؤها من المهاجرين وعلى رأسهم أبو بكر وعمر وعثمان وعبد الرحمان بن عوف وأبو عبيدة وطلحة والزبير ومن سار على رأيهم .

كما نلاحظ بأن نهيهم لعبد الله كان في حياة النبي (ص) وهذا ما يؤكد عمق المؤامرة وخطورتها .

وإلا لماذا يعمد هؤلاء لنهي عبد الله عن الكتابة بدون الرجوع إلى النبي نفسه؟

كما يفهم أيضاً من قولهم له : إن رسول الله بشر يتكلم في الغضب والرضا، أن عقيدتهم في النبي كانت هزيلة إلى درجة أنهم يشكون فيه بأنه يقول باطلاً ويحكم ظلماً خصوصاً في حالة الغضب . وما قول النبي (ص) عندما ذكر له عبد الله بن عمرو نهي قريش وما قالوه في شأنه فقال (ص) :

---

(1) مستدرك الحاكم ج 1، ص 105 .
سنن أبي داود ج 2، ص 126 .
سنن الدارمي ج 1، ص 125 .
مسند الإمام أحمد بن حنبل ج 2، ص 162 .

«أكتب فوالـذي نفسي بيده ما خرج منـه إلا الحق» ـ إشارة إلى فمه ــ لدليل آخـر على علم الـرسـول بشكهم في عدالتـه، وأنهم يجوزون عليـه الخطأ وقـول الباطل فأقسم بالله بأنه لا يخرج من فمه إلا الحق.

وهذا هو التفسير الصحيح لما جاء في قوله سبحانه وتعالى:

﴿وما ينطق عن الهوى *إن هو إلا وحي يوحى﴾ (النجم: 3 ـ 4)

وأنـه (ص) معصـوم عـن الخطأ وقـول البـاطل وبهذا فإننـا نجـزم بأن كل الأحاديث والروايات التي وضعت في زمن الأمـويين والتي يستفاد منها بأنه غير معصـوم لا يصح شيء منها، كما أن الحديث المذكـور يشعرنـا بأن تأثيرهم على عبـد الله بن عمرو كـان كبيراً حتى أمسك عن الكتابـة كما صرح هو بنفسـه إذ قال: «فأمسكت عـن الكتابة» وبقي على ذلك إلى أن جـاءتْ مناسبـة تدخل فيها رسول الله بنفسـه لإزالة الشكوك التي تثار حول عصمته وعـدالته، وكانت كثيراً ما تثـار حتى بمحضره (ص) كقولهم لـه صراحة: أأنت نبـي الله حقاً؟[1] أو: أنت الذي تزعم أنك نبي[2]، أو والله ما قصد بهذه القسمة وجه الله[3].

أو كقول عائشـة للنبي: إن ربك يسارع في هواك[4] أو قولها له: أقصد إلى غير ذلك من العبارات النابية التي تُعربُ عن شكهم في عصمته واعتقادهم بأنه يحيف ويظلم ويخطىء ويكذب والعياذ بالله.

فكان (ص) صاحب الخلق العظيم رؤوفاً رحيماً كثيراً ما يُزيح تلك الشبهات بقولـه مرة: ما أنا إلا عبـد مأمور، ومرة يقول: والله إني لأبـر لله وأتقى، وأخرى يقول: والذي نفسي بيده ما خرج منه إلا الحق، وكثيراً ما كان يقول: رحم الله أخي موسى لقد أوذي بأكثر من هذا فصبر.

فلم تكن هـذه الكلمات النـابيـة التي تطعن في عصمتـه وتشكك في نبـوتـه

---

(1) قاله عمر بن الخطاب في صلح الحديبية أخرجه البخاري ج2، ص122.

(2) قالته عائشة بنت أبي بكر للنّبي كتاب إحياء العلوم للغزالي ج2، ص29.

(3) قاله صحابي من الأنصار للنّبي (ص) وأخرجه البخاري ج4، ص47.

(4) صحيح البخاري ج6ص24 وكذلك في صفحة 128 من الجزء السّادس.

صادرة عن أناس متروكين أو عن المنافقين، ولكنها مع الأسف صدرت عن عظماء الصحابة وعن أم المؤمنين والذين هم عند «أهل السنّة والجماعة» قدوة وأسوة حسنة فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

ومما يزيدنا يقيناً بأن حديث « لا تكتبوا عني» هو حديث موضوع لا أساس له من الصحة ولم ينطق به رسول الله إطلاقاً، أنّ أبا بكر نفسه كان يكتب عن رسول الله بعض الأحاديث التي جمعها في عهد النبي، ثم بعدما تولى الخلافة بدا له أن يحرقها لأمرٍ قد لا يخفى على الباحثين.

فها هي ابنته عائشة تقول: جمع أبي الحديث عن رسول الله فكانت خمسمائة حديث فبات يتقلب، فقلت: يتقلب لشكوى أو لشيء بلغه، فلما أصبح قال: إي بنية هلمّي بالأحاديث التي عندك، فجئته بها فأحرقها[1].

وهذا عمر بن الخطاب أيضاً في خلافته يخطب يوماً في الناس قائلاً: «لا يبقينّ أحدٌ عنده كتاباً إلاّ أتاني به فأرى فيه رأيي» فظنّوا أنّه يريد النّظر فيها ليقوّمها على أمر لا يكون فيه اختلاف، فأتوه بكتُبهم فأحرقها بالنّار[2].

كما بعث في الأمصار يأمرهم: من كان عنده شيء فليمحه[3]. فهذا أكبر دليل على أنّ الصحابة عامّة سواء منهم المقيمين في المدينة أو في بقية الأمصار الإسلامية الأخرى كلّهم عندهم كتبٌ جمعوا فيها الأحاديث النّبوية التي كتبوها على عهده (ص)فأحرقت كلّها بفعل أبي بكر أولاً ثمّ عمر ثانياً ومُحيتْ بقية الكتب التي في الأمصار بأمر عمر في خلافته[4].

وعلى هذا فلا يمكن لنا ولا لأي عاقل أن يصدّق بأنّ رسول الله نهاهم عن

---

(1) كنز العمّال ج5، ص237، وابن كثير في البداية والنهاية، وتذكرة الحُفّاظ للذهبي ج1، ص5.

(2) الطبقات الكبرى لابن سعد ج5ص188 والخطيب البغدادي في تقييد العلم.

(3) جامع بيان العلم لابن عبد البر.

(4) أنظر رعاك الله إلى هذا العمل الشنيع الذي فعله الخلفاء أبو بكر وعمر تجاه السنّة النّبويّة، والخسارة العُظمى التي لا تُقدّر والتي تسببا فيها للأمّة الإسلامية التي كانت في أشدّ الحاجة للأحاديث النّبويّة لفهم القرآن وفهم أحكام الله تعالى، وإنّها لعمري أحاديث صحيحة لأنهم كتبوها عنه مباشرة وبدون واسطة، أمّا الأحاديث التي جُمِعَتْ في ما بعد أغلبها أحاديث موضوعة، لأنّ الفتنة وقعت وقتل المسلمون بعضهم، وكتبت بأمر الحكّام الجائرين.

كتابة الحديث بعدما عرفنا بأنّ أكثر الصحابة كانت عندهم كتب للأحاديث وخصوصاً الصحيفة التي كانت تلازم الإمام علي وطولها سبعون ذراعاً ويُسمّيها الجامعة لأنّها جمعتْ كل شيء.

وبما أنّ السّلطة الحاكمة والسّياسة السّائدة، اقتضتْ مصالحها محو السنّة وحرقها وعدم التحدّث بها، فإنّ الصّحابة المؤيّدين لتلك الخلافة امتثلوا الأوامر ونفّذوها، فلم يبقَ لهم ولا لأتباعهم من التّابعين سوى الاجتهاد بالرأي، أو الاقتداء بسنّة أبي بكر وسنّة عمر وسنّة عثمان وسنّة معاوية وسنّة يزيد وسنّة مروان بن الحكم وعبد الملك بن مروان والوليد بن عبد الملك وسنّة سليمان بن عبد الملك إلى أن جاء عمر بن عبد العزيز فطلب من أبي بكر الحزمي أن يكتب له ما كان من حديث رسول الله أو سنّته أو حديث عمر بن الخطاب(1).

وهكذا يتبين لنا أنّه حتّى في الظروف التي سمحتْ بتدوين السنّة وبعد مرور مائة سنة على طمسها ومنعها، نرى الحاكم الأموي المعتدل والذي ألحقه «أهل السنّة» بالخلفاء الرّاشدين، يأمرُ بجمع سنّة رسول الله وسنّة عمر بن الخطاب، وكأنّ عمر بن الخطّاب شريك محمد في رسالته ونبوّته.

ولماذا لم يطلب عمر بن عبد العزيز من أئمّة أهل البيت الذين عاصرهم أن يعطوه نسخة من الصّحيفة الجامعة، ولماذا لم يكلّفهم هم بجمع الأحاديث النّبوية فهم أعلم بحديث جدّهم من غيرهم؟؟

فالمحقّقون والباحثون يعرفون سرّ ذلك.

وهل يحصل الاطمئنان إلى تلك الأحاديث التي جمعها «أهل السنّة والجماعة» من بني أميّة وأعوانهم الذين يمثّلون خلافة قريش وقد عرفنا حقيقة قريش وعقيدتها في رسول الله وسنّته المطهّرة؟

ويبقى واضحاً بعد هذا بأنّ السّلطة الحاكمة وعلى مرّ عصور الخلافة، عملت بالاجتهاد والقياس ومشاورة بعضهم.

وبما أنّ السلطة قد أقصت الإمام علياً عن مسرح الحياة وأهملته فلم يكن لها عليه من سلطان لحرق ما كتبه في عهد الرّسالة بإملاء النّبي نفسه.

---

(1) موطأ الإمام مالك ج 1، ص 5.

وبقي علي بن أبي طالب يحتفظ بتلك الصّحيفة التي جمع فيها كلّ ما يحتاجه النّاس حتّى أرش الخدش، ولمّا تولّى الخلافة كان يُعلّقها على سيفه ويصعد على المنبر ليخطُب في النّاس ويُعرّفهم بأهمّيتها.

وقد تواترت الأخبار عن أئمّـة أهل البيت (عليهم السلام) بأنّهم توارثوا تلك الصّحيفة أباً عن جدّ وكابراً عن كابـر، وكانوا يفتون بها في المسائل التي يحتاجها معاصروهم ممّن اقتدوا بهديهم.

ولذلك كان الإمام جعفر الصّادق والإمـام الرضا وغيرهم من الأئمّة يردّدون دائماً نفس الكلام بخصوصها ويقولون: «إنّنا لا نفتـي النّاس بآرائنا، إنّا لو كنّا نفتي النّاس برأينا وهوانـا لكنّا من الهالكين، ولكنّها آثار من رسول الله (ص)، أهل علم نتوارثها كابراً عن كابر، نكتنزها كما يكتنز الناس ذهبهم وفضّتهـم»[1].

وقال جعفر الصّادق مرّة أخرى:

حديثي حديـث أبي، وحديث أبي حديث جدّي، وحديـث جدّي حديث الحسين، وحـديث الحسين حـديث الحسن، وحـديث الحسـن حـديث أمير المؤمنين، وحديث أمير المؤمنين حديث رسول الله، وحـديث رسول الله هو قول الله (عزّ وجلّ)[2].

وبكلّ هـذا يُصبحُ حديث الثّقلين المتـواتـر: تركتُ فيكم الثّقلين كتـاب الله وعترتي ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّـوا بعدي أبداً[3]، هو الحقّ الذي ليس بعده إلاّ الضّلال، وتصبحُ السنّة النّبويـة، الصّحيحة ليس لها من حافظ وراع وقيّم غير الأئمة الأطهار من آل بيت المصطفى المختار.

كما يُستنتجُ من هذا أنّ شيعة أهل البيت الذين تمسّكوا بالعترة هم أهل السنّة النّبوية، وأنّ «أهل السنّة والجماعة» مدّعون ما ليس لهم، ولا تقُوم دعواهم على حجة ولا دليل.

ـ والحمد لله الذي هدانا لهذا ـ.

---

(1) معالم المدرستين للعلاّمة العسكري ج2، ص302.

(2) أصول الكافي ج1، ص53.

(3) صحيح مسلم ج5، ص122. صحيح الترمذي ج5، ص637.

الشيعة في نظر «أهل السنّة»

إذا استثْنينا بعض العلماء المعـاصرين الذين أنصفوا في كتابـاتهم عن الشيعة بما تفرضه عليهم الأخلاق الإسلامية، فإنّ الأغلبية الساحقة منهم قديماً وحديثاً لازالوا يكتبون عن الشيعة بعقلية الأمويين الحاقدين، فتراهم في كل واد يهيمون ويقولون ما لا يفقَهون، ويسبّون ويشتمـون ويتقولون افتراء وبهتاناً على شيعة آل البيت ما هم منه براء، ويكفّرونهم وينبذونهم بالألقاب اقتداء بسلفهم الصّالح معاويـة وأضرابه، الذين استـولوا على الخلافة الإسلاميـة بالقوة والقهـر والمكر والدّهاء والخيانة والنفاق.

فمـرّة يكتبون بأنّ الشيعـة هي فرقـة من تأسيس عبد الله بن سبأ اليهـودي، ومرّة يكتبون بأنهم من أصل المجوس، وأنهم روافض قبّحهم الله، وأنهم أخطر على الإسلام من اليهـود والنّصارى، ومرّة يكتبون بأنهم منـافقون لأنهم يعملون بالتّقية وأنهم إبـاحيون يبيحون نكاح المحارم ويحللـون المتعة وهي زنا، والبعض يكتب بأنّ لهم قرآناً غير قرآننا، وأنهم يعبـدون علياً والأئمة من بنيه ويبغضـون محمداً وجبريل وأنهم وأنهم...

ولا يمـرُ عـامٌ إلاّ ويطلع علينا كتـاب أو مجمـوعـة كتب من أولئك العلماء الذين يتزعّمون «أهل السنة والجماعة» بزعمهم وكلّه تكفير واستهانة بالشيعة.

وليس لهم في ذلك مبرر ولا دافع إلاّ إرضاء أسيـادهم الذين لهم مصلحة في تمزيق الأمة وتفريقها والعمل على إبادتها. كما ليس لهم فيما يكتبون من حجّة ولا دليل سوى التعصّـب الأعمى والحقد الدّفين والجهل المقيـت، وتقليد السّلف

بدون تمحيص ولا بحث ولا بيّنة، فهم كالببّغاء يعيدون ما يسمعون ويستنسخون ما كتبه النواصب من أذناب الأمويّين، والذين لايزالون يعيشون على مدح وتمجيد يزيد بن معاوية(1).

فلا نستغربُ من أولئك الممجدين ليزيد بن معاوية، أن يسبّوا ويكفّروا أعداء يزيدٍ هذا.

وإذا كان سلفهم الصالح، يزيد وأبوه معاوية يغدقون على أتباعهم ومن تشيّع لهم الذهب والفضة ويشترون بها ضمائرهم في الماضي، فإن ملايين الدولارات، والقصور الفخمة في لندن وباريس والتي ملئتْ بزرق العين، من الشقراوات، والخمر المصفّى، لقادر على شراء ضمائرهم ودينهم وأوطانهم في الحاضر.

ولو كان هؤلاء يتبعون السنّة النّبوية كما يزعمون لتعلّموا من أخلاقه العالية (ص) احترام الغير ولو خالفهم في العقيدة.

ألم تقل السنّة النّبوية: «المسلم للمسلم كالبنيان المرصوص يشدّ بعضه بعضاً»، و «المسلم للمسلم كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضوٌ تداعى له سائر الجسد بالسّهر والحمّى».

ألم يصرّح النبي (ص) بأنّ «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر» فلو كان هؤلاء الكتّاب المدعون أنهم من« أهل السنة والجماعة» يعرفون السنّة النبويّة، لما سمحتْ لهم نفوسهم بتكفير من يشهد أن لا إله إلاّ الله وأنّ محمداً رسول الله، ويقيم الصلاة ويؤتي الزّكاة ويصوم رمضان، ويحج البيت الحرام، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر.

وبما أنهم أتباع السنّة الأموية والقريشية فهم يتكلّمون ويكتبون بالعقلية الجاهلية والأفكار القبليّة والنّعرات العنصرية. فالشيء من مأتاه لا يستغربُ، وكل إناء بالذّي فيه ينضح.

---

(1) فقد نشرت وزارة المعارف للمملكة العربية السعودية كتاباً بعنوان: «حقائق عن أمير المؤمنين يزيد بن معاوية». وهذا الكتاب انتخبته وزارة المعارف للتدريس في مدارسها الرّسمية.

ألم يقل رسول الله (ص) كما جاء في الذكر الحكيم: **﴿قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم....﴾**(آل عمران: 64)؟

فإن كانوا من أهل السنة حقاً، فلينادوا أخوانهم من الشيعة إلى كلمة سواء بينهم.

وإذا كان الإسلام ينادي أعداءه من اليهود والنّصارى إلى كلمة سواء للتفاهم والتآخي، فكيف بمن يعبدون إلهاً واحداً، ونبيهم واحدٌ وكتابهم واحدٌ، وقبلتهم واحدة ومصيرهم واحدٌ!

فلماذا لا ينادي علماء «أهل السنة» إخوانهم من علماء الشيعة ويجلسون معهم حول طاولة البحث، ويجادلونهم بالتي هي أحسن ويصلحون عقائدهم إن كانت فاسدة كما يزعمون؟

لماذا لا يعقدون مؤتمراً إسلامياً يجمع علماء الفريقين وتطرحُ فيه كل المسائل الخلافية على مسمع ومرأى من كل المسلمين حتّى يعرفوا وجه الصواب من الكذب والبهتان؟

وخصوصاً وأن «أهل السنة والجماعة» يمثّلون ثلاثة أرباع المسلمين في العالم، ولهم من الإمكانات المادّية والنفوذ لدى الحكومات ما يجعل ذلك عندهم سهلاً ميسوراً إذ يملكون الأقمار الصناعية.

ولأن «أهل السنة والجماعة» لا يعملون لمثل هذا أبداً، ولا يريدون المواجهة العلمية التي ينادي بها كتاب الله المجيد بقوله:

﴿قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين﴾ (البقرة: 111)

﴿قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا إن تتبعون إلاّ الظنّ وإن أنتم إلا تخرصون﴾ (الأنعام: 148).

ولذلك تراهم دائماً يلجأون إلى السبّ والشتم والتكفير والبهت والافتراء وهم يعرفون بأنّ الحجة والدليل مع خصومهم الشيعة.

وأعتقد بأنهم يخافون أن يتشيّع أكثر المسلمين إذا ما كُشفتْ الحقائق كما وقع

بالفعل لبعض العلماء الأزهريين في مصر الـذين سمحوا لأنفسهم بالبحث عن الحق فأدركوه واستبصروا ونبذوا ما كانوا عليه من عقيدة «السلف الصالح».

فالعلماء من «أهـل السنة والجماعة» يـدركون هـذا الخطر الـذي يهدّد كيانهم بالـذّوبان، فإذا أعيتهم الحيلـة وصل الأمر بـالبعض منهم أن حرّم على أتبـاعه ومقلّديـه أن يجلسوا مع الشيعـة أو يجادلوهم أو يتـزوجوا منهم أو يـزوّجوهم أو يأكلوا من ذبائحهم.

ويُفهم من موقفهم هذا بأنهم أبعد ما يكونون عن السنّة النبوية، وهم أقرب ما يكـونون من سنّـة بني أميّة الـذين عملوا بكـل جهودهم على إضـلال الأمّة المحمّديـة بأي ثمن لأنّ قلوبهم لم تخشع لـذكر الله وما نـزل من الحقّ ودخلوا في الإسلام وهم كارهون.

وهذا ما عبر عنه إمامهم معاوية بن أبي سفيان الذي قتل خيار الصحابة من أجل الوصول إلى الحكم فقط، فقد قال في أول خطبة له:

«إني لم أقـاتلكم لتصلّـوا ولا لتصـوموا ولا لتحجّـوا، وإنّما قـاتلتكم لأتأمـر عليكم، وقد أعطاني الله ذلك وأنتم كارهون».

وصدق الله إذ يقـول: **﴿إنّ الملوك إذا دخلوا قرية أفسـدوها وجعلوا أعزّة أهلها أذلة وكذلك يفعلون﴾** (النمل: 34).

«أهل السنة والجماعة» في نظر الشيعة

إذا استثنينا بعض المتعصبين من عوام الشيعة الذين ينظرون إلى «أهل السنّة والجماعة» بأنهم كلّهم من النّواصب[1]، فإنّ الأغلبية السّاحقة من علمائهم قديماً وحديثاً، لازالوا يعتقدون بأنّ إخوانهم من «أهل السنة والجماعة» هم ضحايا الدّس والمكر الأموي لأنهم أحسنوا الظنّ «بالسّلف الصالح» واقتدوا بهم بدون بحث ولا تمحيص، فأضلّوهم عن الصراط المستقيم وأبعدوهم عن الثقلين ـ كتاب الله والعترة الطّاهرة ـ اللذين يعصمان المتمسك بهما من الضّلالة ويضمنان له الهداية.

فتراهم كثيراً ما يكتبون للدّفاع عن أنفسهم وللتعريف بمعتقداتهم داعين للإنصاف ولتوحيد الكلمة مع إخوانهم من «أهل السنّة والجماعة».

وقد جاب بعض علماء الشيعة في الأقطار والأمصار باحثين عن الأساليب الكفيلة لتأسيس دور وجمعيات إسلامية للتقريب بين المذاهب ومحاولة جمع الشمل.

ويمّم آخرون منهم وجهتهم صوب الأزهر الشريف منارة العلم والمعرفة عند «أهل السنّة»، وتقابلوا مع علمائه وجادلوهم بالتي هي أحسن، وعملوا على إزالة الأحقاد، كما فعل الإمام شرف الدّين الموسوي عند لقائه بالإمام سليم الدّين البشري، وكان من نتيجة ذلك اللقاء والمراسلات ولادة الكتاب القيّم

(1) النواصب جمع ناصبي: وهم الذين ناصبوا العداء لأهل البيت النّبوي وحاربوهم وقتلوهم وتتبّعوهم أمواتاً فنبشوا قبورهم.

المسمّى بـ «المراجعات» والذي كان لـه الدور الكبير في تقريب وجهـات النّظر عند المسلمين. كما أن جهود أولئك العلماء من الشيعة كُلّلتْ بالنّجاح في مصر فأصدر الإمام محمود شلتوت مفتي الديار المصرية في ذلك الوقت فتواه الجريئة في جواز التعبّد بالمذهب الشيعي الجعفري، وأصبح الفقه الشيعي الجعفري من المواد التي تدرس بالأزهر الشريف.

هـذا ودأب الشيعة وعلماؤهم بـالخصـوص على التعريف بأئمـة أهل البيت الطّاهرين وبـالمذهب الجعفري الذي يُمثّل الإسلام بكل معـانيه وكتبوا في ذلك المجلّـدات والمقالات وعقـدوا لذلك النّـدوات وخصـوصاً بعـد انتصار الثـورة الإسلامية في إيـران عُقدتْ مؤتمرات عديـدة في طهران باسم الوحـدة الإسلامية وباسم التقـريب بين المذاهب، وكلّها دعوات صـادقة لنبذ العـداء والأحقاد، ولبثّ روح الأخوّة الإسلامية واحترام المسلمين بعضهم لبعض.

وفي كلّ عـام يدعـو مؤتمر الـوحـدة الإسلاميـة علماء ومفكّرين من الشيعـة والسنّة فيعيشـون أسبوعاً كـاملاً تحت ظلّ الأخـوّة الصّادقة فيأكلـون ويشربون ويصلّون ويدعون ويتبادلون الآراء والأفكار ويعطون ويأخذون.

ولـو لم يكن لتلك المؤتمرات دورٌ إلاّ تـأليف القلـوب وتقـريب المسلمين بعضهم من بعض ليتعـارفـوا وتـزول الأحقاد لكـان فيهـا الخير الكثير والفضل العميم، ولسوف تؤتي أكلها بعد حين إن شاء الله ربّ العالمين.

وأنتَ إذا دخلت إلى أي بيت من بيـوت الشيعـة العاديين فضـلاً عن بيـوت العلماء والمثقفين، فسوف تجد فيه مكتبة تضمّ إلى جانب مـؤلفات الشيعة جانباً كبيراً من مؤلفات «أهل السنّة والجماعة» على عكس «أهل السنّة والجماعة» فقد لاَ تجد عند علمائهم كتاباً شيعياً واحداً إلاّ نادراً.

ولذلـك هم يجهلون حقـائق الشيعة ولا يعرفـون إلاّ الأكاذيب التـي يكتبها أعداؤهم.

كما أنّ الشيعي العادي تجده في أغلب الأحيان يعرف التاريخ الإسلامي بكل أدواره وقد يحتفل بإحياء بعض ذكرياته.

أما العـالم السُنّي تجده قليلاً مـا يهتمّ بالتاريـخ فهو يعتبره من المآسي التي لا يريد نبشها والاطّلاع عليها، بل يجب إهمالها وعدم النّظر فيها لأنها تسيء الظنّ بـ «السّلف الصّالح».

وبما أنّه أقنع نفسـه أو أوهمها بعدالـة الصّحابة أجمعين ونـزاهتهم، فلم يعد يتقبّل ما سجّله التّاريخ عليهم.

لكلّ ذلك تراه لا يصمـد للنّقاش البنّاء الذي يقوم على الـدليل والبرهان، فتراه إمّـا يتهـرّب من البحث لعلمـه مسبقاً بأنّـه مغلـوب وإمّـا أن يتغلب على عواطفه وميوله ويقحم نفسه في البحث فيصبح ثائراً على كلّ معتقداته ويتشيّع لأهل بيت المصطفى.

فالشيعة هم أهـل السنة النّبوية لأنّ إمامهم الأول بعـد النبي هو علي بن أبي طالب الـذي يعيش ويتنفّس بالسنّـة النبويـة. أنظر إليه وقـد جاؤوه ليبـايعوه بـالخلافة على أن يحكم بسيرة الشيخين فقـال: «لا أحكمُ إلاّ بكتاب الله وسنّـة رسوله» فلا حـاجة لعلي في الخلافة إن كانت على حساب السنّـة النبوية، فهو القائل: «إنّ خلافتكم عندي كعفطة عنز إلاّ أن أُقيم حدّاً من حدود الله»

وقال ابنـه الإمام الحسين: قولتـه المشهورة التي بقيت ترنّ في مسمع الـدّهر: «إن كان دين محمد لا يستقيم إلاّ بقتلي فيا سيوف خذيني».

ولهذا فإنّ الشيعـة ينظـرون إلى أخـوانهم مـن «أهل السنـة والجماعـة» بنظـر العطف والحنـان وكأنهم يريـدون لهم الهداية والنّجـاة لأنّ ثمن الهداية عنـدهم حسب ما جـاءت به الروايـات الصّحيحة خير من الدنيـا وما فيها، فقـد قال (ص) للإمام علي عندما بعثه لفتح خيبر: قاتلهم حتّى يشهدوا أن لا إله إلاّ الله وأنّ محمداً رسول الله، فإن قـالوها فقد عصم منك دمـاؤهم وأموالهم وحسابهم على الله لئن يهدي الله بكَ رجـلاً واحـداً خيرٌ لك ممّـا طلعت عليـه الشمس أو خير لك من أن يكون لك حمر النّعم[1].

---

(1) صحيح مسلم ج 7، ص 122 كتاب الفضائل باب فضائل علي بن أبي طالب.

وكما كان همّ علي بن أبي طالب الوحيد هو هداية النّاس والرجوع بهم إلى كتاب الله وسنة رسوله(ص)، فكذلك شيعتهُ اليوم همّهم أن يدفعوا عن أنفسهم كلّ التهم والأكاذيب وأن يعرّفوا إخوانهم من «أهل السنّة» بحقائق أهل البيت (عليهم السّلام) وبالتّالي يهدوهم إلى سواء السبيل.

﴿لقد كان في قَصصهم عبرةً لأولي الألباب ما كان حديثاً يُفترى ولكنْ تصديقَ الذي بين يديه وتفصيل كلّ شيءٍ وهُدىً ورحمةً لقومٍ يؤمنون﴾ (يوسف: 111).

التعريف بأئمة الشيعة

لقد انقطع الشيعة للأئمة الاثني عشر من أهل البيت (عليهم السّلام)، أوّلهم علي بن أبي طالب ثم ابنه الحسن، ثم ابنه الحسين، ثم التسعة المعصومون من ذريّة الحسين ومن نسله.

وقد نصّ رسول الله (ص) على هؤلاء الأئمّة في العديد من المرات تصريحاً وتلميحاً وقد ذكرهم بأسمائهم في بعض الرّوايات التي أخرجها الشيعة والبعض من علماء «السنّة».

وقد يعترض البعض من «أهل السنّة» على هذه الرّوايات مُستغرباً كيف يتكلّم الرّسول (ص) عن أمور غيبيّة مازالت في طي العدم؟ وقد جاء في القرآن قوله: **﴿لو كنتُ أعلم الغيبَ لاستكثرتُ من الخير وما مسني السّوء﴾** (الأعراف: 188).

وإجابة على ذلك نقول بأنّ هذه الآية الكريمة لا تنفي عن الرّسول علمه بالغيب مطلقاً، إنما جاءتْ رداً على المشركين الذين طلبوا منه أنْ يُعلمهم عن قيام الساعة، وموعد السّاعة قد اختص الله سبحانه بعلمه.

وقد جاء في القرآن الكريم قوله تعالى: **﴿عالم الغيب فلا يُظهرُ على غيبه أحداً * إلاّ من ارتضى من رسول...﴾** (الجن: 26 ـ 27).

وفي هذا دلالة على أنه سبحانه يُطلعُ على غيبه رُسلَه الذين اصطفاهم، ومن ذلك مثلاً قول يوسف (عليه السّلام) لأصحابه في السّجن: **﴿لا يأتيكما طعامٌ**

تــرزقــانـــه إلاّ نبّأتكُما بتأويلـه قَبل أنْ يـأتيكُما ذلكما ممّـا علّمني ربي. . ﴾ (يوسف: 37).

وكقوله تعالى: ﴿فوجَدا عبـداً من عبادنا آتيناه رحمةً من عنـدنا وعلّمناه من لدنّا علماً﴾ (الكهف: 65). حكاية عن الخضر الذي التقى بموسى وعلّمه من علم الغيبِ ما لم يستطع عليه صبراً.

والمسلمون شيعة وسنّة لم يختلفوا في أنّ رسول الله(ص) كان يعلمُ الغيب وقد سجّلتْ سيرته الكثير من الأخبار بالغيب كقوله (ص): «ويح عمار تقتله الفئة البـاغية» وقـوله لعلي: «أشقـى الآخرين الـذي يضربك على رأسك فيخضب لحيتك» وقوله: «إن ابني الحسن يصلح الله بـه فئتين عظيمتين» وكقوله لأبي ذرّ بأنـه سيموت وحيـداً طـريداً إلى غير ذلك من الأخبـار الكثيرة، ومنهـا حديثـه المشهور الذي أخرجه البخاري ومسلم وكلّ المحدثين والذي جاء فيه: «الأئمة من بعـدي اثنـا عشر كلّهم من قـريـش» وفي بعض الـروايـات «كلهم من بني هاشم».

وقد أثبتنا في الأبحـاث السّابقة من كتاب «مع الصّادقين» وكتـاب «فاسألوا أهل الذكر» بأنّ علماء السنّة أنفسهم أشـاروا في صحاحهم ومسانيدهم إلى تلك الأحاديث الدّالة على إمامة الأئمة الاثني عشر وصحّحوها.

وإذا سأل سائل: لماذا تركوهم واقتدوا بغيرهم من أئمة المذاهب الأربعة، إذا كانوا يعترفون بتلك الأحاديث ويُصحّحونها؟؟

والجواب هو: إن «السّلف الصالح» كلّهم من أنصار الخلفـاء الثلاثة الذين أولدتهم السّقيفة أبو بكر وعمر وعثمان، فكان نفورهم من أهل البيت وعداؤهم للإمام علي وأولاده لا بدّ منه، فعملوا كما قـدّمنا على محق السنة النّبوية وإبدالها باجتهاداتهم.

وسبب ذلك انقسام الأمة إلى فرقتين بعد وفاة الرّسول مباشرة فكان «السّلف الصّـالح» ومن تبعهم ورأى رأيهم يمثّلون «أهل السنـة والجماعة» وهـم الأغلبيـة السّاحقة في الأمة، وكان الأقلية القليلة علي وشيعته الذين تخلفوا عن البيعة ولم

يقبلوا بها فأصبحوا من المنبوذين والمغضوب عليهم وأطلَقوا عليهم اسم الرّوافض.

وبما أنّ «أهل السنّة والجماعة» هم الذين تحكّموا بمصير الأمة عبر القرون فحكّام بني أميّة كلّهم وحكّام بني العباس كلّهم هم أنصار وأتباع مدرسة الخلافة التي أسسها أبو بكر وعمر وعثمان ومعاوية[1] ويزيد.

ولمّا فشل أمر الخلافة وذهبت هيبتُها وأصبحت في أيدي المماليك والأعاجم وسُمع بتدوين السنّة النبوية، عند ذلك ظهرتْ تلكم الأحاديث التي عمل الأولون على طمسها وكتمانها ولم يقدروا فيما بعد على محوها وتكذيبها، وبقيتْ تلك الأحاديث من الألغاز المحيرة عندهم لأنها تخالف الأمر الواقع الذي آمنوا به.

وحاول بعضهم التوفيق بين تلك الأحاديث وما هم عليه من العقيدة فتظاهروا بمحبّة أهل البيت ومودّتهم فتراهم كلّما ذكروا الإمام علياً يقولون: رضي الله عنه وكرّم الله وجهه، حتى يتبين للناس بأنهم ليسوا بأعداء لأهل البيت النبوي.

فلا يمكن لأي واحدٍ من المسلمين حتى المنافقين منهم أنْ يظهِرَ عداءهُ لأهل البيت النبوي، لأنّ أعداء أهل البيت هم أعداء رسول الله (ص) وذلك يخرجهم من الإسلام كما لا يخفى.

والمفهوم من كل هذا بأنهم في الحقيقة أعداء أهل البيت النبوي ونقصد بهؤلاء «السلف الصالح» الذين تسموا أو سماهم أنصارهم بـ «أهل السنة والجماعة» والدليل أنّك تجدهم كلهم يُقلدون المذاهب الأربعة الذين أوجدتهم السلطة الحاكمة (كما سنبيّنه عما قريب)، وليس عندهم في أحكام الدين شيء يرجعون فيه لفقه أهل البيت أو لأحد الأئمة الاثني عشر.

---

(1) لقد أغفلنا ذكر خلافة علي بن أبي طالب قصداً، لأنّ «أهل السنّة والجماعة» لم يكونوا يعترفون بها كما قدّمنا إلاّ في زمن أحمد بن حنبل. راجع فصل «أهل السنّة لا يعرفون السنّة النبوية» ص 44 من هذا الكتاب.

والحقيقة تفرُض بأن الشيعة الإمامية هم أهل السنة المحمدية لأنهم تقيدوا في كل أحكـامهم الفقهية بأئمـة أهل البيت الـذين توارثـوا السنة الصحيحـة عن جدهم رسول الله (ص) ولم يدخلوا فيها الآراء والاجتهادات وأقوال الخلفاء.

وبقيَ الشيعة على مـر العصور يتعبـدون بالنصـوص ويرفضـون الاجتهاد في مقابل النص، كما يؤمنون بخـلافة علي وبنيه لأن النبي (ص) نصّ على ذلك، فهم يسمـونهم خلفاء الـرسول ولـو لم يصل منهم إلى الخلافة الفعليـة إلاّ علي، ويرفضـون ولا يعترفون بـالحكام الـذين تداولـوا الخلافة من أولها إلى آخـرها لأن أساسهـا كان فلتةً وقى الله شرّهـا ولأنها قامت رفضاً ورداً على الله ورسـوله وكل الذين جاؤوا بعـدها هم عيال عليها فلم يقم خليفـة إلا بتعيين السابق له، أو بالقتال والتغلّب والقهر [1].

ولذلك اضطر« أهل السنة والجماعة » للقـول بإمامة البر والفاجر لأنهم قبِلوا بخلافة كل الحكام حتى الفاسقين منهم.

وامتـاز الشيعة الإمـامية بـالقول بـوجوب عصمـة الإمام فـلا تصح الإمامـة الكبرى وقيادة الأمـة إلا للإمـام المعصوم وليـس في هذه الأمـة بشر معصوم إلا الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً.

---

(1) يُستثنى من ذلك فقط خلافة علي بـن أبي طالـب، فهو الوحيد الـذي لم يتعيّن من قِبَل الذي سبقه، ولم يتسلّط عليها بالقهر والقوّة، بل بايعه المسلمون بكل حرّية وطواعية بل ودعوه إليها بإصرار.

التعريف بأئمة «أهل السنة والجماعة»

وقد انقطع «أهل السنة والجماعة» إلى الأئمة الأربعة أصحاب المذاهب المعروفة، وهم: أبو حنيفة ومالك، والشافعي وأحمد بن حنبل.

وهؤلاء الأئمة الأربعة لم يكونوا من صحابة الرسول (ص) ولا من التابعين فلا يعرفهم رسول الله ولا يعرفونه، ولم يرَهم ولم يرونه، فأكبرهم سناً أبو حنيفة بينه وبين النبي (ص) أكثر من مائة عام لأن مولده كان في سنة ثمانين للهجرة ووفاته سنة خمسين ومائة، أما أصغرهم أحمد بن حنبل فكان مولده سنة خمس وستين ومائة وكانت وفاته سنة إحدى وأربعين ومائتين، هذا بالنسبة لفروع الدين.

أما بالنسبة لأصول الدين فـ«أهل السنة والجماعة» يرجعون للإمام أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري الذي وُلد سنة سبعين ومائتين وتوفي سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة.

فهؤلاء هم أئمة «أهل السنة والجماعة» والذين ينقطعون إليهم في أصول الدين وفروعه.

فهل ترى فيهم واحداً من أئمة أهل البيت، أو من أصحاب الرسول (ص) أو تكلم رسول الله عن واحدٍ منهم وأرشد الأمة إليه؟؟ كلا لا يوجد شيء من ذلك ودونه خرط القتاد.

وإذا كان «أهل السنة والجماعة» يدعون التمسك بالسنة النبوية، فلماذا

تأخرت تلك المذاهب إلى ذلك العهد؟ وأين كان «أهل السنة والجماعة» قبل وجود تلك المذاهب؟ وبماذا كانوا يتعبّدون، وإلى من كانوا يرجعون؟

ثم كيف ينقطعون إلى رجال لم يعاصروا النبي(ص) ولا عرفوه، وإنما ولدوا بعدما وقعت الفتنة وبعدما تحارب الصحابة وقتل بعضهم بعضاً وكفر بعضهم بعضاً، وبعدما تصرف الخلفاء في القرآن والسنة واجتهدوا فيهما بآرائهم.

وبعدما استولى يزيد بن معاوية على الخلافة فاستباح مدينة الرسول المنورة لجيشه يفعل فيها ما يشاء، فعاث جيشه فيها فساداً وقتل خيار الصحابة الذين لم يبايعوه واستبيحتْ الفروج وانتهكت المحارم وحبلت النساء من سفاح.

فكيف يركن العاقل إلى أولئك الأئمة الذين هم من تلك الطبقة البشرية التي تدنست بأوحال الفتنة وتغذّت بألبانها المتلونة، وشبّتْ وترعرعت على أساليبها الماكرة الخداعة، وقلدتها أوسمة العلم المزيفة. فلم يبرز للوجود منهم إلا الذين رضيت عنهم الدولة ورضوا عنها[1].

كيف يترك ـ من يدّعي التمسك بالسنة ـ الإمام علي باب مدينة العلم والإمام الحسن والإمام الحسين سيدا شباب أهل الجنّة والأئمة الطاهرين من عترة النبي الذين ورثوا علوم جدهم رسول الله(ص) ويتبع أئمة لا علم لهم بالسنة النبوية بل هم صنيعة السياسة الأموية؟

كيف يدعي «أهل السنة والجماعة» بأنهم أتباع السنة النبوية وهم يهملون القيّمين عليها؟ بل كيف يتركون وصايا النبي وأوامره بالتمسك بالعترة الطاهرة، ثم يدّعون أنهم أهل السنّة؟!

وهل يشك مسلم عرف التاريخ الإسلامي وعرف القرآن والسنّة بأن «أهل السنة والجماعة» هم أتباع الأمويين والعباسيين؟

وهل يشك مسلم عرف القرآن والسنة وعرف التاريخ الإسلامي بأن الشيعة الذين يقلدون عترة النبي ويوالونهم هم أتباع السنة النبوية، وليس لأحدٍ غيرهم أن يدعيها؟

---

(1) سيأتي في الأبحاث القادمة بأنّ الحكّام الأمويين والعبّاسيين هم الذين أوجدوا تلك المذاهب وفرضوها.

أرأيت أيها القارىء العزيز كيف تقلب السياسة الأمور وتجعل من الباطل حقاً ومن الحق باطلاً! فإذا بالموالين للنبي وعترته تُسميهم بالروافض وبأهل البدع، وإذا بأهل البدع الذين نبذوا سنة النبي وعترته واتبعوا اجتهاد الحكام الجائرين تسميهم «أهل السنة والجماعة»! إنه حقاً أمر عجيب.

أما أنا فأعتقد جزماً بأن قريش هي وراء هذه التسمية وهو سر من أسرارها ولغز من ألغازها.

وقد عرفنا في ما سبق بأن قريشاً هي التي نهت عبد الله بن عمرو عن كتابة السنة النبوية بدعوى أن النبي غير معصوم.

فقريش هي في الحقيقة أشخاص معينون لهم نفوذ وعصبية وقوة معنوية في أوساط القبائل العربية، وقد يُسميهم بعض المؤرخين بـ «دهاة العرب» لما اشتهروا به من المكر والدهاء والتفوق في إدارة الأمور، ويسميهم البعض بـ «أهل الحل والعقد».

ومن هؤلاء أبو بكر وعمر وعثمان وأبو سفيان ومعاوية ابنه وعمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة، ومروان بن الحكم، وطلحة بن عبيد الله، وعبد الرحمان بن عوف، وأبو عبيدة عامر بن الجراح وغيرهم[1].

وقد يجتمع هؤلاء للتشاور وتقرير أمرٍ يتفقون عليه فيبرمون أمرهم ويفشونه في الناس ليصبح فيما بعد أمراً واقعاً وحقيقة متّبعة دون أن يعرف سائر الناس سر ذلك.

ومن هذا المكر الذي مكروه قولهم بأن محمداً غير معصوم وهو كسائر البشر يجوز عليه الخطأ فينتقصونه ويجادلونه في الحق وهم يعلمون.

ومنها شتمهم لعلي بن أبي طالب و لعنهم إيّاه باسم أبي تراب وتصويره للناس بأنه عدو لله ولرسوله.

---

(1) لقد استثنينا من هؤلاء الإمام علياً (عليه السلام) لأنّه يُفرِّق بين دهاء الحكمة وحُسن التدبير وبين دهاء الخداع والغش والنّفاق، وقد قال غير مرّة: «لولا الغشّ والنفاقُ لكنتُ أدهى العرب» كما جاء في القرآن قوله: ﴿**ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين**﴾ فمكر الله هو الحكمة وحسن التدبير. أمّا مكر المشركين فهو غش ونفاق وخداع وزور وبهتان.

ومنها شتمهم ولعنهم للصحابي الجليل عمار بن ياسر تحت اسم مستعار فسموه عبد الله بن سبأ أو ابن السوداء، لأن عماراً كان ضد الخلفاء وكان يدعو الناس لإمامة علي بن أبي طالب(1).

ومنها تسمية الشيعة الذين والوا علياً ــ بالروافض ـ كي يموهوا على الناس بأن هؤلاء رفضوا محمداً واتبعوا علياً.

ومنها تسمية أنفسهم بـ «أهل السنة والجماعة» حتى يُموهوا على المؤمنين المخلصين بأنهم يتمسكون بسنة النبي مقابل الروافض الذين يرفضونها.

وفي الحقيقة هم يقصدون بـ «السنّة» البدعة المشؤومة التي ابتدعوها في سب ولعن أمير المؤمنين وأهل بيت النبي على المنابر في كل مسجد من مساجد المسلمين وفي كل البلدان والمدن والقرى، فدامت تلك البدعة ثمانين عاماً، حتى كان خطيبهم إذا نزل للصلاة قبل أن يلعن علي بن أبي طالب، صاح به من في المسجد «تركت السنّة، تركت السنّة».

ولما أراد الخليفة عمر بن عبد العزيز إبدال هذه السنة بقوله تعالى: ﴿**إن الله يأمرُ بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى . .** ﴾(النحل: 90)تآمروا عليه وقتلوه لأنه أمات سنّتهم وسفّه بذلك أقوال أسلافه الذين أوصلوه للخلافة فقتلوه بالسم وهو ابن ثمانية وثلاثين سنةولم تطل خلافته غير سنتين وذهب ضحية الإصلاح لأن بني عمومته الأمويين لم يقبلوا أن يُميتَ سنّتهم ويرفع بذلك شأن أبي تراب والأئمة من ولده.

وبعد سقوط الدولة الأموية جاء العبّاسيون فنكّلوا بدورهم بأئمة أهل البيت وشيعتهم إلى أن جاء دور الخليفة جعفر بن المعتصم الملقب «بالمتوكل» فكان من أشدّ الناس عداوةً لعلي وأولاده ووصل به البغض والحقد إلى نبش قبر الحسين في

(1) يراجع في ذلك كتاب «الصلة بين التصوّف والتشيّع» للدكتور مصطفى كامل الشبيبي المصري، والذي بيّن فيه بعشرة أدلّة قوية بأنّ عبد الله بن سبأ اليهودي أو ابن السوداء ليس إلاّ سيدنا عمّار بن ياسر (رضوان الله تعالى عليه).

كربلاء ومنع الناس من زيارته[1] وكان لا يعطي عطاءً ولا يبذلُ مالاً إلا لمن شتم علياً وولده.

وقصة المتوكل مع ابن السكّيت العالم النحوي المشهور معروفة وقد قتله شر قتلة، فاستخرج لسانه من قفاه عندما اكتشف بأنّه يتشيّع لعلي وأهل بيته في حين أنه كان أستاذاً لولديه.

وبلغ حقد المتوكل ونصبه أن أمر بقتل كل مولود يُسمّيه أبواه باسم علي لأنه أبغض الأسماء إليه. حتى أن علي بن الجهم الشاعر لمّا تقابل مع المتوكّل قال له: يا أمير المؤمنين إن أهلي عقوني، قال المتوكل: لماذا؟ قال: لأنهم سموني علياً وأنا أكره هذا الاسم وأكره من يتسمّى به، فضحك المتوكل وأمر له بجائزة.

وكان يقيمُ في مجلسه رجلاً يتشبه بأمير المؤمنين علي بن أبي طالب، فيضحك الناس عليه ويقولون: قد أقبل الأصلع البطين فيسخر منه أهل المجلس ويتسلى بذلك الخليفة.

ولا يفوتنا هنا أن نلاحظ بأن المتوكل هذا، والذي دلّ بغضهُ لعلي على نفاقه وفسقه يُحبُه أهل الحديث وقد لقبوه بـ «**محيي السنة**».

وبما أن أهل الحديث هم أنفسهم «أهل السنّة والجماعة» فثبت بالدليل الذي لا ريب فيه أن «السنّة» المقصودة عندهم هي بغض علي بن أبي طالب ولعنه والبراءة منه فهي النّصبُ.

ومما يزيدنا وضوحاً على ذلك أن الخوارزمي يقول في كتابه: «حتى أن هارون بن الخيزران وجعفر المتوكل على الشيطان لا على الرحمان، كانا لا يُعطيان مالاً ولا يبذلان نوالاً، إلاّ لمن شتم آل أبي طالب ونصر مذهب النواصب»[2].

---

(1) وإذا كان الخليفة يصل إلى هذه الدّرجة من الخسّة والانحطاط فينبش قبور الأئمّة من أهل البيت وبالخصوص قبر سيّد شباب أهل الجنّة، فلا تسأل بعدها عمّا فعلوه في الشيعة الذين كانوا يتبركون بزيارة قبره، فقد وصل شيعة أهل البيت إلى أقصى المعاناة والمحن حتى يتمنّى المسلم أن يتّهموه بأنّه يهودي ولا يتّهموه بالتشيّع فلا حول ولا قوّة إلاّ بالله العلي العظيم.

(2) كتاب الخوارزمي ص135.

كما ذكر ابن حجر عن عبد الله بن أحمد بن حنبل قال: لما حدّث نصر بن علي بن صهبان بأنّ رسول الله (ص) أخذ بيد الحسن والحسين وقال: «من أحبني وأحبَّ هذين وأباهما وأمهما كان في درجتي يوم القيامة»، أمر المتوكل بضربه ألف سوط، فأشرف على الهلاك، فكلّمه فيه جعفر بن عبدالواحد وجعل يقول له: يا أمير المؤمنين هذا من أهل السنّة، فلم يزل به حتى تركه(1).

والعاقلُ يفهم من قول جعفر بن عبد الواحد للمتوكّل بأن نصراً هو **من أهل السنة** لينقذه من القتل دليل آخر بأن «أهل السنّة» هم أعداء أهل البيت الذين يبغضهم المتوكل ويقتل كل من يذكر لهم فضيلة واحدة وإن لم يكن يتشيع لهم.

وهذا ابن حجر يذكر أيضاً في كتابه بأن عبد الله بن إدريس الأزدي كان صاحب «سنّة وجماعة» وكان **صلباً في السنّة** مرضياً **وكان عثمانيا**(2).

كما قال في عبد الله بن عون البصري: إنه موثق وله عبادة **وصلابة في السنة** وشدة على أهل البدع، قال ابن سعد: كان عثمانياً(3).

وذكر أيضاً أن إبراهيم بن يعقوب الجوزجاني كان حريزي المذهب، (أي على مذهب حريز بن عثمان الدمشقي) المعروف بالنصب وقال ابن حبّان: إنه كان صلباً في السنة(4).

وبهذا عرفنا بأن النصب والبغض لعلي وأولاده وشتم آل أبي طالب ولعن أهل البيت يُعد عندهم من الصلابة في «السنة»، وعرفنا بأن العثمانيين هم أهل النّصب والعداء لأهل البيت، وهم أهل الشدة على من يتولّى علياً وذريته.

---

(2) تهذيب التهذيب لابن حجر ترجمة نصر بن علي بن صهبان.

(2) إبن حجر في تهذيب التهذيب ج5ص145. والمعروف أنّ العثمانيين كانوا يلعنون علياً ويتّهمونه بقتل عثمان بن عفّان.

(3) إبن حجر في تهذيب التهذيب ج5، ص348.

(4) إبن حجر في تهذيب التهذيب ج1، ص82.

ويقصدون بأهـل البدع «الشيعة الـذين قالـوا بإمامـة علي» ، لأنها عندهم بدعة ، إذ خالفتْ مـا عليه الصحابـة والخلفاء الراشـدين و «السلف الصالح» من إبعاده وعدم الاعتراف بإمامته ووصايته .

والشواهـد التاريخيـة على إقامـة هذا الـدليل كثيرة جداً ولكن مـا ذكرنـاه فيه الكفاية لمن أراد البحث والتحقيق وقد رُمنـا الاختصار كالعادة ، وعلى الباحثين أن يُدركوا أضعاف ذلك إن شاؤوا .

﴿والـذين جـاهـدوا فينـا لنهـدينّهم سبلنـا وإن الله لمعَ المحسنين﴾ (العنكبوت : 69) .

النبي (ص) هو الذي عيّن أئمة الشيعة

لا يشكُّ بـاحثٌ درسَ السّيرة النّبـوية وعـرف التّـاريخ الإسـلامي بأنّ النّبي (ص) هو الذي عيّن الأئمة الاثني عشر ونصّ عليهم ليكونوا خلفاءه من بعده وأوصياءه على أمّتهِ.

وقـد جاء ذكـر عـددهم في صحاح أهـل السنّة وأنّهم اثنـا عشر وكلّهم من قريش وقد أخرج ذلك البخاري ومسلم وغيرهما.

كما جاء في بعض المصادر السنّية ذكرهم بأسمائهم مُوضحاً (ص) بأنّ أوّلهم علي بن أبي طالب وبعده ابنه الحسن ثمّ أخوه الحسين ثمّ تسعة من ذرية الحسين آخرهم المهدي.

أخرج صـاحب ينابيع المودّة في كتابـه قال: قدم يهوديٌّ يقـال له: «الأعتل» فقال: يا محمّد أسألك عن أشياء تلجلج في صدري منذ حين فإن أجبتني عنها أسلمتُ على يـديك. قال: سل يـا أبا عمارة، فسألـه عن أشياء إلى أن قـال: صدقت، ثمّ قال: فأخبرني عن وصيّـك من هو؟ فما من نبي إلاّ وله وصيٌّ وإنّ نبيّنا موسى بن عمران أوصى يوشع بن نون.

فقـال: إنّ وصيّي علي بن أبي طالب وبعـده سبطاي الحسن والحسين تتلـوه تسعة أئمّة من صلب الحسين.

قال: يا محمّد فسمّهم لي.

قال: إذا مضى الحسين فابنه علي، فإذا مضـى علي فابنه محمّد، فإذا مضى

محمّد فابنه جعفر، فإذا مضى جعفر فابنه موسى، فإذا مضى موسى فابنه علي، فإذا مضى علي فابنه محمّد، فإذا مضى محمّد فابنه علي، فإذا مضى علي فابنه الحسن، فإذا مضى الحسن فابنه الحجّة محمّد المهدي فهؤلاء اثنا عشر، قال: فأسلم اليهودي وحمد الله على الهداية[1]. ولو أردنا تصفّح كتب الشّيعة وما فيها من الحقائق بخصوص هذا الموضوع لوجدنا أضعاف ذلك.

ولكن يكفينا دليلاً أنّ علماء «أهل السنّة والجماعة» يعترفون بعدد الأئمّة الاثني عشر، ولا وجود لهؤلاء الأئمّة غير علي وبنيه الطّاهرين.

وممّا يزيدنا يقيناً أنّ الأئمّة الاثني عشر من أهل البيت لم يتتلمذوا على أي واحد من علماء الأمة، فلم يَرْوِ لنا أصحاب التواريخ ولا المحدّثون وأصحاب السّير بأنّ أحد الأئمّة من أهل البيت تلقّى علمه من بعض الصّحابة أو التّابعين، كما هو الحال بالنّسبة لكلّ علماء الأمة وأئمّتهم.

فأبو حنيفة تتلمذ على جعفر الصّادق ومالك تتلمذ على أبي حنيفة، والشافعي تلقّى عن مالك وأخذ عنه وهكذا أحمد.

أمّا أئمّة أهل البيت فعلمُهم موهوب من الله سبحانه وتعالى يتوارثونه أباً عن جدّ، فهم الذين خصّهم الله بقوله:

﴿ثم أورثنا الكتابَ الذين اصطفينا من عبادنا﴾ (فاطر: 32).

وقد عبّر الإمام جعفر الصّادق عن هذه الحقيقة مرّةً بقوله: عجباً للنّاس يقولون بأنّهم أخذوا علمهم كلّه عن رسول الله (ص) فعملوا به واهتدوا! ويروون أنّا أهل البيت لم نأخذ علمه ولم نهتدِ به ونحن أهله وذريته، في منازلنا أُنزل الوحيُ، ومن عندنا خرج العلم إلى النّاس، أفتراهم علموا واهتدوا، وجهلنا وضللنا؟!

نعم، كيف لا يتعجّب الإمام الصّادق من أولئك الذين يدّعون أنّهم أخذوا العلم من رسول الله، وهم يُعادون أهل بيته وبابَ علمه الذي منه يؤتَى،

---

(1) القندوزي الحنفي في ينابيع المودّة ص 440. وفرائد السمطين للحمويني بسنده عن مجاهد عن ابن عبّاس.

وكيف لا يتعجّبُ من انتحالهم اسم «أهل السنّة» وهم يُخالفون هذه السنّة؟؟!

وإذا كان الشّيعة كما يشهدُ التاريخ قد اختصّوا بعليّ فناصروه ووقفوا ضدّ عدوّه، وحاربوا حربه وسالموا سلمه وأخذوا كلّ علومهم منه.

فأهل السنّة والجماعة لم يتشيّعوا له ولم ينصروه، بل حاربوه وأرادوا القضاء عليه، وقد تتبّعوا أولاده من بعده قتلاً وسجناً وتشريداً، وخالفوه في أكثر الأحكام باتّباعهم أدعياء العلم الذين اختلفوا بآرائهم واجتهاداتهم في أحكام الله فبدّلوها حسب أهوائهم وما اقتضته مصالحهم.

وكيف لا نعجب نحن اليوم من الذين يدّعون اتّباع السنّة النّبوية ويشهدون على أنفسهم أنّهم تركوا سنّة النّبي لأنها أصبحتْ شعاراً للشّيعة[1] أليس ذلك عجيباً؟!

كيف لا نعجب من الذين يزعمون بأنّهم «أهل السنّة والجماعة» وهم جماعات متعدّدة مالكية وحنفية وشافعية وحنبلية يُخالفون بعضهم في الأحكام الفقهيّة ويدّعون بأنّ ذلك الاختلاف هو رحمة لهم، فيصبح بذلك دين الله أهواء وآراء وما تشتهيه أنفسهم.

نعم إنّهم جماعاتٌ متعدّدة تفرّقوا في أحكام الله ورسوله، ولكنّهم اجتمعوا واتّفقوا على تصحيح خلافة السقيفة الجائرة وترك و إبعاد العترة الطّاهرة.

كيف لا نعجب من هؤلاء الذين يتبجّحون بأنّهم «أهل السنّة» وقد تركوا أمر رسول الله (ص) بالتمسّك بالثّقلين كتاب الله والعترة رغم إخراجهم هذا الحديث وتصحيحه؟ فإنّهم لم يتمسّكوا لا بالقرآن ولا بالعترة، لأنهم بتركهم للعترة الطاهرة فقد تركوا القرآن، لأنّ الحديث الشريف مفاده أنّ القرآن والعترة لا يفترقان أبداً كما أخبر بذلك رسول الله بقوله: وقد أنبأني اللّطيف الخبير بأنّهما

---

(1) يراجع في ذلك كتاب «مع الصادقين» صفحة 159 ـ 160 ليعرف بأنّ ابن تيمية يقول بترك السنّة النبويّة إذا أصبحت شعاراً للشيعة ومع ذلك يسمّونه مجدّد السنّة.
منهاج السنّة لابن تيمية ج2، ص143، وشرح المواهب للزرقاني ج5، ص13، وكتاب مصنّف الهداية.

(القرآن والعترة) لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض[1].

وكيف لا نعجبُ من قوم يدّعون أنّهم «أهل السنّة» وهم يخالفون ما ثبتَ في صحاحهم من فعل النّبي وأوامره ونواهيه[2]؟

أمّا إذا اعتقدنا وصحّحنا حديث: «تركتُ فيكم كتاب الله وسنّتي ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا بعدي أبداً» كما يحلو لبعض «أهل السنّة» أنْ يُثبتُوه اليوم، فإنّ العجب سيكونُ أكبر والفضيحة أظهر.

إذ أنّ كُبراءهم وأئمّتهم هم الذين أحرقوا السنّة التي تركها رسول الله فيهم، ومنعوا من نقلها وتدوينها كما عرفنا ذلك في ما تقدّم من أبحاث سابقة.

وقد قال عمر بن الخطّاب بصريح اللّفظ: «حسبنا كتاب الله يكفينا». وهو ردّ صريح على رسول الله (ص) والرّاد على رسول الله رادٌّ على الله كما لا يخفى.

وقول عمر بن الخطاب هذا أخرجه كلّ صحاح «أهل السنّة» بما فيهم البخاري ومسلم، فإذا كان النّبي قد قال: تركتُ فيكم كتاب الله وسنّتي، فعمر قال له: حسبنا كتاب الله ولا حاجة لنا بسنّتك وإذا كان عمر قد قال بمحضر النّبي حسبنا كتاب الله، فإنّ أبا بكر أكّد على تنفيذ رأي صاحبه فقال عندما أصبح خليفة: «لا تحدّثوا عن رسول الله شيئاً، فمن سألكم فقولوا بيننا وبينكم كتاب الله فاستحلّوا حلاله وحرّموا حرامه»[3].

كيف لا نعجب من قوم تركوا سنّة نبيّهم ونبذوها وراء ظهورهم، وأحلّوا محلّها بدعاً ابتدعوها ما أنزل الله بها من سلطان، ثمّ يُسمّون أنفسهم وأتباعهم «أهل السنّة والجماعة»؟

---

(1) أخرجه الإمام أحمد ج5 ص189 من مسنده والمستدرك للحاكم ج3 ص148. وقال: حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وصحّحه الذهبي في تلخيصه معترفاً بصحّته على شرط الشيخين.

(2) أخرج البخاري في صحيحه بأنّ النّبي نهى عن صلاة التراويح في رمضان جماعة وقال: «صلّوا أيّها النّاس في بيوتكم، فإنّ أفضل صلاة المرء في بيته ما عدا الصّلاة المكتوبة». ولكنّ أهل السنّة تركوا نهي الرسول واتّبعوا بدعة عمر بن الخطاب.

(3) تذكرة الحفاظ للذهبي ج1 ص3.

ولكنّ العجب يزول عندما نعرف بأنّ أبا بكر وعمر وعثمان ما كانوا يعرفون هذه التّسمية أبداً، فهذا أبو بكر يقول: «لئن أخذتموني بسنّة نبيّكم لا أطيقها»(1).

كيف لا يطيق أبو بكر سنّة النّبي؟ فهل كانتْ سنّته (ص) أمراً مستحيلاً حتّى لا يطيقها أبو بكر؟

وكيف يدّعي «أهل السنّة» أنّهم متمسّكون بها إذا كان إمامهم الأول ومؤسّس مذاهبهم لا يُطيقها؟؟!

ألم يقل الله سبحانه في حقّها: **﴿لكم في رسول الله أسوةٌ حسنة﴾** (الأحزاب: 21)؟ وقال في حقّها أيضاً: **﴿لا يكلّف الله نفساً إلاّ وسعها﴾** (الطلاق: 7)وقال أيضاً: **﴿ما جعل عليكم في الدين من حرج﴾** (الحج: 78).

فهل يرى أبو بكر وصاحبه عمر أنَّ رسول الله ابتدع ديناً غير الذي أنزل الله، فأمر المسلمين بما لا يُطاق وكلّفهم عُسراً؟ حاشاه فقد كان كثيراً ما يقول: بشّروا ولا تُنفّروا، يسّروا ولا تُعسّروا، إنّ الله أتاكم رُخصة فلا تشدّدوا على أنفسكم.

ولكنّ اعتراف أبي بكر بأنّه لا يُطيق سنّة النّبي يؤكّد ما ذهبنا إليه من أنّه أحدثَ بدعةً يطيقها حسب هواه وتتماشى وسياسة الدّولة التي ترأسها.

ولعلّ عمر بن الخطّاب كان يرى هو الآخر بأنّ أحكام القرآن والسنّة لا تُطاق فعمد إلى ترك الصّلاة إذا أجنب ولم يجد الماء وأفتى بذلك أيّام خلافته وقد عرف ذلك الخاص والعامّ وأخرج ذلك عنه كلّ المحدّثين.

وبما أنّ عمر كان مولعاً بكثرة الجماع وهو الذي نزل فيه قوله تعالى: **﴿علم الله أنّكم كنتم تختانون أنفسكم فتاب عليكم﴾** (البقرة: 187)، لأنّه لم يصبر على الجماع وقت الصيام، وبما أنّ الماء كان قليلاً رأى عمر أنّه من الأسهل أن يترك الصّلاة ويرتاح إلى أن يتوفّر لديه الماء الكافي للغسل عند ذلك يعود إلى الصّلاة.

أمّا عثمان فقد خالف السنّة النّبوية كما هو معروف حتّى أخرجتْ عائشة قميص النّبي وقالت: لقد أبلى عثمان سنّة النبي قبل أن يبلى قميصه، وحتّى

(1) مسند الإمام أحمد بن حنبل ج1 ص4 وكنز العمّال ج3 ص126.

عابه الصّحابة بأنّه خالف سنّة النّبي وسنّة الشيخين وقتلوه من أجل ذلك .

أمّا معاوية فحدّث ولا حرج فإنّـه عاند القرآن والسنّة وتحدّاهما ، فبينما يقول النّبي (ص) : «علي منّي وأنا من علي من سبّ عليّـاً فقد سبّني ومن سبّني فقد سبّ الله»(1)، نجد معـاوية قد أمعن في سبّـه ولعنه ولم يكتفِ بـذلك حتّى أمر كل ولاته وعمّاله أن يسبّوه ويلعنوه ومن امتنع منهم عزله وقتله .

وإذا عـرفنـا بأنّ معاويـة هـو الـذي سمّى نفسـه وأتبـاعه بـ «أهل السنّـة والجماعة» في مقابل تسمية الشيعة بأتباع الحق .

وينقل بعض المؤرّخين بأنّ العـام الـذي استـولى فيـه معاويـة على الخلافـة الإسلامية بعد صلح الحسن بن علي ، قد سُمّيَ ذلك العام بعام الجماعة .

ويزول العجب عندما نفهَمُ بأنّ كلمة «السنّـة» لا يقصد بها معاوية وجماعته إلاّ لعن علي بن أبي طالب من فوق المنابر الإسلامية في أيام الجمعة والأعياد .

وإذا كـانتْ «السنّـة والجماعـة» من ابتكار معـاويـة بن أبي سفيـان فنسألـه سبحانه أن يُميتَنا على بدعة الرّفض التي أسّسها علي بن أبي طالب وأهل البيت (عليهم السّلام) ! ! .

ولا تستَغرب أيّها القارىء العزيز أن يُصبحَ أهل البدعة والضلالة هم «أهل السنّة والجماعة» ويصبح الأئمّة الطاهرون من أهل البيت هم أهل البدعة .

فها هو العلاّمة ابن خلـدون من مشاهير علماء «أهل السنّة والجماعة» يقولها بكل وقاحـة بعد أن عدّد مـذاهب الجمهور قال : «وشـذّ أهل البيت بمذاهب ابتـدعـوهـا وفقـهٍ انفردوا بـه وبنـوه على مـذهبهم في تنـاول بعض الصّحـابـة بالقدح»(2).

ألم أقل لك أيّها القـارىء مـن البـدايـة : «لـو عكستَ لأصبـتَ» فإذا كـان الفسّاق من بنـي أميّة هم «أهل السنّة» وأهـل البيت هم أهل البدعـة كما يقول ابن خلدون فعلى الإسلام السّلام وعلى الدّنيا العفا .

---

(1) مستدرك الحاكم ج 3 ص 121 مسند أحمد ج 6 ص 323 خصائص النسائي ص 17 .

(2) مقدّمة ابن خلدون ص 494 في فصل علم الفقه وما يتبعه من الفرائض .

حكّام الجور هم الذين نصّبوا أئمة «أهل السنة»

ومما يـدلّنا على أنّ أئمّة المذاهب الأربعـة من «أهل السنّة» هم أيضاً خـالفوا كتاب الله وسنّة النّبي الـذي أمرهم بالاقتداء بالعترة الطّاهـرة، فلم نجد واحداً منهم لوى عنقه وركب سفينتهم وعرف إمام زمانه.

فهذا أبـو حنيفة الذي تتلمـذ على الإمام الصّادق والـذي اشتهر عنه قـوله: «لولا السنتـان لهلك النعمان» نجده قد ابتـدع مذهباً يقـوم على القياس والعمل بالرّأي مقابل النّصوص الصريحة.

وهذا مالك الذي تلقّى هو الآخر عن الإمام الصّادق، ويُروى عنه قوله: ما رأت عينٌ ولا سمعتْ أذن ولا خطـر على قلب بشر أفقـه وأعلم من جعفـر الصّادق، نجده قد ابتدع مذهباً في الإسلام وترك إمام زمانه الذي يشهد بنفسه أنّه أعلـم وأفقه البشر في عصره. فقـد نفخ في روعه الحكّـام العبّاسيـون وسمّوه «إمـام دار الهجـرة» فأصبح مـالك بعـدهـا صـاحب الجاه والسّلطـان والحول والطول.

وهذا الشّـافعي الذي يُتّهم بأنّـه كان يتشيّع لأهل البيت فقـد قال في حقّهم تلك الأبيات المشهورة:

يا أهل بيـت رسـول الله حبّكم ... فرض من اللـه فـي القرآن أنزله

كفاكم مـن عظيم الفضل أنّكم ... مَنْ لم يصلّ عليكم لا صلاة له

كما يُنسبُ إليه في مدح أهل البيت (ع) هذه الأبيات:

ولمّا رأيتُ النّاس قد ذهبت بهم   مذاهبهم في أبحر الغيّ والجهل
ركبتُ على اسم الله في سفن النجا   وهم أهل بيت المصطفى خاتم الرّسل
وأمسكتُ حبل الله وهو ولاؤهم   كما قد أمرنا بالتمسّك بالحبل

ويشتهر عنه قوله:

إن كان رفضاً حب آل محمد   فليشهد الثّقلان أنّي رافضي

وإذا يشهد الثّقلان أنّه رافضي فلماذا لم يرفض المذاهب التي قامت ضد أهل البيت بل ابتدع هو الآخر مذهباً يحملُ اسمه، وترك أئمة أهل البيت الذين عاصرهم؟

وهذا أحمد بن حنبل الذي ربّع الخلافة بعلي وألحقه بالرّاشدين بعدما كان منكوراً، وألّف فيه كتاب الفضائل، واشتهر عنه قوله: «ما لأحدٍ من الصّحابة من الفضائل بالأسانيد الصّحاح مثلما لعلي (رضي الله عنه)».

إلاّ أنّه ابتدع له مذهباً في الإسلام اسمه المذهب الحنبلي، رغم شهادة العلماء من معاصريه بأنّه ليس فقيهاً، قال الشيخ أبو زهرة: «إنّ كثيراً من الأقدمين لم يعدّوا أحمد بن حنبل من الفقهاء، كابن قتيبة وهو قريب من عصره جدّاً وكذلك ابن جرير الطبري وغيرهما»[1].

وجاء ابن تيمية فرفع لواء المذهب الحنبلي وأدخل عليه بعض النّظريات الجديدة التي تحرّم زيارة القبور والبناء عليها، والتوسّل بالنّبي وأهل البيت فكلّ ذلك عنده شركاً.

فهذه هي المذاهب الأربعة وهؤلاء هم أئمّتها وما ينسبُ إليهم من أقوال في حقّ العترة الطاهرة من آل البيت.

فإمّا أنّهم يقولون ما لا يفعلون وهو مقتٌ كبيرٌ عند الله، أو أنّهم لم يبتدعوا تلك المذاهب، ولكن أتباعهم من أذناب الأمويّين والعبّاسيين هم الذين

(1) كتاب أحمد بن حنبل لأبي زهرة ص170.

أسّسوا تلك المذاهب بإعانة الحكّام الجائرين ثمّ نسبوها إليهم بعد وفاتهم، وهذا ما سنعرفه إن شاء الله في الأبحاث القادمة.

أفلا تعجبون من هؤلاء الأئمة الذين عاصروا أئمّة الهدى من أهل البيت، ثمّ تنكّبوا صراطهم المستقيم ولم يهتدوا بهديهم، ولا اقتبسوا من نورهم، ولا قدّموا حديثهم عن جدّهم رسول الله (ص) بل قدّموا عليهم كعب الأحبار اليهودي، وأبا هريرة الدّوسي الذي قال في شأنه أمير المؤمنين علي (ع): «إنّ أكذب الناس على رسول الله لأبو هريرة الدوسي» كما قالت فيه عائشة بنت أبي بكر نفس الكلام.

ويُقدّمون عليهم عبد الله بن عمر النّاصبي الذي اشتهر ببغضه للإمام علي وامتنع عن مبايعته وبايع إمام الضّلالة الحجّاج بن يوسف.

ويقدّمون عليهم عمرو بن العاص وزير معاوية على الغش والنّفاق.

أفلا تعجبون كيف أباح هؤلاء الأئمّة لأنفسهم حقّ التّشريع في دين الله بآرائهم واجتهاداتهم حتّى قضوا على السنّة النّبوية بما أحدثوه من قياس واستصحاب وسدّ باب الذرائع والمصالح المرسلة وغير ذلك من بدعهم التي ما أنزل الله بها من سلطان؟

وهلْ غفل الله ورسولُه عن إكمال الدّين، وأباح لهم أنْ يُكملوه باجتهاداتهم فيُحلّلوا ويحرّموا كما يحلو لهم؟!

أفلا تعجبون من المسلمين الذين يدّعون التمسّك بـ «السنّة» كيف يُقلّدون رجالاً لم يعرفوا النّبي (ص) ولم يعرفهم؟!

فهل عندهم دليل من كتاب الله، أو من سنّة رسوله على اتّباع وتقليد أولئك الأئمّة الأربعة أصحاب المذاهب؟!

فأنا أتحدّى الثّقلين من الإنس والجنّ أن يأتوا بدليل واحد على ذلك من كتاب الله أو من سنّة رسوله. فلا والله، لا ولن يأتوا به ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً.

لا والله، ليس هنـاك دليلٌ في كتاب الله وسنّـة رسولـه إلاّ على اتّباع وتقليـد الأئمّة الطّاهـرين من عترة النّبي (صلى الله عليه وعليهم). أمّا هـذا فهناك أدلّة كثيرة وحججٌ دامغة وحقائق ساطعة.

﴿فاعتبرُوا يا أولي الأبصار﴾ (الحشر: 2).

﴿فإنها لا تعمَى الأبصـار ولكـن تعمى القلـوب التي في الصّـدور﴾ (الحج: 46).

السر في انتشار المذاهب السنيّة

إنّ المتتبّع في كتب التاريخ ومـا دوّنه الأسلاف يجدُ بها لا شكّ فيـه بأنّ شيوع المذاهب «السنّيـة» الأربعـة في تلك العصـور كـان بإرادة السّلطـة الحاكمـة وإدارتها، ولذلك كثر أتباعها فالنّاس على دين ملوكهم.

كما يجد البـاحث بأنّ هنـاك عشرات المذاهب التي انقـرضت وذابتْ لأنّ الحاكم لم يكن راضٍ عليها، كمذهب الأوزاعـي ومذهب حسن البصري، وأبو عيينة وابن أبي ذؤيب، وسفيان الثوري، وابن أبي داود، وليث بن سعد وغيرهم كثير.

وعلى سبيل المثال، فإنّ ليث بن سعد كان صديق مالك بن أنس وكان أعلم منه وأفقه كما اعترف بذلك الشّافعي[1].

ولكنّ مذهبه انقرض وفقهه ذاب واندرس لأنّ السّلطة لم تكن عنه راضية.

وقـال أحمد بن حنبل: كان ابن أبي ذؤيب أفضل من مـالك بن أنس إلاّ أنّ مالكاً أشدّ تنقية للرّجال[2].

وإذا راجعنا التاريخ، فإنّنا نجد مالكاً صاحب المذهب قد تقرّبَ إلى السّلطة والحكّـام وسـالمهم ومشى في ركـابهم، فأصبح بـذلك الـرجل المهـاب والعـالم المشهور، وانتشر مذهبه بوسائل الترهيب والترغيب خصوصاً في الأندلس حيث

---

(1) مناقب الشافعي ص 524.

(2) تذكرة الحفّاظ ج 1، ص 176.

عمل تلميذه يحيى بن يحيى على موالاة حاكم الأندلس، فأصبح من المقرّبين وأعطاه الحاكم مسؤولية تعيين القضاة فكان لا يولي على القضاء إلاّ أصحابه من المالكيّة فقط.

كذلك نجد أنّ سبب انتشار مذهب أبي حنيفة بعد موته هو أنّ أبا يوسف والشّيباني وهما من أتباع أبي حنيفة ومن أخلص تلاميذه، كانا في نفس الوقت من أقرب المقرّبين لهارون «الرّشيد» الخليفة العبّاسي، وقد كان لهما الدّور الكبير في تثبيت ملكه وتأييده ومناصرته، فلم يسمح هارون «الجواري والمجون» لأحدٍ أن يتولّى القضاء والفتيَا إلاّ بعد موافقتهما.

فلم يُنصّبا قاضياً إلاّ إذا كان على مذهب أبي حنيفة، فصار أبو حنيفة أعظم العلماء ومذهبه أعظم المذاهب الفقهية المتّبعة، رغم أنّ علماء عصره كفّروه واعتبروه زنديقاً، ومن هؤلاء الإمام أحمد بن حنبل والإمام أبو الحسن الأشعري.

كما أنّ المذهب الشّافعي انتشر وقويَ بعدما كاد يندرس، وذلك عندما أيّدته السّلطة الغاشمة، وبعدما كانت مصر كلّها شيعة فاطمية، انقلبتْ إلى شافعية في عهد صلاح الدّين الأيوبي الذي قتل الشيعة وذبحهم ذبح النّعاج.

كما أنّ المذهب الحنبلي ما كان ليُعرف لولا تأييد السّلطات العبّاسية في عصر المعتصم عندما تراجع ابن حنبل عن قوله بخلق القرآن ولمع نجمه في عهد المتوكّل «النّاصبي».

وقوي وانتشر عندما أيدتْ السّلطات الاستعماريّة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في القرن الماضي وتعامل هذا الأخير مع آل سعود فأيّدوه فوراً وناصروه وعملوا على نشر مذهبه في الحجاز والجزيرة العربية.

وأصبح المذهب الحنبلي يعود إلى ثلاثة أئمة أوّلهم أحمد بن حنبل الذي لم يكن يدّعي بأنّه فقيهاً، وإنّما كان من أهل الحديث، ثمّ ابن تيميّة الذي لقّبوه بشيخ الإسلام ومجدّد «السنّة» والذي كفّره علماء عصره لأنّه حكم على كلّ المسلمين بالشّرك لأنّهم يتبركون ويتوسّلون بالنّبي (ص)، ثم جاء في القرن الماضي محمد بن عبد الوهاب صنيعة الاستعمار البريطاني في الشرق الأوسط،

فعمل هـو الآخـر على تجديد المذهب الحنبلي بما أخـذه من فتـاوى ابن تيميّـة ، وأصبح أحمد بن حنبل في خبر كان إذ أنّ المذهب عنـدهم اليوم يُسمى المذهب الوهابي .

وممـا لا شكّ فيه أنّ انتشـار تلك المذاهب وشهرتها وعلـوّ شأنها كان بتأييـد ومباركة الحكّام .

وممّا لا شكّ فيـه أيضاً بأنّ أولئك الحكّـام كلّهم بدون استثنـاء كانـوا يعادون الأئمـة مـن أهل البيت لشعـورهم الـدّائم بأنّ هـؤلاء يهدّدون كِيَـانهم وزوال ملكهم ، فكـانـوا يعملـون دائماً على عـزلهم عن الأمـة وتصغير شأنهم وقتل من يتشيّع لهم .

فبـديهي أن يُنصب أولئك الحكّـام بعـض العلماء المتـزلّفين إليهم والـذين يفتونهم بما يتلاءم مع حكمهم ووجودهم ، وذلك لحاجة النّاس المستمرّة لوجود الحلول في المسائل الشرعية .

ولمّا كـان الحكّام في كل العصـور لا يعرفـون من الشريعـة شيئاً ولا يفهمـون الفقه ، فكـان لا بدّ أنْ يُنصّبوا عـالماً باسمهم يفتي ، ويُموّهـون على النّاس بأنّ السّياسة شيء والدّين شيء آخر.

فكان الخليفـة الحاكم هو رجل السّياسة والفقيـه رجل الدّين كما يفعل ذلك اليوم رئيس الجمهورية في كلّ البـلاد الإسلامية ، فتراه يُعيّن أحد العلماء المقرّبين يُسمّيه مفتي الجمهـورية أو أي عنوان آخـر يعبر عن ذلك ، ويُكلّفه بـالنّظر في مسائل الفتيا والعبادات والشعائر الدّينيّة .

ولكنّه في الحقيقة ليس لهذا الرّجل أن يفتي أو يحكم إلاّ بما تُمليه عليه السّلطة ومـا يُـرضي الحاكم ، أو على الأقلّ ما لا يتعـارضُ وسيـاسـة الحكومـة وتنفيـذ مشاريعها .

وهـذه الظّاهـرة برزت في الحقيقـة من عهـد الخلفاء الثـلاثة أبـو بكر وعمـر وعثمان ، فهم وإن لم يُفـرّقـوا بين الـدّين والـدّولـة إلاّ أنّهم أعطـوا أنفسهم حقّ التشريع بما يتماشى ومصالح الخلافة وضمان هيبتها واستمرارها .

ولمّا كان لهؤلاء الخلفاء الثلاثة حضورٌ مع النّبي (ص) وصحبة فقد أخذوا عنه بعض السّنن التي لا تتعارض مع سياستهم.

فإنّ معاوية لم يدخل الإسلام إلاّ في السنة التاسعة للهجرة على أشهر الرّوايات الصحيحة، فلم يصحب النّبي إلاّ قليلاً ولم يعرف من سنّته شيئاً يذكر، فاضطرّ إلى تعيين أبي هريرة وعمرو بن العاص وبعض الصّحابة الذين كلّفهم بالإفتاء على ما يريده.

واتّبعَ بنو أميّة وبنو العبّاس بعده هذه «السنّة الحميدة» أو هذه البدعة الحسنة، فكلّ حاكم جلس إلى جانبه قاضي القضاة المكلّف بدوره بتعيين القضاة الذين يراهم صالحين للدّولة ويعملون على دعمها وتأييدها.

وما عليك بعد ذلك إلاّ أن تعرف ماهية أولئك القُضاة الذين يُغضبون ربّهم في إرضاء سيّدهم ووليّ نعمتهم الذي نصبهم.

وتفهم بعد ذلك السّر في إبعاد الأئمّة المعصومين من العترة الطاهرة فلا تجد منهم أحداً وعلى مرّ العصور عيّنوه من قِبلهم أو نصبوه قاضياً أو قلّدوه وسام الإفتاء.

وإذا أردنا مزيد التّحقيق حول كيفية انتشار المذاهب «السنّية» الأربعة بواسطة الحكّام، فلنا أن نأخذ لذلك مثالاً واحداً من خلال كشف السّتار عن مذهب الإمام مالك الذي يُعد من أكبر المذاهب وأعظمها قدراً وأوسعها فقهاً، فقد اشتهر مالك بالخصوص بالموطّأ الذي كتبه بنفسه ويقال عند أهل السنة بأنّه أصحّ الكتب بعد كتاب الله، وهناك بعض العلماء الذين يقدّمونه ويفضّلونه على صحيح البُخاري.

كما أنّ شهرة مالك فاقت كل الحدود، حتى قيل: «أيُفتَى ومالك في المدينة»؟ ولقّبوه بإمام دار الهجرة.

ولا يفوتنا أن نذكر بأنّ مالكاً أفتى بحرمة بيعة الإكراه فضربه جعفر بن سليمان والي المدينة سبعين سوطاً.

وهذا ما يحتجّ به المالكية دائماً على معاداة مالك للسّلطة وهو غير صحيح إذ

أنّ الذين رووا هـذه القصّة، هم أنفسهم الذيـن رووا ما بعدهـا، فإليك البيانُ والتفصيل.

قال ابن قتيبـة: «وذكروا أنّه لما بلغ أبـا جعفر المنصـور ضرب مالك بن أنس وما أنـزل به جعفر بن سليمان، أعظَمَ ذلـك إعظاماً شـديداً وأنكره ولم يـرضه، وكتب بعزل جعفر بن سليمان عن المدينة وأمر أن يؤتى به إلى بغداد على قتبٍ.

ثم كتب إلى مالك بن أنس ليستقدمه إلى نفسه ببغداد، فأبى مالك، وكتب إلى أبي جعفر يستعفيه من ذلك ويعتذر له بعض العذر إليه، فكتب أبو جعفر إليه أن وافني بالموسم العام القابل إن شاء الله فإنّي خارج إلى الموسم»[1].

فإذا كـان أمير المؤمنين أبو جعفـر المنصور الخليفـة العبّـاسي يعزلُ ابن عمّـه جعفر بن سليمان بن العبّاس عن ولاية المدينة من أجل ضرب مالك فهذا يبعثُ على الشكّ والتأمّل.

إذ أنّ ضرب جعفـر بن سليمان لمالـك لم يكن إلاّ لتأييـد خـلافـة ابن عمّـه وتدعيـم ملكه وسلطـانه، فكان الـواجب على أبي جعفـر المنصور إكـرام الوالي وترقيته، لا عزلـه وإهانته بتلك الطريقة، فقد عزله وأمـر بإقدامه على شرّ حال مكبّـلاً بالأغـلال على قتب، ثم يبعث الخليفـة بنفسـه اعتذاره إلى مـالك لكي يسترضيه! إنّه أمر عجيب!.

ويفهمُ من ذلك بأنّ والي المدينــة جعفـر بن سليمان تصرّفَ تصرّف الحمقى الذين لا يعـرفون من السّيـاسة ودهائهـا شيئاً، ولم يفهم بأنّ مـالكاً هـو عمدة الخليفة وركيـزته في الحرمين الشريفين، وإلاّ ما كـان ليعزل ابن عمّه من الـولاية لأنّه ضرب مالكاً الذي استحقّ ذلك من أجل فتواه بحرمة بيعة الإكراه.

وهذا ما يقَع اليـوم أيضاً بين ظهرانينا وأمام أعيننا عنـدما يُحاول بعض الولاة إهـانة شخص مَـا وسجنـه لتدعيم هيبـة الـدّولة وسـلامـة أمنها، فإذا بـذلك الشخص يكشف عن هـويّته وإذا بـه من أقارب السيـد الوزير أو مـن معارف

(1) تاريخ الخلفاء لابن قتيبة ج2، ص149.

زوجة الرّئيس فإذا بـالوالي قد أُعفِيَ من منصبه ودُعِيَ لمهام أخرى قـد لا يعرفُها حتّى الوالي نفسه .

وهذا يذكّرني بحادثة وقعتْ زمن الاحتـلال الفرنسي للبلاد التونسية ، فكان شيخ الطريقة العيساوية وجماعته يضربون البنادير ويرفعون أصواتهم بالمدائح في اللّيل مروراً ببعض الشوارع وحتى يصلوا إلى محلّ الحضرة كما هي عادتُهم .

وبمـرورهم أمام مسكن ضـابط الشرطة الفـرنسي ، خرج إليهم هـذا الأخير مُغضباً فكسر بناديرهم وفرّق جمعهم ، لأنهم لم يعملوا بقانون احترام الجار والتزام الهدوء بعد العاشرة ليلاً .

ولمّا علم المُراقب المدني بـالحادثة وهـو بمثابـة الوالي عنـدنا ، غضب غضبـاً شديـداً على ضابط الشرطة فعزلـه من منصبه وأعطاه ثـلاثة أيّام لمغادرة مـدينة قفصـة ، ثم استدعى شيخ الطّـريقة العيسـاوية واعتـذر إليه بـاسم الحكومـة الفرنسية ، واسترضـاه بأموال كثيرة كي يشتري بها بنادير وأثاثاً جـديداً ويعوّض كل ما كُسّر لهم .

وعندما سألـه أحد المقرّبين إليه لماذا فعل كل ذلك؟ أجـابه بأن الأفضل لنا أن يتلهّى هؤلاء الوحوش بضرب البناديـر وينشغلوا بالشطحات وأكل العقارب وإلاّ سوف يتفرّغوا لنا ويأكلونا نحن لأنّا غاصبين حقوقهم .

ونعود إلى الإمام مالك لنستمع إليه يروي بنفسه كيف كان لقاؤه بالخليفة أبي جعفر المنصور.

لقاء مالك مع أبي جعفر المنصور

هذه الرّواية التي يرويها ابن قتيبة المؤرخ الكبير في كتابه تاريخ الخلفاء منقولة عن مالك نفسه، فلا بدّ من هذه الملاحظة وأخذها بعين الاعتبار.

قال مالك: لمّا صرتُ بمنى أتيتُ السرادقات، فأذنتُ بنفسي، فأذن لي، ثم خرج إليّ الآذن من عنده فأدخلني، فقلتُ للآذن: إذا انتهيتَ بي إلى القبّة التي يكون فيها أمير المؤمنين فأعلمني، فمرّ بي من سرادق إلى سرادق، ومن قبّة إلى أخرى، في كلّها أصناف من الرّجال بأيديهم السّيوف المشهورة والأجزرة المرفوعة، حتّى قال لي الآذن: هو في تلك القبّة، ثم تركني الآذن وتأخّر عنّي.

فمشيتُ حتّى انتهيتُ إلى القبّة التي هو فيها، فإذا هو قد نزل عن مجلسه الذي يكون فيه إلى البساط الذي دونه، وإذا هو قد لبس ثياباً قصدة لا تُشبه ثياب مثله تواضعاً لدخولي عليه، وليس معه في القبّة إلاّ قائم على رأسه بسيف صليت.

فلما دنوتُ منه، رحّب بي وقرّب، ثم قال: ها هنا إليّ فأوميتُ للجلوس، فقال: ها هنا، فلم يزل يُدنيني حتّى أجلسني إليه ولصقتْ ركبتي بركبتَيْه.

ثم كان أوّل ما تكلّم به أن قال: والله الذي لا إله إلاّ هو يا أبا عبدالله ما أمرتُ بالذي كانَ ولا علمتُه قبل أن يكون، ولا رضيتُه إذ بلغني (يعني الضرب).

قال مالك: فحمدتُ الله تعالى على كل حال وصلّيتُ على الرّسول (ص)،

ثمّ نـزّهته عن الأمـر بذلك والـرضا بـه . ثم قال : يـا أبا عبد الله ، لا يـزال أهل الحرمين بخير مـا كنت بين أظهـرهم ، وإنّي أخـالك أمَـانـاً لهم من عـذاب الله وسطوته ولقد دفع الله بك عنهم وقعة عظيمة ، فإنّهم ما علمت أسرع النّاس إلى الفتن وأضعفهم عنها ، قاتلهم الله أنّى يؤفكون .

وقد أمرتُ أن يُؤتى بعدو الله[1] من المدينة على قتبٍ ، وأمـرتُ بضيق مجلسه والمبالغة في امتهانه ، ولا بدّ أن أُنزل به من العقوبة أضعاف ما نالك منه .

فقلتُ له : عافى الله أمير المؤمنين ، وأكـرم مثواه ، قد عفوتُ عنـه لقرابته من رسول الله (ص) ثم منك .

قال أبو جعفر : وأنتَ فعفى الله عنك ووصلك .

قـال مالك : ثم فـاتحني فيمن مضى من السّلف والعلماء ، فـوجدتـه أعلم النّاس بالنّـاس ، ثم فاتحني في العلم والفقه ، فوجدتـه أعلم النّاس بما اجتمعوا عليه ، وأعرفهم بما اختلفوا فيه ، حافظاً لما رُويَ واعياً لما سُمع .

ثم قـال لي : يا أبا عبـد الله ضع هذا العلـم ودوّنهُ ، ودوّن منه كُتبـاً ، وتجنّب شدائد عبدالله بن عمر ورخص عبدالله بن عبّاس ، وشواذ عبدالله بن مسعود ، واقصـد إلى أواسط الأمـور ، ومـا اجتمـع عليـه الأئمّـة والصّحـابـة (رضي الله عنهم) ، لنحمل النّـاس إن شـاء الله على علمـك وكُتبك ونبثّهـا في الأمصـار ، ونعهد إليهم أن لا يُخالفُوها ولا يقضوا بسواها .

فقلتُ لـه : أصلح الله الأمير ، إنّ أهل العراق لا يـرضون علمنـا ولا يرونَ في عملهم رأيَنَا .

فقال أبـوجعفر : يُحملون عليـه ونضرب عليه هامـاتِهم بالسيف ونقطع طي ظهورهم بـالسّياط ، فتعجّل بذلك وضعهـا فسيأتيك محمد المهـدي ابني العام القابل إن شـاء الله إلى المدينة ليسمعها منك ، فيجدك وقـد فرغت من ذلك إن شاء الله .

---

(1) يقصد ابن عمّه جعفر بن سليمان بن العبّاس واليه على المدينة .

قال مـالك : فبينما نحن قعود إذ طلع بُني له صغير من قبّةٍ بظهـر القبّة التي كنّا فيهـا ، فلما نظر إليّ الصبي فـزع ثم تقهقرَ فلم يتقدّم ، فقـال له أبـو جعفر: تقدّم يا حبيبي إنّما هو أبو عبدالله فقيـه أهلِ الحجاز، ثم التفتَ إليّ فقال : يا أبا عبدالله أتدري لمَ فزع الصبي ولم يتقدّم؟ فقلتُ : لا!

فقال : والله استنكـر قرب مجلسك منّي إذ لم يـرَ بهِ أحـداً غيرك قطّ ، فلذلك تقهقر.

قال مـالك : ثم أمر لي بألف دينار عينـاً ذهباً ، وكسوة عظيمـة ، وأمر لابني بألف دينــار، ثم استأذنتــه فأذن لي ، فقمتُ فـودّعني ودعــا لي ، ثم مشيتُ مُنطلقاً ، فلحقني الخصيّ بـالكسوة فـوضعها على منكبي وكـذلك يفعلون بمن كسوه وإن عَظُـم قدره ، فيخـرج بالكسوة على النـاس فيحملها ثـم يُسلّمها إلى غلامه .

فلما وضع الخصيّ الكسوة على منكبي انحنيتُ عنها بمنكبي كراهة احتمالها ، وتبرّؤاً من ذلك .

فناداه أبوجعفر: بلّغها رَحْلَ أبي عبدالله . . . إنتهى[1].

(1) تاريخ الخلفاء لابن قتيبة الجزء الثاني ص150 .

تعليق لا بد منه لفائدة البحث والتحقيق

يُـلاحظُ المتتبّع لهذه المقـابلة الـودّيـة التي جمعت بين الإمـام مالك والخليفـة الجائر أبي جعفر المنصور، ومن خـلال المحاورة التي دارت بينهما نستنتجُ الأمور التالية:

*أولاً: نلاحظ بأن الخليفة العبّاسي عزلَ واليـه على المدينة وهوابن عمّه وأقرب النّاس إليه، وأهانه أشدّ الإهانة بعد عزله، ثم يعتذر للإمام مالك عمّا صدر عنـه ويُقسِم بـالله أنّه لم يكن بأمـره ولا بعلمه ولم يـرضه عنـدما بلغه.

كلّ ذلك يدلّ على الوفـاق التّام الذي كان بين الرّجلين، والمكـانة التي كان يحظى بها الإمام مالك عند أبي جعفر المنصـور، إلى درجة أنّه يستقبله على انفراد بلباس داخلي، ويجلسـه مجلساً لم يجلس فيـه أحدٌ قطّ حتّى أنّ ابن الخليفـة فزع وتقهقر عندما رأى ركبتي مالك لاصقة بركبتي أبيه.

*ثانياً: نستفيد من قول المنصور لمالك: لا يزال أهل الحرمين بخير ما كنتَ بين أظهرهم، وإنّك أمان لهم من عذاب الله وإنّ الله دفع بكَ عنهم وقعة عظيمـة، بأنّ أهل الحرمين أرادوا الثـورة على الخليفـة وحكمـه الظـالم فهدّأهم الإمـام مالك وأخمد ثـورتهم ببعض الفتاوى كـالقول بـوجوب الطّاعة لله ورسـوله وأولي الأمر (وهو الحاكم) وبـذلك استكان النّاس

وهدأوا فلم يُقاتلهم الخليفة، ودفع الله بتلك الفتوى مجزرة الخليفة(1).

ولـذلك قـال المنصـور لمالك: إنّ أهل الحرمين أسرع النّـاس إلى الفتن وأضعفهم عنها قاتلهم الله أنّى يؤفكون.

*ثالثاً: إنّ الخليفة كان يرشّح مالكاً ليكون هو العالم المنظور إليه في كلّ الأقطار الإسلامية، ثم يفرض مذهبه على النّاس ويحملهم على اتّباعه بوسائل الترهيب والترغيب.

فمن وسائل التّرغيب قوله: ونعهد إلى أهل الأمصار أنْ لا يُخالفوها ولا يقضوا بسواها، وأن يوفدوا إليه وفودهم ويرسلوا إليه رسلهم في أيّام حجّهم.

ومن وسائل التّرهيب قوله: أمّا أهل العراق فيُحملون عليه ونضرب عليه هاماتهم بالسيف ونقطع طيّ ظهورهم بالسّياط.

ونفهم من هذه الفقرة ماذا كان يُلاقيه الشيعة المساكين من حكّام الجور من اضطهاد وقتل لحملهم على ترك الأئمة من أهل البيت واتّباع مالك وأمثاله.

* رابعاً: نلاحظ بأنّ الإمام مالكاً وجعفر المنصور كانا يحملان نفس العقائد ونفس المفاضلة بخصوص الصّحابة والخلفاء الذين استولوا على الخلافة بالقوّة والقهر.

قال مالك في ذلك: ثم فاتحني في العلم والفقه فوجدته أعلم النّاس، ثم فاتحني فيمن مضى من السّلف والعلماء فوجدته أعلم النّاس بالنّاس.

ولا شكّ بأنّ أبا جعفر المنصور بادل الإمام مالكاً نفس الشّعور وأطراه بنفس الإطراء، إذ قال له مرّة في لقاء قبل هذا: وأيم الله ما أجدُ بعد أمير المؤمنين أعلم منك ولا أفقه(2) ويقصد بأمير المؤمنين (نفسه، طبعاً).

---

(1) ولا تناقض بين فتواه بفساد بيعة الإكراه وفتواه بوجوب طاعة السّلطان وقد رووا في ذلك أحاديث كثيرة أذكر منها على سبيل المثال: «من خرج على طاعة السّلطان فمات على ذلك مات ميتة جاهلية» وكقولهم: «عليك بالسّمع والطاعة ولو أخذ الأمير مالك وضرب ظهرك».

(2) تاريخ الخلفاء لابن قتيبة ج2، ص142.

وممّا سبق نفهمُ بأنّ الإمام مالكاً كان من النّواصب، إذ أنه لم يكن يعترف بخلافة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أبداً وقد أثبتنا في ما تقدّم بأنّهم أنكروا على أحمد بن حنبل الذي ربّع الخلافة بعلي وأوجب له ما يجب للخلفاء قبله، وغنيّ عن البيان بأنّ مالكاً هلك قبل مولد ابن حنبل بكثير.

أضف إلى ذلك أنّ مالكاً اعتمد في نقل الحديث على عبدالله بن عمر النّاصبي الذي كان يحدّث بأنهم لا يعدلون في زمن النّبي بأبي بكر أحداً ثم عمر، ثم عثمان، ثم الناس بعد ذلك سواسية.

وعبدالله بن عمر هو أشهر رجال مالك وأغلب أحاديث الموطّأ تعود إليه وكذلك فقه مالك.

* **خامساً**: نلاحظ بأنّ السّياسة التي قامت على الظّلم والجور تريد أن تتقرّب إلى النّاس بما يُرضيهم من الفتاوى التي ألفوها ولا تكلّفهم الالتزام بالنّصوص القرآنية أو النّبوية.

فقد جاء في كلام المنصور لمالك قوله: ضعْ هذا العلم ودوّن منه كُتباً وتجنّب شدائد عبدالله بن عمر ورخص ابن عبّاس وشواذ ابن مسعود، واقصد إلى أواسط الأمور وما اجتمع عليه الأئمة والصّحابة لنحمل النّاس على علمك وكُتبك.

ومن هذا يتبيّن لنا بوضوح بأنّ مذهب «أهل السنّة والجماعة» هو خليط من شدائد ابن عمر ورخص ابن عبّاس وشواذ ابن مسعود وما استحسنه مالك من أواسط الأمور التي كان عليها الأئمة والمقصود بهم «أبو بكر وعمر وعثمان» وما اجتمع عليه الصّحابة الذين رضي عنهم الخليفة أبو جعفر المنصور.

وليس فيه شيءٌ من سنّة النّبي (ص) التي تُروى عن الأئمة الطاهرين من عترته، والذين عاصر المنصور ومالك البعض منهم، وعمل الخليفة على عزلهم وخنق أنفاسهم.

* **سادساً**: يلاحظ أنّ أوّل كتاب كُتب في تدوين السنة من أحاديث الصحابة والتابعين هو كتاب الموطّأ للإمام مالك. وكان بطلب من السّلطة

على لسـان الخليفـة نفسـه لكي يحمـل النّـاس عليـه قهـراً بضرب السّيوف إن لزم ذلك كما صرّح المنصور.

فلا بـد أن تكون تلك الأحاديث من وضع الأمـويّين والعبّاسيين والتي تخدم مصالحهم وتُقوّي نفـوذهم وسلطانهم، وتبعد النّاس عن حقـائق الإسلام التي صدع بها نبيّ الرحمة (ص).

*سابعاً: نلاحظ بأنّ الإمام مالكاً ما كان يخشى إلاّ من أهل العراق لأنهم كانوا شيعـة لعلي بن أبي طـالب، وقـد تشبّعوا بعلمـه وفقهـه وانقطعـوا في تقليدهم للأئمة الطّاهرين من ولده فلم يُقيموا وزناً لمالك ولا لأمثاله لعلمهم بأن هؤلاء نواصب يتزلّفـون للحكّام ويبيعون دينهم بالدّرهم والدينار.

ولـذلك قال مـالك للخليفـة: أصلح الله الأمير إنّ أهل العـراق لا يرضـون علمنا، ولا يرون في عملهم رأينا.

فيجيبـه المنصـور بكلّ غطـرسـة: يحملـون عليـه ونضرب عليـه هـامـاتهم بالسيف، ونقطع طي ظهورهم بالسّياط.

وبهذا نفهم كيف انتشرتْ المذاهب التي ابتدعتها السّلطات الحاكمة وسمّتها بمذاهب «أهل السنّة والجماعة».

والأمـر العجيب في كل ذلك أنّك تـرى أبا حنيفـة يخالف مـالكـاً، ومالكـاً يخالفه، والاثنين يخالفان الشافعي والحنبلي، وهذان يختلفان ويخالفان الاثنين، وليس هناك مسألـةٌ فيها اتّفـاق الأربعة إلاّ نادراً، ومع ذلـك فكلّهم «أهل سنّة وجماعة». أي جماعـة هذه؟ مالكية، أم حنفيـة، أم شافعية، أم حنبليـة؟؟ فلا هذا ولا ذاك، وإنّما هي جماعة معاوية بن أبي سفيان وهم الذين وافقوه على لعن علي بن أبي طالب وجعلوها سنّةً متّبعة ثمانين عاماً.

ولماذا يُسمح بـالخلاف وتعـدّد الآراء والفتيـا في المسـألـة الـواحـدة ويُصبح خـلافهم رحمةً مادام مقصـوراً على المذاهب الأربعة، فإذا خـالفهم مجتهدٌ آخـر كفّروه وأخرجوه عن الإسلام؟

ولماذا لا يحمَلُ خلاف الشّيعة لهم كالخلاف فيما بينهم لو كانوا مُنصفين وعاقلين؟

ولكنّ ذنب الشيعة لا يغتفر لأنّهم لا يقدّمون على علي أمير المؤمنين أحداً من الصحابة، وهذا هو جوهر الخلاف الذي لا يتحمّله «أهل السنّة والجماعة» الذين اتّفقوا على شيء واحد ألا وهو إقصاء علي عن الخلافة وطمس فضله وحقائقه.

***ثامناً**: نلاحظ بأنّ الحكّام الذين استولوا على أموال المسلمين بالقهر والقوّة، نراهم يوزّعون هذه الأموال بسخاء على علماء السّوء والمتزلّفين إليهم لاستمالتهم وشراء ضمائرهم ودينهم بدنياهم.

قال مالك: ثمّ أمر لي بألف دينار عيناً ذهباً وكسوة عظيمة وأمر لابني بألف دينار.

فهذا ما اعترف به مالك على نفسه وقد يكون ما لم يحدّث به أكثر من ذلك بكثير، لأنّ مالكاً كان يشعر بالحرج من العطايا الظّاهرة فكان لا يحبّ أن يراها النّاس، نفهم ذلك من قوله:

فلمّا وضع الخصيّ الكسوة على منكبي انحنيتُ عنها كراهة احتمالها وتبرؤاً من ذلك.

ولمّا عرف المنصور منه ذلك أمر الخصيّ أن يبلّغها رحل أبي عبدالله مالك حتّى لا يعرف النّاس عنه ذلك.

إختبار الحاكم العباسي لعلماء عصره

كان الخليفة العبّاسي أبو جعفر المنصور من الدّهاة الكبار وقد عرف كيف يستولي على عقول النّاس ويشتري ضمائرهم، وقد عمل على بسط نفوذه وتوسيع دائرة ملكه بوسائل التّرغيب والتّرهيب.

كما عرفنا مكره ودهاءه من خلال تعامله مع مالك بعدما ضربه والي المدينة، ممّا يدلّنا على الصلة الوثيقة التي تربطه بالإمام مالك قبل تلك الواقعة بزمن طويل.

فقد كان لمالك لقاء مع المنصور قبل هذا اللّقاء الذي ذكرناه بخمسة عشر عاماً وذلك إبّانَ استيلاء المنصور على الخلافة[1]. وقال المنصور لمالك فيما قال:

«يا أبا عبدالله إنّي رأيتُ رؤيا!» فقال مالك: يوفّق الله أمير المؤمنين إلى الصواب من الرأي ويُلهمه الرّشاد من القول، فما رأى أمير المؤمنين؟

فقال أبو جعفر: رأيتُ أنّي أُجلسك في هذا البيت، فتكون من عمار بيت الله الحرام، وأحمل النّاسَ على علمك، وأعهد إلى أهل الأمصار يوفدون إليك وفودهم، ويرسلون إليك رُسلهم في أيّام حجّهم لتحملهم من أمر دينهم على

(1) يذكر ابن قتيبة في تاريخ الخلفاء ج2، ص150 بأنّ اللّقاء الأول كان في سنة 148 للهجرة أمّا اللّقاء الثاني الذي كان في موسم الحجّ فهو في سنة 163 للهجرة.
ونحن نقول بأنّ مالكاً كان دائم اللّقاء بالخليفة وإنّما ذكر ابن قتيبة هذين اللّقاءين لأنّ مالكاً رواهما بنفسه ولأنّ فيهما أموراً مهمّة، فليس من المعقول أن يجتمع الخليفة مع مفتي الدّولة مرّة كلّ خمسة عشر عاماً!

الصّـــواب والحق إن شـــاء الله، وإنّما العلـم علم أهل المدينـــــة، وأنتَ أعلمهم. . . [1].

يقول ابن قتيبة لمّا ولّي أبو جعفر المنصور الخلافة جمع مالك بن أنس وابن أبي ذؤيب وابن سمعان في مجلس واحدٍ وسألهم: أيُّ الرجال أنا عندكم؟ أمن أئمة العدل أم من أئمة الجور؟

قال مالك، فقلت: يا أمير المؤمنين أنا متوسّلٌ إليك بالله تعالى وأتشفّع إليك بمحمـد (ص) وقرابتـك منه، إلاّ مـا أعفيتني من الكـلام في هـذا. قال: قـد أعفاك أمير المؤمنين.

أمّا ابن سمعان فقال لـه: أنتَ والله خير الرّجال يا أمير المؤمنين، تحجّ بيت الله الحرام، وتجاهـد العــدوّ، وتـؤمّن السّبل، ويأمن الضعيف بـك أن يأكلـه القويُّ، وبك قوام الدّين، فأنتَ خير الرّجال وأعدل الأئمّة.

أمّا ابن أبي ذؤيب فقـال له: أنتَ والله عندي شرّ الرّجـال استأثرتَ بمال الله ورسـولــه، وسهم ذوي القُـربى واليتـامى والمســاكين، وأهْلكتَ الضعيف، وأتعبتَ القوي، وأمسكتَ أموالهم، فما حُجّتك غداً بين يدي الله؟

فقال له أبو جعفر: ويحك ما تقول؟ أتعقل؟ أُنظر ما أمامك؟

قال: نعم قـد رأيت أسيافـاً، وإنّما هو الموتُ، ولا بـدّ منه عـاجله خير من آجله.

وبعد هذه المحاورة طرد المنصور ابن أبي ذؤيب وابن سمعان، واختلى بمالك وحده وأمّنَه وقال له:

يا أبا عبدالله انصرف إلى مصرك راشداً مهدياً، وإنْ أحببْتَ ما عندنا، فنحنُ لا نُؤثر عليك أحداً ولا نعدلُ بك مخلوقاً. . .

قال: ثم بعث أبو جعفر المنصور من الغد لكلّ واحدٍ منهم صرة فيها خمسة آلاف دينار مع أحد شرطته وقال له:

---

(1) تاريخ الخلفاء لابن قتيبة ج2، ص142.

تدفع لكلّ رجل منهم صُرّة، أمّا مالك بن أنس إن أخذها فبسبيله، وإن ردّها فلا جناح عليه فيما فعل.

وأمّا ابن أبي ذؤيب فائتني برأسه إنْ أخذها، وإنْ ردّها عليك، فبسبيله لا جناح عليه.

وإن يكن ابن سمعان ردّها فَائت برأسه، وإن أخذها فهي عافيتُه.

قال مالك: فنهض بها إلى القوم، فأمّا ابن سمعان فأخذها فسلم، وأمّا ابن أبي ذؤيب فردّها فسَلم، وأمّا أنا فكنتُ والله محتاجاً إليها فأخذتها[1].

ونلاحظ من هذه القصّة بأنّ مالكاً يعرف جور الخليفة وظلمه، ولكنّه وللعلاقة الودية التي كانت بينه وبين المنصور فقد ناشده بمحمد وقرابته منه.

وهذا ما كان يُعجبُ الحكّام العبّاسيين ويهمّهم في ذلك العصر، وهو أن يعظّمهم النّاس ويمجّدونهم بقرابتهم من رسول الله (ص) ولذلك فَهِم الخليفةُ قصد مالك فأعجبه ذلك وأعفاه من الكلام.

أمّا الثّاني وهو ابن سمعان فقد أطراه بما ليس فيه مخافة القتل إذ كان السّياف واقفاً ينتظر إشارة الخليفة.

أمّا الثّالث وهو ابن أبي ذؤيب فكان شجاعاً، لا يخشى في الله لومة لائم وكان مؤمناً مخلصاً وصادقاً ناصحاً لله ولرسوله ولعامّة المسلمين، فجابهه بحقيقة أمره وكشف عن زيفه ومغالطته، وعندما هدّده بالقتل رحّب به ولم يَخَفْ منه.

ولذلك نرى أنّ الخليفة امتحنَ الرّجلين بالأموال الطّائلة، وأعفى الإمام مالكاً من ذلك الامتحان، فهو سالم في الحالتين إن أخذها أو ردّها.

أمّا ابن أبي ذؤيب فيقطع رأسه إن أخذها وكذلك ابن سمعان يقطع رأسه إنْ ردّها.

ولمّا كان أبو جعفر المنصور داهيةً عُظمى تراه عمل على رفع مكانة مالك

---

(1) تاريخ الخلفاء لابن قتيبة ج 2، ص 144.

وفرض مذهبه، وقضى على مذهب ابن أبي ذؤيب بالرغم من أنّ ابن أبي ذؤيب كان أعلم من مالك وأفضل منه كما اعترف بذلك الإمام أحمد بن حنبل[1].

كما أنّ ليث بن سعد كان أفقه من مالك، كما اعترف بذلك الإمام الشافعي[2].

والحقيقة في ذلك العصر أنّ الإمام جعفر الصّادق كان أفضل وأعلم وأفقه منهم جميعاً وقد اعترفوا كلّهم بذلك[3]، وهل يتجرّأ أحدٌ من الأمة أن يُباريه في علم أو في عملٍ، في فضل أو في شرفٍ، وجدّه علي بن أبي طالب هو أفضل وأعلم وأفقه من الخلق كلّهم بعد رسول الله (ص)؟

ولكنّ السّياسة هي التي ترفَعُ قوماً وتضعُ آخرين والمالَ هو الذي يقدّمُ قوماً ويُؤخّر آخرين.

والذي يهمّنا في هذا البحث هو أن نُبين بالأدلّة الواضحة والحُجج الدّامغة بأنّ المذاهب الأربعة لـ«أهل السنّة والجماعة» هي مذاهب ابتدعتها السّياسة وفرضتها على النّاس بوسائل التّرهيب والتّرغيب والدّعاية، فالنّاس على دين ملوكهم.

ومن أراد مزيداً من البيان والتحقيق فعليه بقراءة كتاب «الإمام الصادق والمذاهب الأربعة» للشيخ أسد حيدر (رحمه الله) وهناك سيعرف ما حضي به الإمام مالك من الجاه والسلطان حتى أنّ الإمام الشافعي كان يتوسل بوالي المدينة كي يدخل على مالك فيقول له الوالي: «أفضل المشي راجلاً من المدينة إلى مكة أهون عليّ من الوقوف على باب مالك، لأني لا أشعر بالذلة إلا عند الوقوف على بابه».

---

(1) تذكرة الحفاظ ج1، ص176.

(2) مناقب الشافعي ص524.

(3) قد مرّ عليك قول مالك: ما رأت عينٌ ولا سمعت أذنٌ ولا خطر على قلب بشر أفقه من جعفر بن محمد الصّادق.

وهـذا أحمد أمين المصري يقول في كتـابه ظهـر الإسلام: «كـانَ للحكومـات دخلٌ كبير في نصرة مـذهب أهل السنّـة، والحكومـات عـادة إذا كانـتْ قويّـة وأيّـدتْ مـذهباً من المذاهب تبعـهُ النّـاسُ بـالتقليد، وظلّ سنـداً إلى أن تـدول الدولة»(1).

ونحن نقول بأنّ مـذهب الإمام جعفـر الصّادق وهو مـذهب أهل البيت إذا جاز لنا تسميتُه بالمذهب جـرياً على عادة المسلمين وإلاّ فإنّه الإسلام الصّحيح الذي جاء به رسول الله (ص)، لم يُؤيّـده أي حاكم ولم تعترف به أية سلطة، بل عمل كلّ الحكّام على إسقاطه والقضاء عليه وتنفير النّاس منه بشتّى الوسائل.

فإذا شقّ تلك الظّلمات الحالكـة وكان لـه أتباعٌ وأنصـارٌ عبر القرون الظّـالمة فـذلك من فضل الله تعـالى على المسلمين، لأنّ نور الله لا تُطفئُـه الأفـواه، ولا تقضي عليه السّيوف ولا تُبطله الدّعايات الكاذبة والإشاعات المُغرضة لئلاّ يكون للنّاس على الله حجّة أو يقولوا إنّا كنّا عن هذا غافلين.

والذين اقتـدوا بأئمة الهُدى من العترة الطّاهـرة، كانُوا ثلّة قليلـة يُعدّون على الأصابع بعد وفاة النّبي (ص)، وتكاثروا على مرّ التاريخ والعصور لأنّ الشجرة الطّيبة أصلها ثابتٌ وفرعها في السّماء تؤتي أكلها كلّ حين بإذن ربها، وما كان لله دام واتّصل.

وقد حـاولتْ قـريش القضاء على محمّـد في بداية الـدّعوة، ولمّا عجـزتْ عن ذلك بفضل الله وفضل أبي طـالب وعلي اللذين كـانا يفـديانـه بنفسيهما سلّت قريش نفسها بأنّ محمداً أبتر ليس لـه عقب إذا مات انقطع نسله وانتهى أمره، فصبروا على مضض.

ولكنّ ربّ العـالمين أعطاه الكوثـر وأصبح محمّـد جدّ الحسنين وبشر المؤمنين بأنهما إمَامان إن قامَا وإن قعدَا، وبأنّ الأئمة كلّهم من ذرية الحسين، وهذا كله يهدّد مصالح قريش ومستقبلها.

وهذا لم يُعجب قريش فثارت ثائرتُها بعـد وفاة محمّد (ص) وحاولتْ القضاء

(1) كتاب ظهر الإسلام ج4، ص96.

على عترته كلها فأحاطوا بيت فاطمة بـالحطب ولولا استسـلام علي وتضحيتُه بحقّـه في الخلافة ومسـالمته لهم، لقُضي عليهـم، وانتهى أمرُ الإسـلام من ذلك اليوم.

وسكتتْ قريش وهدأ روعها مـادامتْ هي الحاكمة وليس في نسل محمّد من يهدّد مصالحها، وبمجرّد ما رجعتْ الخلافة لعلي أشعلتْ قُريش ضدّه الحروب الطّاحنة ولم تهدأ حتّى قضتْ عليـه وأرجعتْ الخلافة إلى أخبث بطن من بطونها فأصبحت ملكيـة قيصرية يعهـد بها الآباء إلى أبنـائهم، وعندمـا رفض الحسين مبايعة يزيـد قريش هبّت قريش عند ذلك وثارتْ ثورتُها العـارمة للقضاء نهائيّاً على العترة النّبوية وكلّ شيء اسمه نسلُ محمّد بن عبدالله.

فكـانتْ مـذبحـة كـربـلاء والتي قتلـوا فيهـا ذرّيـة النّبي (ص) بما في ذلك الصبيان والرضّع وأرادوا اجتثاث شجرة النّبـوة بكل فروعها، ولكنّ الله سبحانه وتعالى أنجـز وعدَه لمحمّد فأنقـذ علي بن الحسين وأخرج من صلبه بقيـة الأئمة ومُلئتْ الأرض بنسله شرقاً ومغرباً، وكان الكوثر.

فما من بلـد ولا قـرية ولا بقعـة من الأرض إلاّ لنسل رسـول الله (ص) فيهـا وجود وأثرٌ وعند النّاس لهم فيها احترام ومودّة.

وها نحنُ اليوم وبعد كلّ المحاولات التي باءتْ بالفشل، أصبح عدد نفوس الشّيعة الجعفريّة وحدهم يبلغُ 250 مليون مسلم في العالم كلّهم يقلّدون الأئمة الاثني عشر من عترة النّبي ويتقرّبونَ إلى الله بمودّتهم وموالاتهم ويرجون شفاعة جدّهم.

ولن تجد مثل هذا العـدد في أي مذهب من المذاهب الأخرى إذا أخـذنا كلّ مذهب على انفراد رغم تأييد الحكّام وقرضهم.

﴿ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين﴾ (الانفال: 30).

ألم يأمـر فرعـون بذبح كلّ مـولـود من الذكـور في بني إسرائيل عندمـا أخبره المنجّمون بأنّ مولوداً في الإسرائيليين يهدّد بزوال ملكه؟ ولكنّ خير الماكرين أنقذ

موسى من مكر فرعون وأوصله حتّى تربّى في حجر فرعون نفسه وقوّض ملكه وأهلك حزبه وكان أمرُالله مفعولاً.

ألم يعمل معاوية (فرعون زمانه) على لعن علي وقتله وقتل أولاده وشيعته؟ ألم يحرّم أن يذكره ذاكر بفضيلة؟ ألم يحاول بكلّ مكره على إطفاء نور الله وإرجاع الأمر إلى الجاهلية؟ ولكنّ خير الماكرين رفع ذكر علي رغم أنف معاوية وحزبه وأصبح ذكر علي يلهجُ به المسلمون سنّة وشيعة بل حتّى النّصارى واليهود، وأصبح قبر علي مزاراً بعد قبر الرّسول (ص) يطوف حول ضريحه ملايين المسلمين يذرفون الدّموع ويتقرّبون إلى الله به وتعلو مقامَه قبّةٌ ومآذن ذهبية شامخة في السّماء تأخذ بالأبصار.

بينما خمدَ ذكر معاوية الأمبراطور الذي ملك الأرض وعاث فيها فساداً فهل تجد له ركزاً؟ أم تجد له مزاراً يُذكر غير مقبرة مظلمة ومهملة؟ فإن للباطل جولة وللحق دولة فاعتبروا يا أولي الألباب.

والحمد لله على هدايته، الحمد لله الذي عرّفنا بأنّ الشّيعة هم على سنّة الرّسول فهم أهل السنّة النّبوية لأنهم اقتدوا بأهل البيت، وأهل البيت أدرى بما فيه، وهم الذين اصطفاهم الله وأورثهم علم الكتاب.

كما عرّفنا بأنّ «أهل السنّة والجماعة» قد اتّبعوا بدع الحكّام من السّلف والخلف كما أنّهم لا حجّة لهم فيما يدّعونه.

حديث الثقلين عند الشيعة

ومما يدلّ على أنّ الشيعة هم أتباع السنّة النبـوية الصحيحة هو ما يروى عن رسول الله (ص) مـن حديث الثقلين وقـوله: إني تارك فيكـم الثّقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي مـا إن تمسّكتم بهما لن تضلّـو بعـدي أبـداً، فلا تتقـدمـوهم فتهلكـوا، ولا تقصروا عنهم فتهلكـوا، ولا تعلمـوهم فإنهم أعلم منكم[1] وفي بعض الـروايـات: وإن اللطيف الخبير أنبـأني أنهما لن يفترقـا حتى يـردا عليَّ الحوض.

وحـديث الثّقلين هذا أخـرجـه «أهل السنّـة والجماعة» في أكثـر من عشرين مصدراً من صحاحهم ومسانيدهم، كما أخرجه الشيعة في كلّ كتب الحديث.

وهو كما ترى صريح صراحة لا مزيد عليها بأنّ «أهل السنّة والجماعة» ضلّوا لأنهم لم يتمسكـوا بهما معاً وهلكـوا لأنهم تقدمـوا على أهل البيت وظنوا بأنّ أبـا حنيفة ومـالكاً والشافعي وابن حنبل أعلم من العترة الطـاهرة فقلدوهم وتـركوا العترة الطاهرة.

على أنّ قـول بعضهم بأنهم تمسّكـوا بـالقرآن لا دليـل عليه لأنّ القـرآن كلّـه عمـومات وليس فيـه تفـاصيل الأحكام، وهـو حمّال أوجـه ولا بدّ لـه من مُبيّن ومفسّر كما هو الحال بـالنسبة للسنّـة النبوية التـي تتطلب رواة ثقات ومفسرين عالمين.

(1) صحيح الترمـذي وصحيح مسلم ومستـدرك الحاكم ومسنـد أحمد بن حنبل وكنـز العمّال وخصائص النّسـائي وطبقات ابن سعد والطبراني والسّيـوطي وابن حجر وابن الأثير. ولمعـرفة عدد الأجزاء والصفحات يراجع كتاب المراجعات ص82 وما بعدها.

وليس هناك حلّ لهذا المشكل إلاّ بالرجوع لأهل البيت أعني الأئمة من العترة الطاهرة الذين أوصى بهم رسول الله (ص).

وإذا أضفنا إلى حديث الثقلين المتقدم أحاديث أخرى لها نفس المعنى وترمي إلى نفس الهدف كقوله (ص): «علي مع القرآن والقرآن مع علي لن يفترقا حتى يردا علي الحوض»[1] وقوله أيضاً:

«علي مع الحق والحق مع علي، ولن يفترقا حتى يردا علي الحوض يوم القيامة»[2] تأكّد لدينا ولدى كلّ باحث بأن من ترك علياً فقد ترك التفسير الحقيقي لكتاب الله تعالى، ومن ترك علياً فقد نبذ الحق وراء ظهره واتبع الباطل فليس بعد الحق إلا الضّلال.

وتأكّد لدينا أيضاً بأن «أهل السنّة والجماعة» تركوا القرآن والسنة النبوية بتركهم الحق وهو علي بن أبي طالب (عليه السّلام)، كما تأكّدتْ نبوة محمد (ص) بقوله بأن أُمّته ستفترق إلى ثلاثٍ وسبعين فرقة كلها في الضلالة إلا فرقة واحدة.

وهذه الفرقة الناجية هي التي اتبعتْ الحقَّ والهدى باتباعها للإمام علي (عليه السلام)، فحاربوا حربه وسالموا سلمه واقتدوا به في علمه وتمسّكوا بالأئمة الميامين من ولده.

﴿أولئك هم خير البرية * جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً رضي الله عنهم ورضوا عنه، ذلك لمن خشي ربّه﴾. (البينة: 7 ـ 8).

---

(1) أخرجه الحاكم في المستدرك ج 3، ص 124 والذهبي في تلخيصه.

(2) منتخب كنز العمّال ج 5، ص 30. تاريخ ابن عساكر ج 3، ص 119. تاريخ بغداد ج 14، ص 321. تاريخ الخلفاء لابن قتيبة ج 1، ص 73

حديث الثقلين عند «أهل السنة»

كما قدّمنا فإن نفس الحديث الذي ذكرناه في الفصل السّابق، هو الذي أخرجه علماء «أهل السنّة والجماعة» واعترفوا بصحته في أكثر من عشرين مصدراً من مصادرهم المشهورة.

وإذا اعترفوا بصحة الحديث فقد شهدوا على أنفسهم بالضّلالة ضمنياً، لأنهم لم يتمسكوا بالعترة الطاهرة واعتنقوا مذاهب واهية ما أنزل الله بها من سلطان ولا وجود لها في السنة النبوية.

والعجيب من علماء «أهل السنّة» اليوم وبعد انقراض بني أميّة وهلاكهم، وفي عصر كثر فيه الاتصال المباشر وتوفرت فيه وسائل البحوث العلمية، فكيف لا يتوبون ويرجعون إلى الله من قريب كي يشملهم قوله سبحانه وتعالى: **﴿وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى﴾** (طه: 82).

وإذا كان الناس في القرون الخالية زمن الخلافة مُكرهين على اتباع السّلطان بالقهر والقوة، فما هو عذرهم اليوم، والسلطان في كلّ البلاد لا يهمه من أمر الدين شيئاً مادام عرشه مضموناً وهو يتبجح بالديمقراطية وبحقوق الإنسان التي من ضمنها حرية الفكر والعقيدة؟

بقي هناك من علماء «أهل السنة» المعترضون على حديث الثقلين المذكور،

بحديث «تركت فيكم كتاب الله وسنتي»[1].

وأقلّ ما يُقال في هؤلاء: إنّهم بعيدون عن مقاييس العلم وأصول البحث والمعرفة، وإثبات الحجّة والدليل.

---

(1) قلنا في ما سبق من الأبحاث بأنّ حديث «كتاب الله وسنّتي» هو حديث مرسلٌ غير مسند ولم يخرجه الصّحاح، بينما حديث «كتاب الله وعترتي» هو حديث صحيح ومتواتر أخرجه كل الصّحاح عند السنّة والشيعة.

كتاب الله وعترتي، أو كتاب الله وسنّتي؟

قد وافينا البحث في هـذا الموضوع في كتاب «مع الصادقين» وقُلنـا باختصار بأنّ الحديثين لا يتنـاقضان لأنّ السنـة النبـوية الصحيحـة محفـوظة عنـد العترة الطاهرة من أهل البيت (عليهم السلام)، وأهل البيت أدرى بما فيه وعليّ بن أبي طالب هـو باب السنة النبـوية وهو أولى أن يكـون راوية الإسلام من أبي هـريرة ومن كعب الأحبار ووهب بن منبّه.

ومع ذلك لا بد من مزيد البيان والتوضيح، ولو أدى ذلك إلى التكرار فإن في الإعادة إفادة، ولعل بعضهم لم يقرأوه هناك فإنهم سيطّلعون عليه هنا بمزيد من التفصيل والإيضاح.

ولعلّ القرّاء الكرام يجدون في هذا البحث مـا يقنعهم بأنّ حديث «كتاب الله وعترتي» هو الأصل، وإنما عمد الخلفاء على إبداله بحديث «كتاب الله وسنتي» ليبعدوا بذلك أهل البيت عن مسرح الحياة.

ولا بـدّ من الملاحظـة بأن حـديث «كتـاب الله وسُنتي» لا يصُحُّ حتى عنـد «أهل السنّـة والجماعـة» لأنهم رووا في صحـاحهـم بأن النبي (ص) نهاهم عن كتابتها، فإذا كان حديث النهي صحيحاً، فكيف يجوز للنبي (ص) أن يقول: تركت فيكم سُنتي وهي غير مكتوبة ولا معلومة؟؟!

ثم لـو كان حـديث «كتـاب الله وسُنتي» صحيحـاً، فكيف جاز لعمـر بن الخطاب أنْ يرد على رسول الله (ص) ويقول: حسبنا كتاب الله؟!

وإذا كان الرسول (ص) ترك سنة مكتوبة، فكيف جاز لأبي بكر وعمر حرقها ومنعها من النّاس؟!

وإذا كان حديث «كتاب الله وسُنتي» صحيحاً، فلماذا يخطبُ أبو بكر بعد وفاة النبي (ص) ويقول: لا تحدثوا عن رسول الله شيئاً، فمن سألكم فقولوا: بيننا وبينكم كتاب الله فاستحلوا حلاله وحرموا حرامه[1]؟!

وإذا كان حديث «كتاب الله وسنتي» صحيحاً، فلماذا خالفها أبو بكر في قتال مانعي الزكاة وقد قال رسول الله (ص): من قال لا إله إلا الله عصم مني دمه وماله وحسابه على الله؟!

وإذا كان حديث «كتاب الله وسنتي» صحيحاً، فكيف جاز لأبي بكر وعمر ومن وافقهما من الصحابة أن يستبيحوا حرمة الزّهراء ويهجموا على بيتها مهددين بحرقها بمن فيها، ألم يسمعوا قول النبي فيها: «فاطمة بضعة مني من أغضبها فقد أغضبني ومن أذاها فقد أذاني؟» بلى والله لقد سمعوها ووعوها، ألم يسمعوا قول الله تعالى: **﴿قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى﴾** (الشورى: 23)التي نزلت فيها وفي بعلها وولديها؟ فهل كانت مودة أهل البيت هي ترويعهم وتهديدهم بالحرق، وضغط الباب على بطن فاطمة حتى أسقطت جنينها بأبي هي وأمي؟؟!

وإذا كان حديث «كتاب الله وسنتي» صحيحاً، فكيف استحلّ معاوية والصحابة الذين بايعوه وساروا في ركابه أن يلعنوا علياً ويسبوه على المنابر طيلة حكم بني أُمية، ألم يسمعوا أمر الله لهم بأن يصلوا عليه كما يصلّون على النبي؟ ألم يسمعوا قول النبي (ص): «من سب عليّاً فقد سبني، ومن سبني فقد سب الله»[2]؟!

وإذا كان حديث «كتاب الله وسنتي» صحيحاً، فلماذا غابت هذه السنة على

---

(1) تذكرة الحفّاظ للذّهبي ج1، ص3.

(2) مستدرك الحاكم ج3، ص121 قال: حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.
ـ تاريخ الخلفاء للسيوطي ص73 خصائص النّسائي ص24. المناقب للخوارزمي ص82.

أكثر الصحابة فجهلوها وأفتوا في الأحكام بآرائهم، وكذلك فعل أئمة المذاهب الأربعة الذين التجأوا للقياس والاجتهاد، والإجماع وسدّ باب الذرائع، والمصالح المرسلة والاستصحاب وصوافي الأمراء وأخفّ الضررين وغير ذلك[1]؟!

فإذا كان الرسول (ص) قد ترك «كتاب الله وسنة نبيه» ليعصمان الناس من الضلالة، فلا داعي لكلّ هذه الأمور التي ابتدعها «أهل السنة والجماعة» فكلّ بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار كما جاء في الحديث الشريف. . !

ثم إن العقلاء وأهل المعرفة، يلقون باللوم على النبي (ص) الذي أهمل سنته ولم يعتن بها ولم يأمر بتدوينها وحفظها ومن ثم صيانتها من التحريف والاختلاف والوضع والاختلاق، ثم يقول للناس: «إني تارك فيكم الثقلين ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي، كتاب الله وسنتي»!

أما إذا قيل لهؤلاء العقلاء بأنه نهاهم عن كتابتها فسيكون عند ذلك هزؤاً، لأن ذلك ليس من أفعال الحكماء، إذ كيف ينهى المسلمين عن كتابة سُنته، ثم يقول لهم: تركت فيكم سنتي؟؟!

أضف إلى كل ما تقدم بأن كتاب الله المجيد، إذا أضفنا إليه السنّة النبوية التي كتبها المسلمون عبر القرون، فإنّ فيها النّاسخُ والمنسوخ وفيها الخاص والعام وفيها المحكم والمتشابه، فهي شقيقة القرآن، غير أن القرآن كله صحيح لأن الله سبحانه تكفل بحفظه ولأنه مكتوب، أمّا السنة ففيها المكذوب أكثر من الصحيح، فالسنة النبوية هي قبل كلّ شيء محتاجة إلى المعصوم الذي يدلّ على صحيحها ويطرح كل ما وضع فيها، وغير المعصوم لا يقدر على شيء من ذلك ولو كان عالماً علامة.

كما أن «القرآن والسنّة» معاً يفتقران إلى عالم متبحرٍ عارف بكلّ أحكامهما مطلع على أسرارهما، لكي يبين للناس من بعد النبي ما اختلفوا فيه وما جهلوه.

---

(1) جامع بيان العلم ج2، ص174.

ألم ترَ أن الله سبحانه أشار إلى أنّ القرآن الكريم يفتقر إلى مبين، فقال جلّ وعلا: ﴿**وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم**﴾ (النحل: 44)؟ فلو لم يكن النبي يبين للناس ما نزل إليهم، لم يكونوا ليعرفوا أحكام الله ولو نزل القرآن بلغتهم!

وهذا أمر بديهي يعرفه كل الناس، ورغم نزول القرآن بفرائض الصلاة، والزكاة، والصوم، والحج، فالمسلمون في حاجة لبيان النبي (ص) فهو الذي أوضح كيفية أداء الصلاة، ومقدار نصاب الزكاة، وأحكام الصوم، و مناسك الحج، ولولاه لما عرف الناس من ذلك شيئاً.

و إذا كان القرآن الذي لا اختلاف فيه، والذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه بحاجة إلى مبين، فإن السنة النبوية أحوج من القرآن إلى من يبينها، وذلك لكثرة الاختلاف الذي حصل فيها ولكثرة الدسّ والكذب الذي طرأ عليها. وإنه من الطبيعي جداً، بل من الضروريات العقلية أنْ يعتني كل رسول بالرسالة التي بعث بها، فيقيم عليها وصياً وقيماً بوحي من ربّه حتى لا تضيع الرسالة بموته، ولأجل ذلك كان لكلّ نبي وصي.

ولكلّ ذلك أعد رسول الله (ص) خليفته ووصيه على أمّته علي بن أبي طالب ورباه منذ صغره بأخلاق النبوة، وعلمه في كبره علم الأولين والآخرين، وخصّه بأسرار لا يعرفها غيره، ودل الأمة عليه مراراً وأرشدهم إليه تكراراً، فقال لهم: إنّ هذا أخي ووصيي وخليفتي عليكم، وقال: أنا خير الأنبياء وعلي خير الأوصياء وخير من أترك بعدي، وقال: علي مع الحق والحق معه، وعلي مع القرآن والقرآن معه، وقال: أنا قاتلت على تنزيل القرآن وعلي يقاتل على تأويله، وهو الذي يبين لأمتي ما اختلفوا فيه من بعدي، وقال: لا يؤدي عني إلا علي وهو ولي كل مؤمن بعدي وقال: علي مني بمنزلة هارون من موسى، علي مني وأنا منه وهو باب علمي[1].

---

(1) كل هذه الأحاديث صحيحة عند «أهل السنّة والجماعة» أخرجها علماؤهم وصحّحوها وقد ذكرناها في الكتب السّابقة ومن أراد المصادر فعليه بكتاب المراجعات بتحقيق حسين الرّاضي.

وقد ثبت بالدليل العلمي وبالتاريخ وما كتبه أصحاب السير بأن علياً كان المرجع الوحيد لكلّ الصحابة عالمهم وجاهلهم، ويكفي أن يعترف «أهل السنّة» بأن عبد الله بن عباس والذي لقبوه بحبر الأمة تلميذه وخريجه كما يكفي دليلاً أن كل العلوم التي عرفها المسلمون تنسب إليه (عليه السلام)[1].

وعلى سبيل الافتراض لو تعارض حديث «كتاب الله وسنتي» مع حديث «كتاب الله وعترتي» لوجب تقديم الثاني على الأول أعني تقديم «عترتي» على «سنتي»، ليتسنى للمسلم العاقل الرجوع إلى أئمة أهل البيت الطاهرين كي يبينوا له مفاهيم القرآن والسنة.

أمّا لو أخذ بحديث «كتاب الله وسنتي» فسوف يبقى محتاراً في كل من القرآن والسنة ولا يجد المرجع الموثوق الذي يبين له الأحكام التي لم يفهمها، أو الأحكام التي اختلف فيها العلماء اختلافاً كبيراً وقال فيها أئمة المذاهب أقوالاً متعددة أو متناقضة.

ولا شك بأنه لو أخذ بقول هذا العالم أو ذاك، أو اتبع رأي هذا المذهب أو ذاك، فإنما يتبعه ويأخذ منه بدون دليل على صحة هذا و بطلان ذاك، وإن قبول هذا المذهب ورفض ذاك هو تعصب أعمى وتقليد بدون حجة، قال الله تعالى في هذا المعنى: ﴿**وما يتبع أكثرهم إلا ظناً إن الظن لا يغني من الحق شيئاً**﴾(يونس: 36). وأضرب لذلك مثالاً واحداً حتى يعرف القارىء الكريم صدق الحديث ويتبين له الحقّ من الباطل.

لو أخذنا القرآن الكريم وقرأنا فيه آية الوضوء وقول الله تعالى: ﴿**وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم إلى الكعبين**﴾ (المائدة: 6)، فهمنا منها لأول وهلة مسح الأرجل كمسح الرؤوس، وإذا نظرنا إلى فعل المسلمين نجدهم مختلفين في ذلك. «فأهل السنّة والجماعة» كلهم يغسلون، والشيعة كلهم يمسحون.

فنُصابُ عند ذلك بالحيرة والشك، أيهما الصحيح؟

---

(1) راجع في ذلك مقدمة ابن أبي الحديد المعتزلي في شرحه للنهج.

ونرجع إلى العلماء من «أهل السنة والجماعة» ومفسريهم، فنجدهم مختلفين في هذا الحكم على حسب ما يروونه من أن هناك قراءتين «أرجلَكم بالنصب» و«أرجلِكم بالجر»

ثم يُصححون القراءتين ويقولون: من قرأ بالنصب فقد أوجب الغسل ومن قرأ بالجر فقد أوجب المسح.

ثم يطلع علينا عالم ثالث متبحر في اللغة العربية من علماء السنة[1] فيقول: إنّ قراءة النصب وقراءة الجر توجبان المسح، لأن الأرجل إمّا تكون منصوبة على المحل أو تكون مجرورة بالجوار، ثم يقول بأن القرآن جاء بالمسح وجاءت السنة بالغسل.

وأنت كما ترى أيها القارىء بأن علماء «أهل السنة والجماعة» لم يزيلوا حيرتنا باضطراب أقوالهم، بل قد ضاعفوا شكّنا لقولهم بأن السنة خالفت القرآن، وحاشا للنبي أن يخالف القرآن ويغسل رجليه في الوضوء، ولو غسل النبي رجليه في الوضوء لما جاز لكبار الصحابة مخالفته وهم من هم في العلم والمعرفة والقرب منه أمثال علي بن أبي طالب وابن عباس والحسن والحسين وحذيفة بن اليمان وأنس بن مالك وكل الصحابة الذين قرأوا بالجر وهم أغلب القرّاء الذين أوجبوا المسح وكل الشيعة الذين اقتدوا بالأئمة من العترة الطاهرة قالوا بوجوب المسح.

فما هو الحل؟!

ألم ترَ أيها القارىء العزيز بأنّ المسلم سيبقى محتاراً في شكه وبدون الرجوع إلى من يعتمد عليه فسوف لا يعرف وجه الصواب ولا يدري ما هو حكم الله الصحيح من المكذوب عليه؟

وقد تعمدت أن أضرب لك هذا المثال من القرآن الكريم أيها القارىء العزيز حتى تعرف مدى الاختلاف والتناقض الذي يتخبط فيه علماء المسلمين من

---

(1) هو الإمام الفخر الرازي في تفسيره الكبير ج11، ص161.

«أهل السنة والجماعة» في أمر كان يفعله النبي عدة مرات في كل يوم وطيلة ثلاثة وعشرين عاماً.

وكان من المفروض أن يعرفه الخاص والعام من أصحاب النبي (ص) وإذا بالعلماء عند «أهل السنة» يختلفون في القراءات فينصبون، ويجرون ويرتبون على ذلك أحكاماً متضاربة!

وللعلماء في تفسير كتاب الله وترتيب الأحكام على حسب القراءات المتعددة اختلافات كثيرة لا تخفى على الباحثين.

وإذا كان اختلافهم في كتاب الله ظاهراً فهو في السنة النبوية أظهر وأكثر.

فما هو الحلّ إذن؟

إذا قلت بوجوب الرجوع إلى من يعتمد عليه في شرح وبيان الأحكام الصحيحة من القرآن والسنة، فسوف نطالبك بالشخص العاقل المتكلم، لأن القرآن والسنة لا يعصمان من الضلالة، فهما صامتان لا يتكلمان ويحملان عدة وجوه كما قدمنا في آية الوضوء، ولقد اتفقنا عزيزي القارىء على وجوب تقليد العلماء العارفين بحقائق القرآن والسنة، وبقي الخلاف بيننا فقط في معرفة هؤلاء العلماء العارفين بحقائق القرآن والسنة.

فإذا قلت بأنهم علماء الأمة وعلى رأسهم الصحابة الكرام، فقد عرفنا اختلافهم في آية الوضوء وفي غيرها من المسائل، كما عرفنا بأنهم تقاتلوا وكفر بعضهم بعضاً، فلا يمكن الاعتماد عليهم جميعاً، وإنما يعتمد على المحقين منهم دون المبطلين ويبقى المشكل قائماً.

وإذا قلت بالرجوع إلى أئمة المذاهب الأربعة، فقد عرفت بأنهم اختلفوا أيضاً في أكثر المسائل حتى قال بعضهم بكراهة البسملة في الصلاة وقال بعضهم ببطلان الصلاة بدونها، وقد عرفت أحوال هذه المذاهب وأنها من صنائع الحكام الظالمين، وعرفت أيضاً بأنهم بعيدون عن عهد الرسالة ولم يعرفوا الصحابة فضلاً عن النبي نفسه.

فلم يبقَ أمامنا إلا حلّ واحد لا ثاني له، ألا وهو الرجوع إلى أئمة العترة من

أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، العالمين، العاملين الذين لم يلحقهم أحـد في علمهم وورعهم وحفظهم وتقواهم فهم المعصـومون عن الكذب و الخطأ بنص القرآن الكريم[1] وعلى لسان النبي العظيم[2].

فقد أورثهم الله علم الكتاب بعـد أن اصطفاهم، وعلمهم رسول الله (ص) كلّ ما يحتاجـه الناس، ودلّ الأمة عليهم بقولـه: «مثل أهل بيتي فيكم كسفينة نوح من ركبهـا نجا ومن تخلف عنهـا غرق» وقـد قال ابن حجـر وهو من علماء «أهل السنة والجماعة» في شرح هذا الحديث بعد أن صحّحه:

«ووجـه تشبيههم بالسفينـة أنّ من أحبهم وعظمهم شكراً لنعمـة مشرفهم، **وأخذ بهدي علمائهم نجا** من ظلمة المخـالفات **ومن تخلف عن ذلك غـرق في** بحر كفر النعم وهلك في مفاوز الطغيان»[3].

أضف إلى ذلك أنك لا تجد عالماً في الأمـة الإسلاميـة قديماً وحديثـاً من عهد الصحابة إلى اليوم، من ادعى لنفسه أنـه أعلم أو أفضل من أئمة العترة النبوية الطاهرة، كما أنك لا تجد في الأمـة قاطبة أحداً ادعى بأنـه علّم واحداً من أئمة أهل البيت أو أرشدهم لأمر ما.

و إذا أردت أيها القـارىء مـزيـداً من البيـان والتفصيل فعليك بقـراءة «المراجعات» و «الغدير».

وما قدمته أنا إليك فيه الكفاية إن كنت من المنصفين فحديث «تركت فيكم كتـاب الله وعترتي» هـو الحق الـذي يسلم به العقـل والوجـدان وتثبتـه السنـة والقرآن.

---

(1) قوله تعالى: ﴿**إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً**﴾.

(2) قول النبي (ص): كتاب الله وعترتي إن تمسّكتم بهما لن تضلّـوا بعدي أبداً، فكما أنّ كتاب الله معصوم عن الخطأ فكـذلك العترة الطاهرة، فغير المعصوم لا يضمن الهدايـة والذي يجوز عليه الخطأ هو في حاجة إلى الهداية.

(1) الصواعق المحرقة لابن حجر الشافعي ص151.

وبكل هذا يتبين لنـا مرة أخـرى بالأدلة الـواضحة التي لا تـدفع بأنّ الشيعة الإمامية هم أهل السنة النبوية الحقيقية، وأن «أهل السنة والجماعة» قد أطاعوا ساداتهم وكبراءهم فأضلـوهـم السبيل وتركوهـم في ظلمات يعمهون، وأغـرقوهـم في بحـر كفـر النعم وأهلكـوهـم في مفـاوز الطغيـان على حـد تعبير ابن حجـر الشافعي.

«والحمد لله رب العالمين على هدايته لعباده المخلصين».

مصادر التشريع عند الشيعة

المتتبّع لفقه الشيعـة الإمامية يجدهـم ينقطعون في كل الأحكام الفقهيـة ـ إلا المستحدثة ـ [1] إلى النبي (ص) عن طـريق الأئمـة الاثني عشر من أهل البيت (عليهم السلام).

وهؤلاء عندهم مصادر التشريع اثنان لا ثالث لهما:

الكتاب والسنة، أعني المصدر الأول هو القرآن الكريم، والمصدر الثاني هي السنة النبوية الشريفة على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى السلام.

وهذه هي أقوال الشيعة قديماً وحـديثاً، بل هي أقوال الأئمة من أهل البيت الذين لم يدّع واحد منهم أنه اجتهد برأيه أو حكم حكماً من عنده.

فهذا الإمام الأول علي بن أبي طـالب عندما اختاروه للخلافـة واشترطوا عليه أن يحكم فيهم بسنـة الشيخين أبي بكـر وعمر، قـال: لا أحكم إلا بكتـاب الله وسنة رسوله[2].

(1) ونقصد بها اجتهاد العلماء في ما لا نصّ فيه والذي حدث بعد غيبة الإمام الثاني عشر.

(2) وفي بعض الروايـات قال: «ومـا عداهما فأجتهد رأيي»، وهي زيـادة مكذوبـة من أصحاب الاجتهاد وأنصاره، لأنّ الإمام علياً لم يدّع يوماً بأنّه اجتهد برأيه، بل كان دائماً يستنبط الأحكام من كتاب الله وسنّة رسوله أو كان يقول: عندنـا الجامعة وفيها كل ما يحتاجه النّاس حتى أرش الخدش، وهذه الصحيفة هي مـن إملاء رسول الله وخطّ علي، وقد مرّ الكـلام عن الصحيفة الجامعة في فصل «أهل السنّة ومحق السنّة» من هذا الكتاب.

وسنوضح في أبحاث لاحقة بأنه (عليه السلام) كان دائماً يتقيد بسنة النبي ولا يحيد عنها أبداً، ويحاول بكلّ جهوده إرجاع الناس إليها حتى سبب له ذلك غضب الخلفاء، ونفور الناس منه لشدته في ذات الله وتشبثه بسنة النبي (ص).

كما أنّ الإمام الباقر (عليه السلام) كان يقول دائماً:

لو حدثناكم برأينا ضللنا كما ضل من كان قبلنا، ولكنا نحدثكم ببينة من ربنا بينها لنبيه فبيّنها نبيه لنا.

وقال مرة أخرى: يا جابر، إنّا لوكنا نحدّثكم برأينا وهوانا لكنا من الهالكين، ولكنا نحدثكم بأحاديث نكنزها عن رسول الله (ص) كما يكنز هؤلاء ذهبهم وفضتهم.

وهذا الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) يقول:

والله ما نقول بأهوائنا ولا نقول برأينا، ولا نقول إلاّ ما قال ربنا، فمهما أجبتك فيه بشيء فهو عن رسول الله لسنا نقول برأينا من شيء.

وأهل العلم والمحققون يعرفون ذلك من أئمة أهل البيت فلم يسجلوا عن أحدهم القول بالرأي ولا بالقياس ولا بالاستحسان أو بشيء غير القرآن والسنة.

وحتى إذا رجعنا للمرجع الكبير المعاصر الشهيد آية الله محمد باقر الصدر (رضوان الله عليه) نجده يقول في رسالته العملية لفقه العبادات والمعاملات ـ في الفتاوى الواضحة ـ يقول حرفياً: «ونرى من الضروري أن نشير أخيراً بصورة موجزة إلى المصادر التي اعتمدناها بصورة رئيسية في استنباط هذه الفتاوى الواضحة وهي كما ذكرنا في مستهل الحديث عبارة عن الكتاب الكريم والسنّة

---

(1) أنظر إلى علماء الشيعة كيف يأخذون عن الثقات المتورّعين مهما كان مذهبهم، وهو ردّ على القائلين بأنّ الشيعة لا يثقون في الصّحابة، وإنّما يرفض الشيعة حديث الصحابي إذا تعارض مع ما يرويه أئمة أهل البيت (عليهم السلام).

الشريفة المنقولة عن طريق الثقات المتورعين في النقل مهما كان مذهبهم[1]. أما القياس والاستحسان ونحوهما فلا نرى مسوغاً شرعياً للاعتماد عليها.

وأمّا ما يسمى بالدليل العقلي الذي اختلف المجتهدون والمحدثون في أنه هل يسوغ العمل به أولاً، فنحن وإن كنا نؤمن بأنه يسوغ العمل به، ولكنا لم نجد حكماً واحداً يتوقف إثباته على الدليل العقلي بهذا المعنى، بل كل ما يثبت بالدليل العقلي فهو ثابت في نفس الوقت بكتاب أو سنّة.

وأمّا ما يسمى بالإجماع فهو ليس مصدراً إلى جانب الكتاب والسنة، وإنما لا يعتمد عليه إلا من أجل كونه وسيلة إثبات في بعض الحالات.

وهكذا كان المصدران الوحيدان هما **الكتاب والسنة** ونبتهل إلى الله أن يجعلنا من المتمسكين بهما. «ومن استمسك بهما فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم»[1].

نعم، ونجد هذه الظاهرة هي السائدة عند الشيعة قديماً وحديثاً ولا يعتمد عندهم إلا على الكتاب والسنّة ولا نجد لأحدهم فتوى واحدة ناتجة عن القياس أو الاستحسان، وقصة الإمام الصادق مع أبي حنيفة معروفة، وكيف أنه نهاه عن القياس وقال له فيما قال: لا تقس في دين الله فإن الشريعة إذا قيست محقت، وإن أول من قاس إبليس عندما قال: أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين».

هذه هي مصادر التشريع عند الشيعة من عهد علي بن أبي طالب وإلى يومنا هذا. فما هي مصادر التشريع عند «أهل السنّة والجماعة»؟

---

(1) الفتاوى الواضحة للشهيد باقر الصدر ص98.

مصادر التّشريع عند «أهل السنّة والجماعة»

وإذا تتبّعنا مصادر التّشريع عند «أهل السنّة والجماعة» وجدناها كثيرة تتعدّى حدود الكتاب والسنّة التي رسمها الله ورسوله .

فالمصادر عندهم ـ بالإضافة إلى الكتاب والسنّة ـ هي سنّة الخلفاء الرّاشدين ، وسنّة الصّحابة ، وسنّة التّابعين وهم علماء الأثر وسنّة الحكّام ويسمّونها صوافي الأمراء ، ثمّ القياس ، والاستحسان ، والإجماع ، وسدّ باب الذرائع .

وهي كما ترى عشرة مصادر عندهم كلّها تتحكّم في دين الله . وحتّى لا نتكلّم بدون دليل ونُلقي الكلام على عواهنه ، أو يتّهمنا البعض بالمُبالغة ، لابدّ من إعطاء بعض الأدلّة من أقوالهم وكُتبهم كي يتبيّن للقارىء الكريم ذلك واضحاً .

ونحن لا نُناقش «أهل السنّة والجماعة» في المصدرين الأولين المتمثّلين في الكتاب والسنّة ، فهو أمرٌ لا خلاف فيه ، بل هو الواجب الذي جاء به النّقلُ والعقلُ والإجماع ، وهو من باب قوله تعالى : ﴿**ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا**﴾ (الحشر: 7) وقوله :﴿ **وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول**﴾ (المائدة 92) وقوله : ﴿**إذا قضى الله ورسوله**﴾ (الأحزاب : 36) وغيرها من الآيات البيّنات الدالّة على وجوب تشريع الأحكام من كتاب الله وسنّة رسوله فقط ، ولكن نقاشنا معهم في المصادر الأخرى التي أضافوها من عندهم .

أوّلاً ـ سنّة الخلفاء الرّاشدين

فقـد احتجّـوا بحديـث «عليكم بسنّتي وسنّـة الخلفاء المهـديّين الـرّاشـدين تمسّكوا بها وعضّوا عليها بالنواجذ»[1].

وقد بيّنا في كتاب «مع الصّادقين» بأنّ المقصـود من الخلفاء الرّاشدين في هذا الحديث هم أئمة أهل البيت، وأضيف هنا بعض الأدلـة الأخرى لمن فَاته ذلك البحث.

أخرج البخاري ومسلم وكل المحـدّثين بأنّ رسول الله حصر خلفاءه في اثني عشر، فقال: الخلفاء من بعدي اثنـا عشر كلّهم من قريش. فدلّ هذا الحديث الصحيح على أنّ المقصود هم أئمّة أهل البيت (عليهم السـلام) وليسوا الخلفاء «الحكّام» الذين اغتصبوا الخلافة.

ولقائلٍ أن يقول: سواء أكان المقصـود بالخلفاء أئمّة أهل البيت الاثني عشر كما يقـولُ الشّيعة، أم الخلفـاء الـراشـدين الأربعة كما يقـول «أهل السنّـة» فإنّ مصادر التّشريع ثلاثة: القرآن والسنّة وسنّة الخلفاء؟

وهـذا صحيح على رأي «أهل السنّـة» ولكنّـه لا يصحّ على رأي الشّيعـة لأنّ أئمة أهل البيت كما قدّمنا لم يكونوا يشرّعـوا باجتهادهم وآرائهم بل كلّ ما قالوه هو سنّـة جدّهم رسول الله تعلّمـوها منـه واحتفظوا بها كي يظهروهـا للنّاس إذا اقتضت الحاجة ذلك.

أمّا «أهل السنّة والجماعة» فقد حفلت كتبهم بالاستدلال بسنّة أبي بكر وسنّة عمر كمصدر للتشريع الإسلامي ولو خالفت الكتاب والسنّة.

ومما يـزيدنا يقيناً بأنّ أبـا بكر وعمر غير مقصودين بحـديث النّبي، أنّ عليّاً رفض أن يحكم بسنّتهم عندما اشترط عليه الصحابة ذلك.

فلو كان الرّسول يقصد بالخلفاء الـرّاشدين أبا بكر وعمر لما جاز لعلي أن يردّ على رسول الله و يـرفض سنّتهم، فدلّ الحديث على أنّ الخلفاء الـرّاشدين ليس منهم أبو بكر ولا عمر.

---

(1) أخرجه الترمذي وابن ماجه والبيهقي وأحمد بن حنبل.

على أنّ «أهل السنّة والجماعـة» يقصدون بـالخلفاء الرّاشـدين أبا بكـرٍ وعمر وعثمان دون سواهم. لأنّ علياً لم يكن معدوداً عندهم من الخلفاء وإنّما أُلحقَ في زمن متأخّرٍ كما قدّمنا، ولأنّه كان يُلعنُ على المنابر فكيف يتّبعون سنّته؟؟!

وإذا قرأنا ما رواه جلال الدّين السيوطي في تاريخ الخلفاء تحقّق لدينا صحّة ما ذهبنا إليه.

قال السيـوطي نقلاً عن حاجب بن خليفـة: شهدتُ عمر بن عبد العـزيز يخطب وهو خليفة، فقال في خطبته:

«ألا إنّ ما سنّ رسـول الله (ص) وصاحباهُ فهـو دينٌ نأخذ بـه وننتهي إليه، وما سنّ سواهما فإنّا نرجئه»[1].

والحقيقة أنّ جلّ الصحـابة والحكّـام الأمويّين والعبّاسيين كـانوا يـرون أنّ ما سنّ أبو بكر وعمر وعثمان هو دينٌ يأخذون به وينتهون إليه.

وإذا عمل هؤلاء الخلفاء الثّلاثة على منع سنّـة الرّسول (ص) كما عرفنا ذلك في مـا سبق، فلا يبقـى بعد ذلك من السنّـة إلاّ مـا سنّـوه ومن الأحكام إلاّ مـا أحكموه.

ثانياً ـ سنّة الصحابة عموماً

إنّنا نجد أدلّـة كثيرة وشواهد عديدة على اقتداء «أهل السنّـة والجماعة» بسنّة الصحابة عموماً بدون استثناء.

فهم يحتجّون بحديث مكذوب وافينـا البحث فيه في كتاب «مع الصادقين» والحديث يقول: «أصحـابي كالنّجـوم بأيّهم اقتديتم اهتديتـم»، وقد احتجّ ابن القيم الجوزية بهذا الحديث على حجيّة رأي الصحابي[2].

وقـد اعترف بهذه الحقيقة أيضـاً الشيخ أبـو زهرة إذ قـال: «لقـد وجدنـاهم

(1) تاريخ الخلفاء للسيوطي ص 160.

(1) أعلام الموقعين ج 4 ص 122.

(يعني فقهاء أهل السنّة) جميعاً يأخـذون بفتوى الصحابي» ثمّ يُضيف في مقطع آخر قوله :

«والاحتجاج بأقوال الصحابة وفتاويهم هو مسلك جماهير الفقهاء وخالفهم الشيعة[1] ولكنّ ابن القيم الجوزية أيّد الجمهور بنحـو ستّة وأربعين وجهاً وكلّها حُجج قويّة . . . » .

ونحن نقـول للشيخ أبي زهرة : كيف تكـون الحجّة ـ التي تخالـف كتاب الله وسنّة رسوله ـ قويّة؟ !

فكلّ الحجج التي جـاء بها ابن القيم واهية كبيت العنكبـوت وأنتَ بنفسك قد نسفتها عندما قلتَ :

«ولكنّنا وجدنا الشّوكاني يقول : والحقّ أنّ قول الصحابي ليس بحجّة فإنّ الله سبحانه وتعالى لم يبعث إلى هذه الأمـة إلاّ نبيّنا محمّداً (ص) وليس لنا إلاّ رسول واحد ، والصحـابة ومن بعـدَهـم مكلّفون على السّواء بـاتّباع شرعـه في الكتاب والسنّة ، فمن قال بأنّه تقوم الحجّة في دين الله بغيرهما ، فقد قال في دين الله بما لا يُثبتُ وأثبتَ شرعاً لم يأمر الله به»[2] .

فتحيّةً إلى الشّـوكاني الذي قال حقّـاً ونطق صدقاً ، ولم يتأثّر بـالمذهب فكان قولـه موافقـاً لأئمّة الهدى من العترة الطّـاهرة ورضي الله عنـه وأرضاه إن كـانت أعماله مطابقة لأقواله .

ثالثاً ـ سنّة التّابعين «علماء الأثر»

كذلك نجد «أهل السنّة والجماعـة» يأخذون بآراء التّابعين ويسمّونهم «علماء الأثر» كالأوزاعي وسفيـان الثّوري وحسن البَصري وابن عيينة وغيرهم كثير، كما أنّهم متّفقون على الأخـذ باجتهادات أئمّة المذاهب الأربعـة وتقليدهم رغم أنّهم من تابعي التّابعين .

(1) وهـذه شهادة أخـرى من الشيخ أبي زهرة تـؤيّد مـا قلناه بأنّ الشيعـة لا يقبلون في شرع الله إلاّ الكتـاب الكريم والسنّة النّبوية .

(2) كتاب الشيخ أبي زهرة ص 102 .

وإذا كـان الصحـابة أنفسهم يعترفـون بخطأهـم في عـديـدٍ من المرّات وأنّهم يقولون ما لا يعلمون.

فهذا أبو بكر يقول عندمـا يُسألُ عن مسألة: سأقول فيها برأيي فإن أصبتُ فمن الله، وإن أخطأتُ فمنّي أو من الشّيطـان. وهذا عمـر يقول لأصحـابه: لعلّي آمركم بالأشياء التي لا تصلح لكم وأنهاكم عن أشياء تصلح لكم[1].

وإذا كان هـذا هو مبلغهم من العلم وأنّهم يتّبعـون الظنّ الذي لا يغني من الحقّ شيئاً، فكيف يحقّ لمسلم عرف الإسلام أن يجعل أفعال هؤلاء وأقوالهم سنّة متّبعة ومصـدراً من مصادر التّشريع؟ وهـل يبقى بعد هذا الحديـث «أصحابي كالنجوم» من أثر؟

وإذا كان هؤلاء هم الصحابة الذين حضروا مجالس النّبي وتعلّموا منه يقولون مثل هذه الأقوال، فكيـف تكون حال من جاء بعدهـم وأخذ عنهم وشارك في الفتنة؟

وإذا كان أئمّة المذاهب الأربعة يقولون في دين الله بآرائهم مصرّحين ومعترفين بإمكانية الخطأ، فيقول الواحد منهم: هذا ما أعتقد أنّه صحيح وقد يكون رأي غيري هو الصحيح، فلماذا ألزم المسلمون أنفسهم بتقليدهم؟!

رابعاً ـ سنّة الحكّام

ويسمّى عنـد «أهل السنّة والجماعـة»: صَوافي الأمـراء، وقد استـدلّوا عليـه بقوله تعالى: ﴿أطيعوا الله وأطيعوا الرّسول وأولي الأمر منكم﴾(النساء: 59)[2].

فأولي الأمر عندهم الحكّام وإن كانوا متسلّطين بالقوّة والقهر، وهم يعتقدون بأنّ الحكّام أمّرهم الله على رقاب العباد فيجبُ لذلك طاعتهم والأخذ بسُنّتهم.

---

(1) تاريخ بغداد ج 14 ص 81.
ونحن نقـول لهؤلاء: إن كـان هـذا هـو مبلغكـم من العلم، فلماذا تقـدّمتم على من عنـده علم الأولين والآخرين وحرمتم الأمة من هديه ونوره وتركتموها تتخبّط في الفتنة والجهالة والضّلالة؟!

(2) لقد أوضحنا بـالأدلة في كتاب «مع الصّادقين» بأنّ أولي الأمر هم أئمـة الهدى من العترة الطّاهرة وليس المقصـود بهم الحكّـام الغـاصبين، ومن المستحيل أن يأمـر الله سبحـانـه بطاعـة الظّـالمين والفـاسقين والكافرين.

وردّ ابن حزم الظّاهري على «أهل السنّة والجماعة» ردّاً عنيفاً بقوله: «بناءً على ما تقولون فللأمراء أن يُبطلـوا ما شاؤوا من الشرائع التي أمر الله ورسوله بها، كما لهم أن يزيدوا فيها، ولا فرق بين الزّيادة والنّقص في ذلك، وهذا كُفرٌ ممّن أجازهُ بلا خلاف»(1).

وردّ الذهبي على ابن حزم بقوله:

«هـذا تقريـر فاسـد وخطأ فاحش، فإنّ الأمـة أجمعتْ إلاّ داود بن علي ومن مشى خلفه، على أنّ أولي الأمر لهم الحكم بالرأي والاجتهاد إذا لم يكن في النازلة نصٌّ، ويقـولون: لا يحلّ لهم الحكم بـالـرأي والاجتهاد مع علمهم بـالنّص في النّازلة، فظهر بهذا أنّ لهم أن يزيدوا في الشرع زيادة ساغتْ في الشرع وليس لهم أن يُبطلوا ما شاؤوا من الشرع».

ونحن نقول للـذّهبي: كيف تدّعي إجماع الأمـة وأنتَ نفسك استثنيتَ داود بن علي ومن مشى خلفـه!؟ ولماذا لم تُسمّ من مشى خلفـه؟ ثمّ لماذا لم تستثنِ الشّيعـة وأئمّة أهل البيـت، ألأنهم عندك ليسُـوا من الأمـة الإسلاميّـة؟! أم أنّ تزلّفك للحكّام هو الذي جعلك تُبيـحُ لهم أن يزيدوا في الشرع، لكي يزيدوا في عطائك وشهرتك؟

وهل كان الحكّـام الذين حكمُوا المسلمين بـاسم الإسلام يعرفـونَ النّصوص القرآنية والنّصوص النّبوية حتّى يقفوا عند حدودها؟

وإذا كان الخليفتان أبو بكـر وعمر تعمّدا مخالفة النّصوص القرآنيـة والنّبوية كما قدّمنا في أبحاث سابقة، فكيفَ يلتزمُ من جاء بعدهما بتلك النّصوص التي بُدّلت وغُيّرتْ وأُعفيتْ آثارها؟

وإذا كان فقهاء «أهل السنّة والجماعة» يفتونَ للأمراء بأن يقولوا في دين الله ما يشاؤون، فليس غريباً على الذّهبي أنْ يُقلّدهم.

فقـد جاء في طبقـات الفقهاء عن سعيـد بن جُبير قال: سألتُ عبـدالله بن عمر عن الإيلاء؟ فقال: أتريد أن تقول: قال ابن عمر قال ابن عمر؟!

---

(1) إبن حزم في ملخص إبطال القياس ص 37.

قـال : قلتُ : نعم ، ونرضى بقـولك ونقنَعُ . فقـال ابن عمر: يقـول في ذلك الأمراء ، بل يقول في ذلك الله ورسولُه ومن يقول عنهُما .

وعن سعيد بـن جُبير قال : كان رجـاء بن حيوة يُعـدُّ في أفقه فقهـاء الشّام ، ولكن كنتُ إذا حرّكته وجدته شامياً يقول : قضى عبد الملك بن مروان فيها بكذا وكذا[1] .

كما جاء في طبقات ابن سعد عن المسيّـب بن رافع قال : كان إذا جاء الشيء من القضاء وليس في الكتـاب ولا في السنّة سُمّيَ «صوافي الأمـراء» فدفع إليهم فجمع له أهل العلم ، فما اجتمع عليه رأيهم فهو الحق[2] .

ونحن نقـول : «ولـو اتّبع الحقُّ أهـواءهم لفسـدت السّماوات والأرض . بل جاءهم بالحق وأكثرهم للحق كارهون» .

خامساً ـ بقية مصادر التشريع عند «أهل السنّة»

ونـذكـر منها القيـاس والاستحسـانُ والاستصحـابُ وسدّ بـاب الـذّرائع ، والإجماع فمشهورة جدّاً ومعروفة عندهم .

وقد اشتهر الإمام أبو حنيفة بالعمل بالقياس وردّ الأحاديث كما اشتهر الإمام مالك بـالرّجوع لعمل أهـل المدينة وسدّ بـاب الذّرائع واشتهر الإمـام الشّافعي بالرجوع إلى فتاوى الصحابة وقد رتّبهم على أقسام ودرجات فقال بأولويّة العشرة المبشّرين بالجنّة ، ثمّ المهاجرين الأوّلين ، ثمّ الأنصار، ثمّ مسلمة الفتح ويقصد بهم الطّلقاء والذين أسلموا بعد فتح مكّة[3] .

كما اشتهر الإمام أحمد بن حنبل بعدم الاجتهـاد والابتعاد عن الفتوى وأخذه برأي أيّ صحابيّ كان .

فقـد نقل عنـه الخطيب البغـدادي أنّ رجُــلاً سألـه عن مسألـةٍ في الحلال

(1) طبقات الفقهاء ترجمة سعيد بن جبير.

(2) طبقات ابن سعد ج 6 ص 179 .

(3) مناقب الإمام الشّافعي ج 1 ص 443 .

والحرام، فقال له أحمد: سَل عافاك الله غيرنا، قال: إنّما نريد جوابك يا أبا عبد الله، قال: سَل عافاك الله غيرنا، سَل الفقهاء سَل أبا ثور[1].

كما نقل عنه المروزي قوله: أمّا الحديث فقد استرحنا منه وأمّا المسائل فقد عزمتُ إن سألني أحدٌ عن شيء فلا أجيبُه[2].

ولا شكّ بأنّ أحمد بن حنبل هو الذي أوحى بفكرة عدالة الصحابة كلّهم بدون استثناء فأثّر مذهبه في «أهل السنّة والجماعة».

فقد ذكر الخطيب في تاريخ بغداد في جزئه الثاني بالإسناد عن محمّد بن عبدالرحمان الصيرفي قال: قلت لأحمد بن حنبل: إذا اختلف أصحاب رسول الله (ص) في مسألة، هل يجوز لنا أن ننظر في أقوالهم، لنعلم مع مَنْ الصواب منهم، فنتبعه؟

فقال لي: لا يجوز النّظر بين أصحاب رسول الله (ص)، فقلتُ: كيف الوجهُ في ذلك؟

قال: تُقلّد أيهم أحبَبْتَ.

ونحن نقول: وهل يجوز تقليد مَنْ لا يعرف الحقَّ من الباطل؟ وغريبٌ أن يفتيَ أحمد وهو الذي يتهرّب من الفتوى، بتقليد أيّ صحابي أحبّ وبدون النّظر في أقوالهم لمعرفة الصواب!

وبعد هذا العرض الوجيز لمصادر التّشريع الإسلامي عند الشّيعة وعند «أهل السنّة والجماعة»، يتبيّن لنا بوضوح لا لُبس فيه بأنّ الشّيعة هم الذين يتقيّدون بسنّة النّبي (ص) ولا يبغون عنها حولاً حتّى كانت سنّة النّبي هي شعارهم كما شهد بذلك أعداؤهم.

أمّا «أهل السنّة والجماعة» فهم يتّبعون سنّة أيّ صحابي وأي تابعي وأي حاكم.

---

(1) تاريخ بغداد ج 2 ص 66.

(2) مناقب الإمام أحمد بن حنبل ص 57.

وهذه كتبُهم وأقوالُهم تشهد عليهم وكفى بها شهيداً وسوف نبحث في فصل قادمٍ إن شاء الله تعالى أفعالهم لنعرف بأنّها ليستْ من سنّة النّبي في شيء.

وأترك للقارىء نفسه أن يستنتجَ مَن هم أهل السُنّة، ومَن هم أهل البدعة؟

تعليق لا بدّ منه لإكمال البحث

وتجدر الإشارة إلى أنّ الشّيعة تقيّدوا بمصادر التشريع من الكتاب والسنّة ولم يزيدوا عليها شيئاً وذلك لوجـود النّصوص الكافية عند أئمّتهم لكلّ مسألة من المسائل التي يحتاجها النّاس.

وقـد يستغرب ذلك بعض النّـاس ويستبعـدون أنْ يكون لأئمّـة أهل البيت نصوصٌ كافية لكلّ ما يحتاجه النّاس لمواكبة كلّ العصور حتّى تقوم السّاعة.

ولتقريب هذا الواقع لذهن القارىء لا بدّ من الإشارة إلى الأمور التالية:

إذا اعتقد المسلمُ بأنّ الله سبحـانه بعث محمّداً بشريعـة مُكمّلة لكل الشرائع السّابقة ومهيمنة عليها لتكملَ مسيرة الإنسانية فوق هذه الأرض لتعود بعدها إلى الحياةالأبديّة.

﴿هـو الذي أرسـل رسولـه بـالهدى ودين الحق ليظهره على الـدّين كلّـه﴾ (التوبة: 33).

وإذا اعتقـد المسلمُ بأنّ الله سبحـانـه أراد من الإنسـان أن يكـون خـاضعـاً لأحكامه في كلّ أقواله وأفعاله ويسلّم إليه مقاليد أموره.

﴿إنّ الدين عند الله الإسلام﴾ (آل عمران: 19)، **﴿ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه﴾** (آل عمران: 85).

وإذا كان الأمرُ كذلك فلا بدّ أن تكون أحكـام الله كاملة وشاملة لتغطية كل

ما يحتاجه الإنسان في مسيرته الشّاقّة للتغلّب على كلّ العقبات والصمود أمام التحدّيات والوصول إلى الهدف المنشود.

ولكل ذلك عبر سبحانه وتعالى عن هذه الحقيقة بقوله:

﴿ما فرّطنا في الكتاب من شيء﴾ (الأنعام: 38).

وعلى هذا الأساس فليس هناك من شيء إلاّ وهو مذكور في كتاب الله تعالى، ولكنّ الإنسان بعقله المحدود لا يدرك كل الأشياء التي ذكرها الله سبحانه وتعالى لحكمةٍ بالغة لا تخفى على أهل المعرفة. وذلك كقوله سبحانه وتعالى:

﴿وإن من شيء إلاّ يسبّحُ بحمده ولكن لا تفقهُون تسبيحَهم﴾ (الإسراء: 44).

و«إن من شيء» بدون استثناء تدلّ على الإنسان والحيوان والجماد يسبّحُ وقد يقبلُ الإنسان تسبيح الحيوان والكائنات الحيّة من النّبتات ولكن عقله لا يفقهُ تسبيح الحجارة مثلاً. قال تعالى:

﴿إنّا سخّرنا الجبال معه يسبّحن بالعشيّ والإشراق﴾ (ص: 18).

وإذا سلّمنا بذلك وآمنّا به، فلا بدّ من التّسليم والإيمان بأنّ كتاب الله فيه كلّ الأحكام التي يحتاجها النّاس إلى يوم القيامة، ولكنّنا لا ندركها إلاّ إذا رجعنا لِمَنْ أُنزل عليه وفهم كلّ معانيه، وهو رسول الله (ص) قال تعالى:

﴿ونزّلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء﴾ (النحل: 89).

وإذا سلّمنا بأنّ الله سبحانه بيّنَ كلّ شيء إلى رسوله ليُبيّنَ للنّاس ما نُزّل إليهم، فلا بدّ أن نُسلّم بأنّ رسول الله (ص) قد بيّنَ كلَّ شيء ولم يترك شيئاً يحتاجه النّاس إلى يوم القيامة إلاّ وأعطى فيه حُكماً.

وإذا لم يصلنا ذلك البيانُ أو لم نعرفه نحنُ اليوم فذلك ناتجٌ عن قصورنا وتقصيرنا وجهلنا، أو هو ناتجٌ عن خيانة الواسطة التي بيننا وبينه أو هو ناتجٌ عن جهل الصحابة وعدم وعيهم لما بيّنه (ص).

ولكنّ الله سبحانه وتعالى جلّتْ حكمتـه يعلم أنّ كل هذه الاحتمالات ممكنة أو واقعة فلا يترك شريعته تضيع، فاصطفى من عباده أئمّةً أورثهم علم الكتاب وتبيانه، لكي لا يكون للنّـاس على الله حجّة، قال تعالى: ﴿**ثمّ أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا**﴾ (فاطر: 32).

ورسول الله (ص) بيّن للنّـاس ما يحتاجـون إليه واختصّ وصيّه عليّـاً بكلّ ما يحتاجـه النّاس بعده إلى قيام السّـاعة وذلك للمزايـا التي كان يتمتّع بها علي من بين الأصحـاب جميعـاً من ذكاء مفـرط وفهم حـادٍّ وحفظٍ قـوي ووعي لكل مـا يسمع، فعلّمه النّبي كلّ ما يعلم وأرشد الأمة إليه على أنّه بابه الذي منه يُؤتَى.

و إذا قال قائلٌ بأنّ رسول الله بعثه الله للنّـاس كافّة فليس من حقّه أن يختصّ بالعلم أحـدهم ويحرم الآخرين، قُلنا: ليس لرسـول الله في ذلك الأمر شيء إنّما هو عبـدٌ مأمورٌ ينفّـذُ ما يوحى إليـه من ربّه، فالله هـو الذي أمـره بذلك، لأنّ الإسلام هو دين التـوحيد ومبنيٌّ على الوحدة في كلّ شيءٍ فلا بدّ لتـوحيد النّاسِ وجمعهم من قيـادة واحدة، فهـذا أمرٌ بـديهيٌّ قـرّرهُ كتاب الله وحكم بـه العقلُ والوجدانُ قال تعالى:

﴿**لو كان فيهما آلهةٌ إلاّ الله لفسَدَتا**﴾ (الأنبياء: 22) وقال أيضاً: ﴿**وما كان معـه مـن إلـه إذاً لـذَهَبَ كلّ إلـه بما خلقَ ولعـلا بعضهم عـلى بعض**﴾ (المؤمنون: 81).

كذلك لو أرسل الله رسولين في زمـن واحدٍ، لانقسم النّاسُ إلى أمّتين وتفرّق أمرهم إلى حزبين متعـارضين. قال تعالى: ﴿**وإنْ من أمّة إلاّ خلا فيهـا نذير**﴾ (فاطر: 24).

كـذلك كـان لكلّ نبيٍّ وصيٌّ يخلفـهُ في قومِـه وأمّتـه، كي لا يتشَتّتَ أمـرُهم ويتفرّق جمعهم.

وهذا لعمـري أمرٌ طبيعيّ يعـرفه النّـاسُ كافّة سـواء كانـوا علماء أو جاهلين مؤمنين أو كـافرين، ألا تـرى أنّ كلّ قبيلة وكلّ حـزب وكلّ دولة لا بـدّ لها من رئيس واحدٍ يتزعّمها ويقودها، ولا يمكن أن يخضعوا لرئيسين في نفس الوقت.

لكلّ هـذا اصطفى الله سبحانـه من الملائكـة رُسُلاً ومن النـاس، وشرّفهم بمهمّة القيادة لعباده وجعلهم أئمّة يهدون بأمره. قال تعالى: **﴿إنّ الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبـراهيم وآل عمران على العالمين﴾** (آل عمران: 33). والأئمّة الذين اصطفاهم الله سبحانه لختم الرسالة المحمّدية، هم أئمّة الهدى من عترة النّبي وكلّهم من آل إبـراهيم ذريـة بعضها مـن بعض وهؤلاء هم الـذين أشـار إليهم رسـول الله (ص) بقـولـه: «الخلفـاء مـن بعـدي اثنـا عشر كلّهم من قريش»[1].

ولكلّ زمان إمامٌ معلوم، فمن ماتَ ولم يعرف إمام زمانه ماتَ ميتة جاهلية.

والله سبحانه وتعالى إذا اصطفى إماماً طهّرهُ وعَصَمهُ وعلّمهُ فلا يؤتي الحكمة إلاّ لأهلها ومُستحقّيها.

وإذا رجعنا إلى أصل الموضوع وهو معرفة الإمـام كلّ ما يحتاج إليه النّاس من أحكـام الشّريعة من خـلال النّصوص التي جـاءت في الكتاب والسُنّـة والتي تُواكبُ مسيرة البشريّـة إلى قيام السّـاعة، فإنّنا لا نجـدُ في الأمة الإسـلامية من ادّعى ذلك غير أئمّـة أهل البيت (عليهم السّلام) الـذين صرّحوا عـديد المرّات بأنّ عندهم الجامعة وهي من إملاء رسول الله وخطّ علي بن أبي طالـب وفيها كلّ ما يحتاجه النّاس إلى يوم القيامة حتى أرش الخدش.

وقد أشرنـا إلى هذه الصحيفـة الجامعة التي كان يحملهـا عليٌّ معه وقـد أشار إليهـا البخـاري ومسلم في صحيحيهما ولا يمكـنُ لأي واحــد من المسلمين تكذيب ذلك.

وعلى هذا الأسـاس فإنّ الشيعة الذين انقطعوا لأئمّـة أهل البيت حكموا في الشريعة بنصوص القرآن والسُنّة ولم يضطرّوا لغيرها وذلك على الأقل طيلة ثلاثة قرون حياة الأئمّة الاثني عشر.

---

(1) أخرج الحديث البخاري في صحيحه ج 8 ص 127 وصحيح مسلم ج 6 ص 3. وفي بعض الروايات كلهم من بني هاشم بدلاً من قريش، وسواء أكـان من بني هاشم أم من قريش فكلّهم من آل إبراهيم كما هو معلوم.

أمّا «أهل السنّة والجماعة» فقد اضطرّوا للاجتهاد والقياس وغير ذلك لفقدان النّصوص وجهل أئمّتهم بها، من أيّام الخلافة الأولى.

وإذا كان الخلفاء عندهم قد عمدُوا لحرق النّصوص النّبوية والعمل على منعها وكتمانها.

وإذا كان كبيرهم يقول: حسبنا كتاب الله، ضارباً بالسنّة النّبويّة عرض الجدار، فمن الطبيعي جدّاً أن يفتقروا إلى النّصوص المبيّنة لأحكام القرآن نفسه.

فكلّنا يعلم بأنّ أحكام القرآن الظّاهرية قليلة جدّاً وهي في عمومها تفتقرُ إلى بيان النّبي، ولذلك قال تعالى: **﴿وأنزلنا إليك الذّكر لتبينّ للنّاس ما نزل إليهم﴾** (النحل: 44).

وإذا كان القرآن يفتقرُ للسنّة النّبوية لتبيّن أحكامه ومقاصده.

وإذا كان أقطاب «أهل السنّة والجماعة» قد أحرقوا السنّة المبيّنة للقرآن، فلم يبقَ عندهم بعدها نصوصٌ لا لبيان القرآن ولا لبيان السنّة نفسها.

فلا بدّ والحال هذه أن يعمدوا للاجتهاد والقياس واستشارة العلماء عندهم فيأخذوا بالاستحسان وبما يرون فيه مصلحتهم الوقتية.

ومن الطبيعي جدّاً أن يحتاجوا إلى كل ذلك لفقد النّصوص ويضطرّوا إليه اضطراراً.

التقليد والمرجعيّة عند الشّيعة

لا بـدّ لكلّ مكلّف من المسلمين، إذا لم يكن مجتهداً ـ بمعنى أنّه قـادرٌ على استنباط الأحكام الشرعيّة من الكتاب والسنّة ـ أن يُقلّدَ مرجعاً جامعاً للشرائط من العلم والعدل والـورع والزهد والتّقوى وذلك لقـوله تعالى: ﴿فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾ (النحل: 43).

وإذا بحثنا هذا الموضوع نجد الشيعة الإمامية قد واكبوا الأحداث فلم تنقطع عندهم سلسلة المرجعية أبداً من وفاة النّبي (ص) وإلى يوم النّاس هذا.

وقـد واصل الشّيعـة تقليـد الأئمّـة الاثني عشر من أهـل البيت (عليهم السلام)، وقـد استمرّ وجود هؤلاء الأئمّـة أكثر من ثلاثة قـرون على نسق واحدٍ فلم يُخالف واحدٌ منهـم قول الثّاني لأنّ النّصـوص الشّرعية من الكتـاب والسنّة كانت هي المتبعـة عندهم جميعاً ولم يعملوا بقيـاس ولا باجتهاد ولو فعلـوا لكان الاختلاف عندهم شائعاً، كما وقع لأتباع «أهل السنّة والجماعة».

ويُستنتجُ من هـذا أنّ مذهـب «أهل السنّة والجماعـة» سـواء كان حنفيـاً أم مالكيـاً أم شافعيـاً أم حنبلياً، فهـو مبنيٌّ على رأي رجل واحدٍ بعيـد عن عصر الرسالة ولا تربطه بالنّبي أيّة صلة.

أمّا مذهب الشّيعـة الإمامية فهو متواتر عن اثني عشر إمـاماً من ذرية النّبي (ص) ينقلُ الابنُ عن أبيه فيقول أحدهم: حديثي هو حديث أبي وحديث أبي هو حـديث جدّي وحديث جـدّي هو حـديث أمير المؤمنين علي وحديث علي

هــو حديث رســول الله (ص) وحــديث رســول الله هو حــديث جبريل (عليــه السلام) وهو كلام الله تعالى.

﴿ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً﴾ (النساء: 82).

ثمّ جاءت مـرحلة ما بعد غيبـة الإمام المعصوم الذي أرجع النّـاس إلى تقليد العالم الفقيه الجامع للشرائط.

وبـدأت سلسلة الفقهـاء المجتهدين منـذ ذلك العهد إلى اليـوم تتوالى بـدون انقطـاع، وفي كلّ عهـدٍ يبرز في الأمـة مـرجعٌ واحـدٌ أو عـدّة مـراجع للشّيعـة يقلّـدونهم في أعمالهم حسب الـرسـائل العمليّـة التي يستنبطهـا كلّ مـرجع من الكتاب والسنّة. ولا يجتهد إلاّ في الأمور المستحدثة التي عرفها هذا القرن بسبب التقـدّم العلمي والتكنولـوجي، كعمليـة زرع القلب أو أي عضو جسـدي من شخص لآخر، أو الحمل الاصطناعي، أو المعاملات البنكية وغير ذلك.

وقد يبرز من بين المجتهـدين أعلمهم فيُسمّى المرجع الأعلى للشيعة أو زعيم الطّائفة والحوزة العلمية، والذي يحظى بتقدير واحترام كلّ المراجع الآخرين.

ويقلّـد الشيّعة على مـرّ العصور الفقيـه الحي الـذي يعيش مشاكل النّـاس ويهتمّ بهمومهم فيسألونه ويجيبهم.

وبهذا بقي الشيعـة في كـلّ العصـور يحافظـون على المصـــدرين الأســاسيين للشريعة الإسـلامية من الكتـاب والسنّة والنّصـوص المنقولـة عبر الأئمّة الاثني عشر من العترة الطاهرة جعلت علماءهم يستغنون عن القيـاس والقول بالرأي، لأنّ الشيعة اعتنوا بتـدوين السنّة النّبوية من زمن علي بن أبي طـالب الذي كان يحتفظ بالصحيفة الجامعة التي جمعت كلّ ما يحتاجه النّاس إلى يوم القيامة وكان الأئمّة من ولـده يتوارثـونها كابراً عـن كابر ويكتنـزونها كما يكنز النّـاس الذّهب والفضّة.

وقد نقلنا قول الشّهيد آية الله الصّدر في رسالته العملية والتي ذكر فيها بأنّه لم يعتمد إلاّ على القرآن والسنّة.

وليس ذكرنا للشهيد الصّدر إلاّ مثالاً، وإلاّ فإنّ كلّ مراجع الشيعة بدون استثناء يقولون نفس القول.

وبهذا البحث الوجيز في مسألة التقليد الشرعي والمرجعية الدّينية يتبيّن لنا بأنّ الشّيعة الإماميّة هم أهل القرآن والسنّة النّبوية المنقولة مباشرة عن علي «باب مدينة العلم» العالم الربّاني والمرشد الثّاني للأمّة بعد نبيّها من كان في القرآن كنفس النّبي[1].

فمن جاء للمدينة ودخلها من بابها فقد وصل إلى المعين الصّافي وأخذ بالكيل الوافي والعلاج الشّافي، وقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها لقوله تعالى: ﴿**وائتوا البيوت من أبوابها**﴾ (البقرة: 189).

ومن أتى البيوت من غير أبوابها سمّيَ سارقاً فلم يتمكّن من الدّخول ولم يعرف سنّة النّبي (ص) وسيُعاقبه الله على عصيانه.

---

(1) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿**قل تعالوا ندع أنفسنا وأنفسكم**﴾، فدعا علي بن أبي طالب: أخرجه مسلم في صحيحه في باب فضائل علي (عليه السلام).

التقليد والمرجعية عند أهل السنّة والجماعة

وإذا بحثنا موضوع التقليد والمرجعية عند «أهل السنة والجماعة» فإننا نتحيّر لإيجاد علاقة تربط هؤلاء بالرسول (ص) فكلنا يعلم بأن «أهل السنة والجماعة» يرجعون في التقليد إلى أئمة المذاهب الأربعة أبو حنيفة ومالك والشافعي وابن حنبل، وكل هؤلاء لا يعرفون رسول الله (ص) ولا صاحبوه.

وفي وقت كان الشيعة يقلِّدون علي بن أبي طالب (عليه السلام) الذي لم يُفارق النبي طيلة حياته ومن بعده يقلِّدون سيدي شباب أهل الجنة الإمام الحسن والإمام الحسين سبطي النبي والإمام علي بن الحسين زين العابدين، وابنه الإمام الباقر وحفيده الإمام الصادق (عليهم السلام)، لم يكن «لأهل السنة والجماعة» وجود في ذلك العصر ولم يحدثنا التاريخ عنهم أين كانوا ومن هو إمامهم الذي يقلِّدونه ويرجعون إليه في الأحكام الشرعية من الحلال والحرام، من يوم وفاة النبي (ص) إلى ظهور المذاهب الأربعة؟

ويظهر بعد ذلك على مسرح الحياة أئمة المذاهب الأربعة واحداً بعد واحد وعلى فترات متفاوتة حسب رغبة الحكام العباسيين كما قدمنا في بحث سابق.

ثم يظهر بعد ذلك تكتل يجمع المذاهب الأربعة تحت شعار برّاق يأخذ بالألباب ويتسمى بـ **«أهل السنة والجماعة»** ويلتف حوله كل من عادى علياً والعترة الطاهرة وكان من أنصار الخلفاء الثلاثة وكل الحكام من بني أمية وبني العباس، فاعتنق الناس تلك المذاهب طوعاً وكرهاً، لأن الحكّام عملوا على تأييدها بوسائل الترغيب والترهيب والناس على دين ملوكهم.

ثم نجد «أهل السنة والجماعة» وبعد موت الأئمة الأربعة يغلقون باب الاجتهاد في وجه علمائهم فلا يسمحون لهم إلا بالتقليد لأولئك الأئمة الميتين.

ولعل الحكّام والأمراء هم الذين أغلقوا عليهم باب الاجتهاد ولم يسمحوا لهم بالنقد والنظر في شؤون الدين خوفاً من التحرر الفكري الذي قد يسبّب لهم قلاقل وفتناً قد تهدد مصالحهم وكيانهم.

وأصبح «أهل السنة والجماعة» مقيدين لتقليد رجل ميت لم يشاهدوه ولم يعرفوه حتى يطمئنوا لعدالته وورعه وعلمه، وإنما كل ما هنالك أنهم أحسنوا الظن بأسلافهم الذين يروي كل فريق منهم مناقب خيالية في الإمام الذي يتبعه فجاء أغلبها فضائل ناميَّة لا تتعدى أضغاث أحلام أو طيف منام، أو ظناً وأوهاماً، فكل حزب بما لديهم فرحون.

ولو نظر المثقفون من «أهل السنة والجماعة» اليوم إلى المثالب التي رواها أسلافهم أيضاً وتضارب الأقوال في بعضهم حتى وصل بهم الأمر إلى الحروب والتكفير في ما بينهم، لراجعوا موقفهم من أولئك الأئمة ولكانوا من المهتدين.

ثم كيف يقلد المسلم العاقل في هذا الزمان رجلاً لا يعرف من مستحدثات العصر شيئاً، ولا يجيبه إذا سأله عن حل لبعض مشاكله، ومن المؤكد بأن مالكاً وأبا حنيفة وغيرهم سيتبرّأون من «أهل السنة والجماعة» يوم القيامة ويقولون: ربنا لا تؤاخذنا بما فعل هؤلاء الذين لم نعرفهم ولم يعرفونا، وما قلنا لهم يوماً بوجوب تقليدنا.

ولا أدري ماذا سيكون جواب «أهل السنة والجماعة» عندما يسألهم رب العالمين عن الثقلين؟ ثم يأتي عليهم بالرسول شهيداً، وسوف لن يقدروا على دفع شهادته، ولو تذرّعوا بطاعة ساداتهم وكبرائهم.

وإذا سألهم: هل وجدتم في كتابي أو في سنة رسولي عهداً أو ميثاقاً أو حجة على اتباع المذاهب الأربعة؟؟

والجواب على هذا معروف ولا يتطلب مزيداً من العلم، فليس في كتاب الله ولا في سنة رسوله شيء من ذلك، وإنما في كتاب الله وسنة رسوله أمر صريح بالتمسك بالعترة الطاهرة وعدم التخلف عنهم.

ولعلهم سيقـولون: ﴿**ربَّنـا أبصرنـا وسمعنـا فأرجعنـا نعمل صـالحاً إنـا موقنون**﴾ (السجدة: 12) وسيكون الرد: **كلا، تلك كلمة أنتم قائلوها.**

وسيقول الـرسول (ص): يا رب إن قـومي اتخذوا هذا القـرآن مهجوراً، إنني أوصيتهم بعترتي وبلَّغتهم ما أمـرتني به من مـودة قرابتي، فنكثـوا بيعتي وقطعوا رحمي، وذبحوا ولدي وأباحوا حرمي، فلا ترزقهم يا رب شفاعتي.

ومرة أخرى يتبيَّن لنا بأن «أهل السنة والجماعة» لا تربطهم بالرسول صلة ولا مودة، فمن فارق العترة فقد فارق القـرآن ومن فارق القرآن فلن تجد له من دون الله وليـاً ولا نصيراً ﴿**ويـوم يعض الظـالم على يديـه يقـول يـا ليتني اتخذت مع الرسـول سبيلاً * يا ويلتي ليتني لم أتخذ فلانـاً خليلاً * لقد أضلني عن الـذكر بعد إذ جاءني وكان الشيطان للإنسان خذولاً**﴾ (الفرقان: 27 ـ 29).

الخلفاء الراشدون عند الشيعة

هم الأئمة الاثنا عشر من العترة النبوية الطاهرة، أوّلهم:

* أمير المؤمنين وإمام المتقين وقائد الغر المحجّلين وسيد المسلمين ويعسوب الدين أسد الله الغالب علي بن أبي طالب (عليه السلام) باب مدينة العلم الذي حيَّر العقول وبهر النفوس وأنار القلوب ولولاه ـ بعد رسول الله (ص) ـ لما قام للدين عمود.

* والثاني هو الإمام أبو محمد الحسن بن علي (عليه السلام) سيد شباب أهل الجنة ريحانة النبي في هذه الأمة، العابد الزاهد الناصح الأمين.

* والثالث هو الإمام أبو عبدالله الحسين بن علي (عليه السلام) سيد شباب أهل الجنة وريحانة النبي في هذه الأمة، سيد الشهداء وذبيح كربلاء الذي بذل مهجته لإصلاح أمة جده.

* والرابع هو الإمام علي بن الحسين زين العابدين (عليه السلام) وسيد الساجدين.

* والخامس هو الإمام محمد بن علي الباقر (عليه السلام) الذي بقر علوم الأولين والآخرين.

* والسادس هو الإمام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) الذي ما رأت عين ولا سمعت أذن ولا خطر على قلب بشر أفقه منه علماً وعملاً.

* والسابع هو الإمام موسى بن جعفر الكاظم (عليه السلام) سليل النبوة ومعدن العلم.

* والثامن هو الإمام علي بن موسى الرضا (عليه السلام) الذي أوتي الحكمة في حال صباه.

* والتاسع هو الإمام محمد بن علي الجواد (عليه السلام) إمام الجود والكرم والأخلاق.

* والعاشر هو الإمام علي بن محمد الهادي (عليه السلام) صاحب الفضل والهدى.

* والحادي عشر هو الإمام الحسن بن علي العسكري (عليه السلام) إمام الزهد والتقوى.

* والثاني عشر هو الإمام محمد بن الحسن المهدي (عليه السلام) الذي سيملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما مُلئت ظلماً وجوراً، ويصلي خلفه ابن مريم (عليه السلام) ويتم الله به نوره ويفرح به المؤمنون .

فهؤلاء هم أئمة الشيعة وعددهم اثنا عشر إماماً فإذا قيل: الشيعة الإمامية، أو الاثنا عشرية، أو الجعفرية كانوا هم المقصودين دون سواهم. فلم يقل أحد من الفرق الإسلامية بإمامتهم غيرهم.

وإذا تتبعنا الآيات القرآنية النازلة بخصوصهم والتي تبين فضلهم وشرف منزلتهم وطيب عنصرهم وطهارة نفوسهم وعظيم شأنهم، كآية المودة وآية إذهاب الرجس والتطهير، وآية المباهلة، وآية الأبرار، وآية الصلاة والتسليم، وغيرها كثير.

وإذا تتبعنا الأحاديث النبوية الشريفة الواردة في فضلهم وتقدمهم على الأمة وأعلميتهم وعصمتهم فإننا سنسلم قطعاً بإمامتهم وأنهم أمان الأمة من الضلالة وسبيلها الوحيد إلى الهداية.

وسيتبين لنا جلياً بأن الشيعة هم الفائزون لأنهم تمسكوا بحبل الله المتين وهو ولاؤهم واستمسكوا بالعروة الوثقى لا انفصام لها وهي مودتهم، وركبوا سفينة النجاة وأمنوا من الغرق والهلاك.

ولذلك نحكم ونجزم بمزيد اليقين والمعرفة بأن الشيعة الإمامية هم أهل السنة المحمدية. **﴿لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد﴾** (ق: 22).

صدق الله العلي العظيم

الخلفاء الراشدون عند أهل السنة والجماعة

هم الخلفاء الأربعة الذين اعتلوا منصة الخلافة بعد وفاة الرسول (ص) فأهل «السنة والجماعة» يقولون بأفضليتهم على حسب ترتيب خلافتهم وعلى سائر الخلق بعد النبي. هذا ما نسمعه اليوم، وقد عرفنا في ما سبق من أبحاث بأن الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) لم يكن معدوداً عندهم من الخلفاء العاديين فضلاً عن الراشدين، وإنما ألحقه في ركب الخلفاء الإمام أحمد بن حنبل في زمن متأخر جداً، وكان قبلها يُلعن على منابرهم في كل البلاد الإسلامية والإمبراطورية الأموية.

ولمزيد التحقيق وليطمئن القارىء إلى هذه الحقيقة المؤسفة لا بد من لفت نظره إلى ما يأتي:

قد قدمنا أن عبدالله بن عمر هو من أكابر فقهاء «أهل السنة والجماعة» وقد اعتمده مالك في موطأه، والبخاري ومسلم في صحيحيهما، وباقي المحدثين عن بكرة أبيهم.

فهذا الرجل كان من النواصب الكبار الذين عرفوا ببغضهم الصريح لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)، ويحدثنا التاريخ أنه رفض البيعة لولي المؤمنين وأسرع يبايع الحجاج اللعين عدو الله ورسوله[1].

(1) الحجّاج بن يوسف الثقفي المعروف بفسقه وكفره وجرائمه واستهتاره بالدّين، أخرج الحاكم في المستدرك ج 3 ص 556 وابن عساكر ج 4 ص 69 أنّ الحجّاج كان يقول: يزعم ابن مسعود أنّه يقرأ قرآناً من عند الله، والله ما هو إلاّ رجز من رجز الأعراب. وكان يقول: إتقوا الله ما استطعتم فليس فيها مثوبة، =

وقد كشف عبدالله بن عمر عن مكنون قلبه وأباح بخالص سره، عندما حدَّث بأنه لا يعد لعلي (عليه السلام) فضلاً ولا فضيلة ولا منقبة واحدة تجعله على الأقل في المرتبة الرابعة بعد عثمان بن عفان.

وقد عرفنا بأنه يفضل أبا بكر وعمر وعثمان فقط، أما عليّ (عليه السلام) فهو بالنسبة إليه من سوقة الناس إن لم يكن أقلهم عنده، وإليك حقيقة أخرى أخرجها المحدِّثون والمؤرِّخون تعرب بصراحة عن نفسية ابن عمر الحاقدة والمبغضة لعلي ولكل الأئمة (عليهم السلام) من عترة النبي (ص) الطاهرة.

قال عبد الله بن عمر وهو يفسر حديث النبي (ص) في قوله: «الخلفاء من بعدي اثنا عشر كلهم من قريش»، قال عبد الله بن عمر: يكون على هذه الأمة اثنا عشر خليفة وهم:

أبو بكر الصديق، عمر الفاروق، عثمان ذو النورين، معاوية وابنه ملكا الأرض المقدسة، والسفاح، وسلام، ومنصور، وجابر، والمهدي، والأمين، وأمير العصب، كلهم من بني كعب بن لؤي، كلهم صالح لا يوجد مثله[1].

إقرأ واعجب أيها القارىء العزيز من هذا الفقيه المعظَّم عند «أهل السنة والجماعة» كيف يحرّف الحقائق ويقلبها فيجعل معاوية وابنه يزيد، والسفاح من أفضل العباد، إذ يقول صراحة: كلهم صالح ولا يوجد مثله!

وقد أعمى بصره الحقد والجهل، كما أعمى بصيرته الحسد والبغض[2] فلم يَرَ لأمير المؤمنين علي (عليه السلام) فضلاً ولا فضيلة فيقدم عليه معاوية الطليق وابنه يزيد الزنديق والمجرم السفاح، وما عشت أراك الدهر عجباً!

= واسمعوا وأطيعوا لأمير المؤمنين عبد الملك بن مروان فإنّها المثوبة.

كما أخرج ابن عقيل في كتاب النصائح الكافية ص 81 أنّ الحجاج خطب بالكوفة فذكر الذين يزورون قبر النبي (ص) بالمدينة قال: تبّاً لهم إنما يطوفون بأعواد ورمّة بالية، هلاّ طافوا بقصر أمير المؤمنين عبد الملك؟ ألا يعلمون أنّ خليفة المرء خير من رسوله.

(1) تاريخ الخلفاء للسيوطي ص 140 كنز العمّال ج 6 ص 67 تاريخ ابن عساكر والذهبي.

(2) إقرأ ولا تنسَ قول الرسول (ص) الذي أخرجه البخاري ومسلم بأن حبّ علي بن أبي طالب إيمانٌ وبغضه نفاقٌ وأنّ المنافقين كانوا لا يُعرفون زمن النبي إلا ببغضهم لعلي.

فعبدالله بـن عمر هو ابـن أبيه حقاً والشيء من مـأتاه لا يستغرب وكـل إناء بـالذي فيـه ينضح، فأبـوه عمل بكل جهـوده لإبعـاد عليّ (عليه السـلام) عن الخلافة واحتقاره وانتقاصه في أعين الناس.

وهذا ابنه الحاقد البغيض، ورغم وصول عليّ (عليه السلام) إلى الخلافة بعد مقتل عثمان إذ بايعـه المهاجرون والأنصـار، نراه امتنع عن مبـايعته وعمل بكل جهـوده على إطفاء نـوره وتأليب النـاس عليـه لإسقاطـه فجعل يحدِّث ويـوهم المسلمين بأن علياً (عليه السلام) لا فضل له وهو كسائر الناس العاديين.

وقد خـدم عبدالله بن عمـر الدولـة الأمويـة وتوّج معـاوية وابنـه يزيـد بتاج الخلافـة كذبـاً وافتراءً على النبي (ص) واعترف بخلافـة السفاح والمنصـور وكل فساق بني أمية وقدَّمهم على سيد المسلمين وولي المؤمنين بنص القرآن والسنة ولم يعترف بخلافته رغم وقوعها، إن هذا لشيء عجيب!

ولنا مع ابن عمر لقاء آخر في بحث لاحق لنكشف الستار عنه أكثر. مع أن فيما قدمنـاه كفايـة لإسقاطـه من الاعتبار وتجريـده من العـدالة، وعـده في زمرة النواصب الذين أسَّسوا مذهب «أهل السنة والجماعة» وأصبح عندهم من أكبر الفقهاء والمحدِّثين.

وأنت إذا جبتَ الأرض شرقـاً وغـربـاً وصلَّيـت في مسـاجـد «أهـل السنـة والجماعة» قاطبة وتحدثت مع علمائهم فسـوف يملأ سمعك قول أئمتهم في كل مناسبة: «عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما».

النبي (ص) لا يقبل تشريع «أهل السنة والجماعة»

عرفنا مما سبق بأن الشيعة اقتداءً بأئمة أهل البيت (عليهم السلام) لم يعملوا بالرأي ولا بالقياس بل حرَّموهما، وذلك لأن النصوص النبوية كانت هي القاضية والحاكمة عندهم، وقد توارثوها كابراً عن كابر، وقد جاء ذكر الصحيفة الجامعة وطولها سبعون ذراعاً وفيها كل ما يحتاجه المسلمون إلى قيام الساعة.

كما عرفنا أيضاً بأن «أهل السنة والجماعة» اضطروا للعمل بالرأي وبالقياس وذلك لعدم وجود النصوص النبوية عندهم وافتقارهم إليها، لأن كبراءهم وساداتهم رفضوها وأحرقوها ومنعوا من تدوينها وكتابتها.

وقد عمد أنصار الاجتهاد والقول بالرأي إلى وضع حديث على لسان رسول الله (ص) لتأييد مذهبهم وتلبيس الحق بالباطل، فقالوا بأن رسول الله (ص) بعث معاذ بن جبل إلى اليمن وسأله: كيف تقضي إذا عرض لك القضاء؟ فقال معاذ: أقضي بكتاب الله، فقال له النبي (ص): إن لم تجد في كتاب الله؟ قال: أقضي بسنة رسول الله (ص)، قال: إن لم تجد في سنة رسوله؟ فقال معاذ عند ذلك: إن لم أجد أجتهد برأيي.

فقال النبي (ص) عند ذلك: الحمد لله الذي وفّق رسول رسول الله لما يرضي الله ورسوله.

وهذا الحديث باطل ولا يمكن أن يصدر عن رسول الله (ص) فكيف يقول النبي لمعاذ: إن لم تجد في كتاب الله وسنة رسوله؟ والله يقول لرسوله: ﴿ونزّلنا

عليك الكتاب تبياناً لكل شيء﴾ (النحل 89). ويقول: **﴿ما فرّطنا في الكتاب من شيء﴾** (الأنعام: 38) وكذلك قوله: **﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾** (الحشر: 7).

وقال أيضاً لرسوله: **﴿إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحقِ لتحكُمَ بينَ النّاسِ بما أراك الله﴾** (النساء: 105).

فكيف يقول النبي (ص) بعد هذا لمعاذ: إن لم تجد في كتاب الله ولا في سنة رسوله؟! وهل هذا إلا اعتراف بأن كتاب الله وسنة رسوله ناقصان ولم يبيّنا كل الأحكام القضائية!

ولقائل أن يقول: ربما كان هذا الحديث لمعاذ بن جبل في بداية الدعوة ولم يكمل بعد نزول القرآن.

قلنا: لا يصحُ ذلك، أوّلاً: لقول معاذ: أحكم بكتاب الله. فدلّ على أنّ كتاب الله كاملٌ عندهم.

وإذا أضفنا إليه قوله: أقضي بسنة رسوله، علمنا بما لا شك فيه بأن الحديث وضِع في زمن متأخر جداً عندما كثُرَ القول بالاجتهاد مقابل النصوص، لأن مصطلح كتاب الله وسنة رسوله كان يستعمل دائماً فيما بعد النبي (ص).

ولا يصح ثانياً لأنه يصبح حجة لكل من جهل أحكام الله ورسوله (ص) بأن يقضي برأيه بما شاء ولا يكلّف نفسه معرفة النصوص.

ولا يصح ثالثاً لقول الله سبحانه: **﴿ومَن لم يحكُم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون﴾ ﴿ومَن لم يحكُم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون﴾ ﴿ومَن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون﴾** (المائدة: 44 ـ 45 ـ 47).

ولا يصح رابعاً لأن الذي يجهل الأحكام لا يحق له القضاء ولا الإفتاء حتى يعرف حكم الله ورسوله في ذلك.

وإذا كان النبي نفسه وهو رسول الله وقد أعطاه الله سبحانه حق التشريع للأمة فقال: **﴿ما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم﴾** (الأحزاب: 36)، ومع ذلك فإنه لم يعمل طيلة حياته ولم

يحكم في قضيـة واحـدة بـرأي ولا بقيـاس، ولا بـاجتهـاد، بل كـان دائماً يتبع النصوص الإلهية التي ينزل بها جبريل (عليه السلام) كلما دعت الحاجة لذلك، والروايات التي تخالف هذا الواقع كلها موضوعة.

ولمزيد الاطمئنان بما قدمناه، إليك الـدليل من صحاح «أهل السنة» أخرج البخاري في صحيحه قوله:

«مـا كان النبي (ص) يُسأل ممـا لم ينزل عليـه الوحي فيقـول: لا أدري أو لم يجب حتى ينزل عليه الـوحي، ولم يقل برأي ولا قياس لقوله تعالى: **﴿بما أراك الله﴾** (النساء: 501)[1].

نعم هذا هـو رب العالمين وأحكم الحاكمين يقـول لرسـوله: **﴿وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصـدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمنـاً عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله. . .﴾** (المائدة: 48).

نعم هذا هـو القرآن يقـول لمحمد (ص): **﴿إنا أنزلنـا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله. . .﴾** (النساء: 105).

وإذا كان النبي (ص) لا يعمل برأي ولا بقيـاس بشهادتهم في صحاحهم، فكيف تسنى لهم أن يعملوا بذلك؟! وكيف يخالفون أحكام الله وسنة رسوله ثم يقولون بأنهم «أهل السنة» إنه حقّاً أمر عجيب وغريب.

---

(1) صحيح البخاري ج 8 ص 148 من كتاب الاعتصام بالكتاب والسنّة (النساء/ 105).

تنبيه لا بد منه

إذا تكلمنا في الفصول القادمة عن «أهـل السنة والجماعة» فإننا لا نقصد بهم المسلمين المعاصرين فقد لاحظنـا في عديد الفقرات بأن هـؤلاء أبرياء وليس لهم في مـا اقترفـه السلـف من ذنب ولا إثم وقلنـا بأنهم ضحـايـا الـدس والتّعتيم التاريخي الذي صاغه الأمويون والعباسيون وأذنابهم لمحق السنّة النبوية وإرجاع الأمر إلى الجاهلية.

ولقـد كنـا منهم نسير في ركبهم ونهتـدي بهديهم فمنَّ الله علينـا وهـدانـا إلى سفينة النجاة، وليس لنا إلا التضرع والابتهال إليـه سبحانه أن يهدي لذلك كل الأمة الإسلامية حتى لا يبقى إلا الحق.

ولقـائل أن يقول: إن تنـاول الصحابـة بهذا النقـد والتجريح يخدش شعـور الأغلبية من المسلمين الذين يعتقـدون بعدالتهم جميعاً ويعتبرونهم أفضل الخلق بعـد النبي (ص) فنقـول بأن المسلمين مُطـالبـون بالاعتقـاد في الله وفي رسـولـه والعمل بما افترضاه والوقوف عنـد الحدود التي رسماها، ويتوقف نجاة المسلمين بما فيهم الصحابة على ذلك، فمن خرج عـن ذلك مصيره إلى النار ولو كان عم النبي (ص) أو ولده.

وإن تناول البعض من الصحابة بالنقد والتجريح فرضته الأحداث التاريخية التي تفاعلوا معها واختلفوا وكانوا سبب اختلاف الأمة ورزيّتها.

عداوة «أهل السنة» لأهل البيت تكشف عن هويتهم

إن الباحث يقف مبهوتاً عندما تصدمه حقيقة «أهل السنة والجماعة» ويعرف بأنهم كانوا أعداء العترة الطاهرة، يقتدون بمن حاربهم ولعنهم وعمل على قتلهم ومحو آثارهم.

ولذلك تجد «أهل السنة والجماعة» يوثّقون المحدثين إذا كانوا من الخوارج أو من النواصب العثمانية، ويتهمون ويوهّنون المحدثين إذا كانوا من شيعة أهل البيت.

وإنك تجد ذلك مذكوراً في كتبهم بصراحة عندما يحاولون تكذيب الأحاديث الصحيحة التي وردت في فضائل علي بن أبي طالب (عليه السلام) ويوهّنون راويها بقولهم: وفي سنده فلان وهو رافضي[1].

ويصحّحون الأحاديث المكذوبة التي وُضعت لتفضيل وتمجيد الخلفاء الآخرين، وإن كان راويها من النواصب، لأن النصب عندهم هو شدة وصلابة في السنّة.

فهذا ابن حجر يقول عن عبدالله بن إدريس الأزدي المعروف بالنصب: يقول: **إنّه صاحب سنة وجماعة وكان صلباً في السنة وكان عثمانياً**[2].

ويقول في عبدالله بن عون البصري: إنه موثّق وله عبادة وصلابة في السنّة،

(1) رافضي بمعنى يتشيع لعلي ويرفض خلافة الذين تقدّموه.

(2) تهذيب التهذيب لابن حجر ج 5 ص 145 وكذلك ج 1 ص 82.

وشـدة على أهل البـدع، قـال ابن سعـد: وكـان عبـد الله بن عـون البصري عثمانياً[1].

كما يقـول في إبـراهيم بن يعقـوب الجوزجـاني المعـروف ببغضـه لعلي (عليـه السلام): إنه كـان حريزي المذهب أي على مذهب حـريز بن عثمان الدمشقي المعروف بالنصب[2].

قال ابن حيان: إنه كان **صلباً في السنة حافظاً للحديث**.

وتجدر الإشارة هنـا بأن هـذا الناصبي الـذي يمدحـونه بـالصلابـة في السنة وبحفظ الحديث، كـان يغتنم اجتماع المحدِّثين على بـابه، فيبعث بجـارية لـه ومعها دجاجة في يدها، فتطوف في المدينـة، ثم تعود لتقول لسيدها الجوزجاني بأنها لم تجد من يـذبح لها الدجـاجة، فيصيح عنـد ذلك قائلاً: سبحـان الله!! فرّوجة لا يـوجد من يذبحها وعليّ يذبـح في صحوة من نهار نيفاً وعشرين ألف مسلم!!

وبمثل هذا المكر والدهـاء يحاول النواصب أعداء أهل البيت تحريف الناس عن الحق وإضلالهم بمثل هذه الأراجيف الكـاذبة حتى يملأوا قلوب المسلمين خصوصـاً المحدِّثين منهم، حقـداً وبغضاً لعلي بـن أبي طالب (عليـه السلام) ويستبيحوا بذلك سبّه وشتمه ولعنه.

وإنك لتجد هذه الظاهرة موجودة إلى يوم الناس هذا فرغم ادعاء «أهل السنة والجماعة» في زمـاننا بأنهم يحبون أهل البيـت ويترضّون عن سيدنـا علي (كرم الله وجهه) كما يقولون، إلا أنك عندما تروي حديثاً فيه فضيلة لعلي (عليه السلام) تراهم يغمزون ويهزأون، ويرمونك بالتشيّع وقول البدع والغلو في الدين.

---

(1) المعروف أنّ العثمانيين هم النّواصب الـذين يكفّرون علياً ويتّهمونـه بقتل عثمان وعلى رأسهم معاوية بن أبي سفيان ابن عمّ عثمان، فهو رئيسهم وزعيمهم.

(2) النّـواصب هم أعـداء علي وأهل بيتـه من الخوارج والقـاسطين والنّـاكثين والـذين نـاصبـوا لـه العـداء وحاربوه، وبعد استشهاده عملوا على سبّه ولعنه.

وعندما تحدّث عن الخلفاء أبي بكر وعمر وكل الصحابة بدون استثناء وتقول في فضلهم ما شئت وتغالي في ذلك، فإنهم يطمئنون إليك ويستأنسون بحديثك ويقدموك على أنك كثير العلم واسع الاطلاع.

إنها بالضبط عقيدة سلفهم «الصالح»، فقد نقل المؤرّخون بأن الإمام أحمد ابن حنبل كان يضعِّف من أهل الحديث كل من ينتقص أبا بكر أو عمر أو عثمان، بينما كان يكرم إبراهيم الجوزجاني الناصبي المتقدم ذكره إكراماً شديداً، ويراسله ويقرأ كتبه على المنبر ويحتج بها.

وإذا كان هذا حال أحمد بن حنبل الذي فرض على معاصريه القول بخلافة عليّ (عليه السلام) وربّع بها، فلا تسأل عن الآخرين الذين لم يعترفوا له بفضيلة واحدة أو الذين سبّوه ولعنوه على المنابر في الجمعة والأعياد.

وهذا الدارقطني يقول: كان ابن قتيبة متكلم أهل السنة يميل إلى التشبيه، منحرف عن العترة[1].

وبهذا يتبين بأن أغلب «أهل السنة والجماعة» كانوا منحرفين عن عترة الرسول (ص).

وهذا المتوكل الذي لقَّبه أهل الحديث بـ «محيي السنّة» والذي كان يكرم أحمد ابن حنبل ويعظِّمه ويطيع أوامره في تنصيب القضاة، كان من أكبر النواصب لعلي ولأهل البيت (عليهم السلام) حتى وصل به الحقد إلى نبش قبر الحسين بن علي ومنع من زيارته، وقتل من يتسمّى بعلي. وذكره الخوارزمي في رسائله وقال بأنه كان لا يعطي مالاً ولا يبذل نوالاً إلا لمن شتم آل أبي طالب (عليهم السلام) ونصر مذهب النواصب[2].

وغني عن التعريف بأن مذهب النواصب هو مذهب «أهل السنة والجماعة» فناصر مذهب النواصب المتوكل هو نفسه «محيي السنة» فافهم.

---

(1) لسان الميزان للذّهبي ج 3ص 357.
(2) رسائل الخوارزمي ص 135.

وهذا ابن كثير يحدثنا في البداية والنهاية بأن «أهل السنة والجماعة» عندما سمعوا الأعمش يروي حديث الطير المشوي الذي فيه فضيلة علي بن أبي طالب (عليه السلام)، أخرجوه من المسجد وغسلوا مكانه[1].

كما أنهم حاولوا منع دفن الإمام محمد بن جرير الطبري صاحب التفسير الكبير والمؤرخ العظيم لا لشيء إلا لأنه صحَّح حديث غدير خم «من كنتُ مولاه فهذا عليّ مولاه» وجمع رواياته من طرق متعددة، بلغت حد التواتر.

قال ابن كثير: وقد رأيت له كتاباً جمع فيه أحاديث غدير خم في مجلدين ضخمين، وكتاباً جمع فيه حديث الطير المشوي[2]، وذكره أيضاً ابن حجر في لسان الميزان فقال: هو الإمام الجليل والمفسِّر، ثقة، صادق، فيه تشيع يسير وموالاة لا تضر[3].

وهذا المحدِّث الكبير الإمام النسائي وهو صاحب أحد الصحاح الست عند «أهل السنة»، عندما كتب كتاب الفضائل في أمير المؤمنين عليّ (عليه السلام)، سألوه عن فضائل معاوية، فقال: لا أعرف له فضيلة إلا لا أشبع الله بطنه، فضربوه على مذاكيره حتى غُشي عليه ونُقل ومات من ذلك.

كما يحدثنا ابن كثير في تاريخه عن حوادث سنة 363 التي وقعت في بغداد بين الشيعة و«أهل السنة والجماعة» بمناسبة يوم عاشوراء، قال:

إن جماعة من «أهل السنة» أركبوا امرأة سموها عائشة وتسمّى بعضهم بطلحة، وبعضهم بالزبير، وقالوا: نقاتل أصحاب عليّ (عليه السلام)، فقتل بسبب ذلك خلق كثير[4].

وهذا بالضبط ما يقع اليوم في الهند فإن «أهل السنة والجماعة» يهجمون على الشيعة في يوم عاشوراء ليمنعوهم من موكب التعزية فيُقتل بسبب ذلك خلق كثير من المسلمين الأبرياء.

---

(1) إبن كثير في كتاب البداية والنهاية ج 11 ص 147.

(2) البداية والنهاية لابن كثير ج 11 ص 147.

(3) لسان الميزان لابن حجر في ترجمة ابن جرير الطّبري.

(4) البداية والنهاية لابن كثير ج 11 ص 275.

وبعد هـذا العرض يتبين لنا بوضـوح بأن النواصب الذين عادوا عليـاً (عليه السـلام) وحـاربـوا أهل البيت (عليهم السـلام)، هـم الـذين سمـوا أنفسهم بـ«أهل السنّة والجماعـة»، وقد عـرفنـا ماذا يقصـدون بالسنّة وماذا يقصـدون بالجماعة.

ومن البديهي أن من كان عدواً لعترة الـرسول (ص) فهو عدو لجدهم رسول الله، ومن كان عدواً لرسول الله (ص) فهو عدو لله.

ومن البديهي أيضاً أن عدو الله ورسولـه وأهل بيته ليس هو من عباد الرحمان وليس هو من أهل السنّة، إلا أن تكون سنة الشيطان هي المقصودة.

أمـا سنة الـرحمان فهي مودة الله ورسـوله وأهل البيت ومـوالاتهم والسير على هـديهم، قـال تعـالى: **﴿قل لا أسألكـم عليـه أجـراً إلا المودة في القـربى﴾** (الشورى: 23).

فأين معاوية من عليّ وأين أئمة الضلال من أئمة الهدى، وأين «أهل السنة والجماعة» من الشيعة الأبرار؟

﴿هذا بيانٌ للنّاسِ وهدىً وموعظة للمتّقين﴾ (آل عمران: 138).

صدق الله العلي العظيم

تحريف أهل السنّة والجماعة
كيفية الصلاة على محمد وآله

تمعّن ـ رعاك الله ـ في هذا الفصل فإنك ستعرف خفايا «أهل السنّة والجماعة» إلى أي مدى وصل بهم الحقد على عترة النبي (ص) فلم يتركوا شيئاً من فضائل أهل البيت (عليهم السلام) إلا وحرّفوه.

من ذلك، الصلاة على محمد وآل محمد التي نزل بها القرآن الكريم، فقد أخرج البخاري ومسلم وكل المحدثين من «أهل السنّة والجماعة» بأن الصحابة جاؤوا إلى النبي (ص) عندما نزل قول الله تعالى: **﴿إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً﴾** (الأحزاب: 56). فقالوا: يا رسول الله، عرفنا كيف نسلم عليك، ولم نعرف كيف نصلي عليك؟!

فقال النبي (ص): قولوا اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد.. [1].

وزاد بعضهم قوله (ص): ولا تصلوا عليَّ الصلاة البتراء، قالوا: وما الصلاة البتراء يا رسول الله؟ قال: «أن تقولوا اللهم صل على محمد وتسكتوا، وإن الله كامل لا يقبل إلا الكامل».

مما حدا بالإمام الشافعي أن يقول ويصرِّح بأن الذي لا يصلي على أهل البيت، لا يقبل الله صلاته.

وفي سنن الدارقطني بسنده عن أبي مسعود الأنصاري قال: قال رسول الله

---

(1) صحيح البخاري ج 4 ص 118.

(ص): من صلى صلاة لم يصلِّ فيها عليَّ ولا على أهل بيتي لم تقبل صلاته[1].

وأخرج ابن حجر في صواعقه قال: أخرج الديلمي أن النبي (ص) قال: الدعاء محجوب حتى يصلى على محمد وأهل بيته[2].

كما أخرج الطبراني في الأوسط عن عليّ (عليه السلام) قال: كل دعاء محجوب حتى يُصلّى على محمد وآل محمد[3].

وبعدما عرفنا من صحاح «أهل السنّة والجماعة» كيفية الصلاة على محمد وآل محمد وعرفنا أيضاً بأن الله لا يقبل صلاة عبد إذا لم يصلِّ فيها على محمد وآل محمد، كما وأن دعاء المسلم محجوب حتى يصلي على محمد وآل محمد.

وإنها لعمري فضيلة عظيمة ومنقبة جليلة فضَّلَتْ أهل البيت على سائر البشر فبهم يتقرَّب المسلم إلى ربه.

ولكن «أهل السنّة والجماعة» غاظهم أن يتركوا هذه الفضيلة لأهل البيت وأحسوا بخطورتها، إذ أن أبا بكر وعمر وعثمان وكل الصحابة مهما قيل فيهم من فضائل مكذوبة ومناقب مزعومة، فإنهم لا يبلغون هذه المنزلة ولا يطاولون هذه المنقبة لأنهم وبأجمعهم لا يقبل الله صلاتهم إذا لم يتقربوا إلى الله بالصلاة على عليّ بن أبي طالب بعد محمد لأنه سيد العترة كما لا يخفى.

فعمدوا إلى تحريفها بإضافة جزء من عندهم لم يأمر به رسول الله (ص) ليرفعوا بذلك مكانة أسيادهم من الصحابة، كما عمدوا على بترها من القرن الأول، فإذا ما كتبوا كتاباً تراه خالٍ من الصلاة الكاملة، وعند ذكرهم لاسم محمد أو النبي أو رسول الله يكتبون فقط، صلى الله عليه وسلم بدون ذكر آل محمد.

وإذا تكلَّمت اليوم مع أحدهم وقلت له: صل على محمد، فسيجيبك:

---

(1) سنن الدارقطني ص 136.

(2) الصواعق المحرقة لابن حجر ص 88.

(3) فيض القدير ج 5ص 19 كنز العمال ج 1ص 173.

صلى الله عليه وسلم بـدون ذكر الآل حتى أن بعضهم يلفلفها لفـاً، فلا تسمع منه إلا (صلّ وسلم).

أما إذا سألت أي شيعيٍ عربي كـان أو فارسي أن يصلي على محمد فسيقول: اللهم صلِّ على محمد وآل محمد.

وقـد جاء في كتب «أهل السنّـة والجماعة» قـول النبي (ص): قولـوا: اللهم صلِّ على محمـد وآل محمد بصيغة الحاضر والمستقبـل وبصيغة الدعـاء والطلب منه سبحانه.

ولكنهم مع ذلـك يكتفـون بعبـارة صلى الله عليـه وسلم بصيغـة الماضي الإخباري وبدون ذكر الآل.

وقد حاول زعيم «أهل السنّة والجماعة» معـاوية بن أبي سفيان أن يمحوَ ذكر محمد من الأذان[1].

فلا غرابة أن يعمد أتباعه ومقلِّدوه على بتر الصلاة وتحريفها، ولو قدروا على حذفها لفعلوا ولكن هيهات هيهات.

وقـد تسمع اليوم في كل منبر من منـابرهم وبـالخصوص منـابر الـوهابيـة لا تسمع إلا الصـلاة المحرفـة، فإما أنهم يصلـون صلاة بتراء وإذا مـا اضطروا إلى إكمالها فإنهم عندئذ يـزيدون عليها لفظـاً: وعلى أصحابه أجمعين، أو يقـولون: وعلى أصحـابه الطيبين الطـاهرين ويحوِّلـون بذلك آيـة التطهير النازلـة في أهل البيت إلى الصحـابة ليمـوِّهـوا على عامـة النـاس بأن أهل البيت والصحابـة في الفضل سواء.

وقـد أخذوا علم التمـويـه والتحريـف على فقيههم الأول ومرشـدهم الكبير عبدالله بن عمر الذي عرفنا بغضه لأهل البيت.

فقد أخرج مالك في الموطأ أن عبدالله بن عمر كان يقف على قبر النبي فيصلي على النبي وعلى أبي بكر وعلى عمر[2].

---

(1) يراجع في ذلك كتاب «فاسألوا أهل الذكر» ص 46.

(2) تنوير الحوالك في شرح موطأ مالك ج 1 ص 180.

وأنت أيها الباحث إذا تأملت في الواقع فإنك لا تجد لهذه الزيادة من الصلاة على الصحابة أصلاً لا في الكتاب ولا في السنة النبوية، وإنما أمر الكتاب والسنة بالصلاة على محمد وآل محمد، والأمر هو موجه للصحابة قبل غيرهم من المكلفين.

وإنك لا تجد هذه الزيادة إلا عند «أهل السنّة والجماعة» فكم لهم من بدعة في الدين ابتدعوها وسموها سنّة وهم يريدون من ورائها طمس فضيلة أو ستر حقيقة. **﴿يريدون أن ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون﴾** (الصف: 8).

وبهذا يتبين لنا أيضاً من هم أهل السنة الحقيقيين من الأدعياء المزيفين.

أكاذيب تكشفها حقائق

نـريد أن نبيِّن في هـذا الفصل لكل عـاقل حر تـرك التعصب ورفع الحجب والغشاوة عن بصره وبصيرته ليصل إلى الهداية والحق.

فنقول له بأن كـل أقطاب «أهل السنّة والجماعة» وأئمتهم قـد خالفوا صريح السنّة النبوية ونبذوها وراء ظهورهم، وتركوها عامدين طائعين.

فلا يغترنّ مسلم بما يسمعه هنا وهناك من مدح وإطراء مزيف، لا يقوم على دليل واضح ولا برهان ساطع.

ونحن إذ نكشف عن هـذه الحقائق لا نتقـوّل عليهم ولا نزيـد شيئاً على مـا ذكروه هم أنفسهم في صحاحهم ومسانيدهم وتواريخهم. وقد ذكرنا البعض من هذه الحقـائق في كتبنا السـابقة، ومررنـا عليها مرور الكـرام، ولا بأس بذكـرها بشيء من التفصيل هنا حتى تشرق شمس الهداية وتتبدد سحب الضلال ويحل النور محل الظلام.

وقد قلنا فيما سبق بأن في الإعادة إفادة، وإذا مـا تكررت الأحداث بأساليب متعددة قد يستفيـد منها القارىء أكثر، لأن القراء قـد يستهويهم أسلوب معين فيقرأونه بـدون ملل، وقد تعلمنا من القرآن الكريم هـذا الأسلوب الحكيم فهو يقص علينـا قصــة مـوسى وعيسى (عليهما السـلام) في العـديــد من السـور وبأساليب متعددة يعضد بعضها بعضاً.

وسـوف نأتي على ذكـر الأئمـة والأقطـاب الــذين يعتمـدهم «أهل السنّـة

والجماعة» ويعتبرونهم قمة العلم والفقه، ويقدمونهم على الأئمة الأطهار من آل بيت المصطفى المختار، مهملين بعض الصحابة الذين عرفوا لدى الخاص والعام من العلماء وغير العلماء بفسقهم وفجورهم وبعدهم عن روح الإسلام وأخلاقه، أمثال معاوية وابنه يزيد[1] وابن العاص وابن مروان وابن شعبة وغيرهم.

ولو جبت في بعض البلاد العربية والإسلامية لـ«أهل السنّة والجماعة» فسوف تجد لهؤلاء ذكراً وتمجيداً، وشوارع بأسمائهم وكتباً في عبقرياتهم وحسن سياستهم وصحة خلافتهم.

ومع ذلك فنحن لا نضيع الوقت في الكتابة عنهم وكشف عوراتهم فقد كفانا ذلك بعض الأحرار من المؤرخين والمفكرين.

ولكن سنتناول في هذا البحث أولئك الأئمة الذين اشتهروا بالصلاح والعدل والزهد والتقوى فكانوا عمدة «أهل السنّة والجماعة» حتى نتعرف من قريب كيف أنهم غيّروا سنة النبي (ص)، وأحدثوا في هذه الأمة البدع التي سببت الفرقة والضلالة، وحطمت ذلك البناء الشامخ الذي شيده رسول الله (ص) وقضى حياته كلها عملاً وجهاداً لصيانته وتثبيته.

وقد انتقيت من بين أقطاب «أهل السنة والجماعة» اثني عشر شخصية كان لها دور كبير في التأثير على سير الأحداث وتغيير معالم الدين والمساهمة في تفريق الأمة وتشتيتها.

---

(1) أخرج ابن سعد في طبقاته الكبرى ج 5 ص 47 عن عبدالله بن حنظلة غسيل الملائكة قال: والله ما خرجنا على يزيد حتى خفنا أن نرمى بحجارة من السّماء، إنّ رجلاً ينكح الأمهات والبنات والأخوات، ويشرب الخمر، ويدع الصّلاة، والله لو لم يكن معي أحد من النّاس لأبليتُ لله فيه بلاءً حسناً.
نعم هذا هو يزيد الخمور والفجور الذي قتل ريحانة الرسول ومعه العترة كلهم وأباح مدينة الرّسول ورغم ذلك فإنك تجد اليوم دولة إسلامية تكتب كتاباً عنوانه «حقائق عن أمير المؤمنين يزيد بن معاوية».

أئمة «أهل السنّة والجماعة» وأقطابهم

1 ـ أبو بكر بن أبي قحافة الخليفة الأوّل .

2ـ عمر بن الخطّاب الخليفة الثاني .

3ـ عثمان بن عفّان الخليفة الثالث .

4ـ طلحة بن عبيد الله .

5ـ الزّبير بن العوّام .

6ـ سعد بن أبي وقّاص .

7ـ عبد الرحمان بن عوف .

8ـ عائشة بنت أبي بكر «أم المؤمنين» .

9ـ خالد بن الوليد .

10ـ أبو هريرة الدّوسي .

11ـ عبدالله بن عمر.

12ـ عبدالله بن الزّبير.

فهؤلاء اثنا عشر شخصية اخترتهم من بين كثيرين من أقطاب «أهل السنّة والجماعة» لكثرة ذكرهم وتمجيدهم والثّناء عليهم أو لكثرة رواياتهم وغزارة علمهم كما يزعمون .

وسوف نتناول بالبحث الموجز لكلّ واحـد منهم ونبرز مخالفته للسنّة النّبوية إمّا عمـداً أو جهلاً حتّى يتبيّن للبـاحث بأنّ «أهل السنّة والجماعـة» يدّعـون ما ليس لهم ويتّبعون أهواءهم زاعمين بأنّهم على الحقّ وغيرهم على ضلال!

1 ـ أبو بكر «الصدّيق»، ابن أبي قحافة

لقـد وافينا في بعض الأبحـاث السّابقـة من كتبنـا بأنّه جمع خمسمائة حـديث للنّبي (ص) أحرقهـا بالنّار، وخطب في النّاس قائلاً: لا تحدّثـوا عن رسول الله شيئاً فمن سألكم فقولوا: بيننا وبينكم القرآن فأحلّوا حلاله وحرّموا حرامه.

وقد ذكرنا أيضـاً بأنّه خالف سنّة النبيّ (ص) في كتابـة الكتاب وأيّد عمر في قوله: «إنّ رسول الله يهجرُ وحسبنا كتاب الله يكفينا».

كما ضرب بنصـوص النّبي في استخـلاف علي عـرض الجدار واغتصب الخلافة.

كما ترك سنّة النّبي (ص) في تأمير أُسامة عليه وسيره في جيشه.

كما ترك سنّة النّبي (ص) في إيذاء بضعته الزهراء وتحدّى غضبها.

كما ترك سنّة النّبي (ص) في حرب وقتل المسلمين الذين منعوه الزكاة.

كما تـرك سنّـة النّبي (ص) في حـرقـه الفجـاءة السّلمي وقـد نهى النّبي عن ذلك.

كما ترك سنّة النّبي (ص) في منعه سهم المؤلفة قلوبهم واتّبع رأي عمر.

كما ترك سنّة النّبي (ص) في استخلافه عمر على المسلمين دون مشورتهم.

نعم كلّ هذه المخـالفات وغيرهـا لسنّة النّبي (ص) سجّلهـا صحاحُ «أهل السنّة والجماعة» ومؤرّخوهم وطفحت بها كتب السّير.

فإذا كـانت السنّة النّبـوية كما عرّفهـا العلماء: هي كلّ قول أو فعـل أو إقرار لرسول الله (ص)، فقد خالف أبو بكر السنّة بأجمعها من قول وفعل وتقرير.

* **من القول مثلاً:** قول النّبي (ص): **فـاطمة بضعة منّي من أغضبهـا فقد أغضبني، وقد ماتت فاطمة وهي غاضبة عليه كما أخرج ذلك البخاري.**

وقولـه (ص): لعنَ الله من تخلّف عن جيش أُسامة، قـاله عندمـا طعنوا في تأميره أُسامة ورفضـوا الخروج معه والالتحاق بجيشه، وقـد تخلّف أبو بكر رغم كلّ ذلك متذرّعاً بالخلافة.

* **ومن الفعل مثلاً:** ما فعله رسول الله (ص) مع المؤلّفـة قلوبهم إذ عاملهم بالحُسنى وأعطاهم سهماً من الزّكاة بأمرٍ من الله تعالى.

ولكنّ أبـا بكر حـرمهم من ذلك الحقّ الذي نص عليـه القرآن وفعلـه النّبي (ص) نزولاً على رغبة عمر بن الخطّاب الذي قال لهم: لا حاجة لنا فيكم.

* **ومن الإقـرار مثلاً:** مـا أقرّه النّبي (ص) من كتـابة أحـاديثه ونشرهـا بين النّاس، ولكنّ أبا بكر أحرقها ومنع من نشرها والتحدّث بها.

أضف إلى ذلك أنّه كان يجهل كثيراً من أحكام القرآن الكريم، فقد سُئل عن الكلالة التي نزل بحكمها القرآن، فقال: إنّي سأقول فيها برأيي فإن يكُ صواباً فمن الله وإن يك خطأ فهو منّي ومن الشيطان[1].

كيف لا تعجب من خليفـة المسلمين الذي يُسـأل عن حكم الكلالـة التي أوضحها الله في كتـابه وبيّنها رسـول الله (ص) في سنّته، فيترك الكتـاب والسنّة ويقول فيهـا برأيـه، ثم يعترف بأنّ الشيطان قـد يستحوذ على رأيـه، وهذا ليس بغريب على خليفة المسلمين أبي بكر فقد قال غير مرّة: إنّ لي شيطاناً يعتريني.

وقد قرّر علماء الإسلام بأنّ من قال في كتاب الله برأيه فقد كفر، كما عرفنا بأنّ النّبي (ص) **ما كان يقول برأي ولا بقياس.**

أضف إلى ذلك أنّه كان يقول: «لا تحملـوني على سنّة نبيّكم فإنّي لا أُطيقها»

---

(1) تفسير الطبري وتفسير ابن كثير وتفسير الخازن وكذلك تفسير جلال الـدين السيوطي في الجامع الكبير وكلّهم في تفسير سورة النّساء في قوله: ﴿**يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة**﴾.

فإذا كان أبو بكـر لا يطيق سنّة النّبي (ص) فكيف يدّعي أتبـاعه وأنصاره أنّهم «أهل السنّة».

ولعلّه لا يُطيقهـا لأنّها تذكّره بـانحرافه وبُعـده عن صاحب الرسـالة، وإلاّ كيف نُفسّر قول الله تعالى: ﴿**ما جعل عليكم في الدّين من حرج**﴾ (الحج: 78) وقوله: ﴿**يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر**﴾ (البقرة: 185) وقوله ﴿**لا يكلف الله نفساً إلاّ وسعها**﴾ (البقرة: 286) وأخيراً قوله سبحانه وتعالى: ﴿**ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا**﴾ (الحشر: 7).

فقول أبي بكر بأنّـه لا يطيق سنّة النّبي هو رد على هذه الآيـات وإذا كان أبو بكر الخليفـة الأول بعد النّبي لا يطيقُ سنّته في ذلـك العهد، فكيف يُطلبُ من مسلمي العصر الحاضر أن يقيموا حكم الله بكتابه وسنّة نبيّه؟!

على أنّنا وجـدنا أبـا بكر يُخالف السنّة النّبـوية حتّى في الأمـور الميسورة التي يقدر عليها فقراء النّاس وجهّالهم.

وقد ترك أبو بكر الأضحية التي كان رسول الله (ص) يفعلُها ويؤكّد عليها، وقد عرف كلّ المسلمين بأنّ الأضحية هي سنّة مستحبّة ومؤكّدة، فكيف يتركها خليفة المسلمين؟!

قال الشافعي في كتاب الأم وغيره من المحدّثين(1):

إنّ أبا بكر وعمر (رضي الله عنهما) كانـا لا يُضحيان، كراهية أنْ يُقتدى بهما فيظنّ من رآهما أنّها واجبة.

إنّه تعليل بـاطل لا يقوم على دليل وكلّ الصّحابة عـرفوا من النّبي (ص) أنّ الأضحية سنّة وليست واجبة.

وعلى فرض أنّ النّاس ظنّوا أنّها واجبـة فماذا يترتّبُ عن ذلك، وقد رأينا عمر يبتدع صـلاة التراويح وهي ليستْ سنّة ولا واجبـة بل إن النّبي نهى عنها، ومع ذلك فأغلب «أهل السنّة والجماعة» اليوم يظنّون أنها واجبة.

---

(1) البيهقي في سننه الكبرى ج 9 ص 265، جمع الجوامع للسيوطي ج 3 ص 45.

ولعلّ أبا بكـر وعمر بتركهم سنّة النّبي في الأضحية أرادا أن يُـوهمَا النّاس بأن كلّ ما فعله رسول الله (ص) ليس بواجب ويمكن تركه وإهماله .

وبذلك يستقيم قـولهم : حسبنا كتـاب الله يكفينَا ، ويستقيم أيضـاً قول أبي بكـر: لا تحدّثوا عن النّبي شيئـاً وقولـوا بيننـا وبينكم كتاب الله فأحلّـوا حلالـه وحرّموا حرامه .

وعلى هذا لو حاجج رجل أبا بكر بـالسنّة النّبوية في الأضحية مثلاً فسيكون جواب أبي بكر: لا تحدّثني عن النّبي شيئاً ، وأرني الأضحية في كتاب الله!

وبعـد هـذا يَفهم البـاحثُ لماذا بقيـتْ سنّـة النّبي (ص) عنـدهم مجهـولـة ومتروكة ، ولماذا بـدّلوا أحكام الله ورسولـه بآرائهم وقياسهم ومـا استحسنوه من أمور تتماشى وأهواءهم .

وهذه الأمثلة التي أخرجناها هي غيضٌ من فيضٍ لما فعله أبو بكر تجاه السنّة النّبوية الشريفة وما لقيتْ منه من إهـانة وحرق وإهمال ولو شئنا لكتبنا في ذلك كتاباً مستقلاً .

فكيف يطمئنُّ المسلم إلى شخص هذا مبلغه من العلم وهذه عـلاقته بالسنّة النّبوية الشريفة ، وكيف يتسمّى أتباعه بـ«أهل السنّة»؟؟!

فأهل السنّة لا يهملونها ولا يحرقُونها .

كلاّ ، بل أهل السنّة هم الذين يتّبعونها ويقدّسونها .

﴿قل إن كنتم تحبّون الله فاتّبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفورٌ رحيمٌ* قـل أطيعوا اللـه والـرّســولَ فإنْ تولّوا فـإنّ الله لا يحُبُّ الكافـرين﴾ (آل عمران : 31 ـ 32) .

صدق الله العظيم

2 ـ عمر بن الخطّاب «الفاروق»

عـرفنا في أبحـاث سابقـة من كتبنا بأنّـه كان بطل المعـارضة للسنّـة النّبويـة الشّريفـة ، وأنّـه الجريء الـذي قال : إنّ رسـول الله يهجـر وحسبنـا كتـاب الله

يكفينا، وحسب قول الرسول الذي لا ينطق عن الهوى، فإنّ عمر هو الذي تسبّب في ضلالة من ضلّ في هذه الأمة(1).

وعرفنا بأنّه عمل على إهانة الزهراء وإيذائها، فروّعها وأدخل الرعب عليها وعلى صغارها عندما هجم على بيتها وهدّد بحرقها.

وعرفنا بأنّه عمل على جمع كلّ ما كُتبَ من السنّة النّبوية فأحرقها ومنع النّاس من التحدّث بأحاديث النّبي (ص).

وقد خالف عمر سنّة النّبي في كلّ أدوار حياته وبمحضر النّبي، كما خالف سنّة النّبي (ص) في تسييره ضمن جيش أسامة، ولم يخرج معه بدعوى إعانة أبي بكر على أعباء الخلافة.

كما خالف القرآن والسنّة في منع سهم المؤلفة قلوبهم.

كما خالف القرآن والسنّة في متعة الحج وكذلك في متعة النّساء.

كما خالف القرآن والسنّة في الطّلاق الثلاث فجعله طلقة واحدة.

كما خالف القرآن والسنّة في فريضة التيمّم وأسقط الصلاة عند فقد الماء.

كما خالف القرآن والسنّة في عدم التجسّس على المسلمين فابتدعه.

كما خالف القرآن والسنّة في إسقاط فصل من الأذان وإبداله بفصل من عنده.

كما خالف القرآن والسنّة في عدم إقامة الحدّ على خالد بن الوليد وكان يتوعّده بذلك.

كما خالف السنّة النّبوية في النهي عن صلاة النّافلة جماعة فابتدع التراويح.

كما خالف السنّة النّبوية في العطاء فابتدع المفاضلة وخلق الطبقية في الإسلام.

(1) دليل ذلك قول الرسول (ص): أكتب لكم كتاباً لن تضلّوا بعده أبداً، وقول ابن عبّاس: لو كتبَ ذلك الكتاب ما اختلف من الأمة اثنان، ولمّا كان عمر هو الذي منع رسول الله من الكتابة واتّهمه بالهجر كي لا يصرّ النّبي على الكتابة، عرفنا بأنّه تسبّب في الضّلالة وحَرم الأمّة الإسلامية من الهداية.

كما خالف السنّة النّبوية باختراعه مجلس الشورى وعهده لابن عوف.

والغريب أنّك تجد «أهل السنّة والجماعة» ينزلونه بعد كلّ هذا منزلة المعصومين، ويقولون بأنّ العدل مات معه، وبأنّه لمّا وُضع في قبره وجاءه الملكان ليسألانه، فصاح بهما عمر: «من ربّكما؟» ويقولون بأنّه الفاروق الذي فرّق الله به الحق من الباطل».

أليس ذلك دليلاً على الاستهزاء والسّخرية من بني أميّة وحكّامهم على الإسلام والمسلمين، وبوضعهم أمثال هذه المناقب لشخص عُرف بالفظّ الغليظ كما عُرف بمعارضته المستمرّة للرّسول[1]. فكأن لسان حالهم يقول للمسلمين: لقد ولّى عهد محمّد بما فيه، وأقبل عهدنا نحن لنُشرّع لكم من الدّين ما نريد وما يعجبُنا، فها أنتم أصبحتُم لنا عبيداً رغم أنوفكم ورغم نبيّكم الذي فيه تعتقدون.

أليس هذا من قبيل ردّ الفعل والأخذ بالثّأر لتعود زعامة قريش بقيادة بني أميّة الذين حاربوا الإسلام ونبيّ الإسلام؟

وإذا كان عمر بن الخطاب يعمل على طمس السّنن النّبويّة ويسخر منها ويعارضُها حتّى بحضور النّبي نفسه، فلا غرابة أن تُسلّم له قُريش قيادتها وتجعله زعيمها الأكبر، لأنّه أصبح بعد ظهور الإسلام لسانَها النّاطق وبطلها المعارض، كما أصبح بعد وفاة النبي (ص) قوّتها الضّاربة وأملها العريض في تحقيق أحلامها وطموحاتها للوصول إلى السّلطة وإرجاع عادات الجاهلية التي يعشقونها ومازالوا يحنّون إليها.

وليس من قبيل الصّدفة أن نجد عمر بن الخطاب يخالف السنّة النّبوية في خلافته ويعمل على تأخير مقام إبراهيم عن البيت إلى ما كان عليه أيّام الجاهليّة.

فقد أخرج ابن سعد في طبقاته وغيره من المؤرّخين:

---

(1) أخرج مسلم في صحيحه ج 4 ص 59 أنّ ابن عبّاس وابن الزبير اختلفا في المتعتين فقال جابر بن عبدالله: فعلناهما مع رسول الله (ص) ثم نهانا عنهما عمر فلم نعد لهما.

إنّ النّبي (ص) لما فتح مكّة أَلْصقَ مقام إبراهيم بالبيت كما كان على عهد إبراهيم وإسماعيل (عليهما السّلام) لأنّ العرب في الجاهلية أخّروه إلى مكانه اليوم. فلمّا ولّي عمر بن الخطّاب أخّرهُ إلى موضعه الآن، وكان على عهد النّبي وأبي بكر مُلصقاً بالبيت(1).

فهل ترى بربّك من مبرّر لعمر بن الخطاب حتّى يعمد فيُميتَ سنّة النّبي الذي أعاد ما فعله إبراهيم وإسماعيل (عليهما السّلام) فيُحيي عمر سنّة الجاهلية ويُعيد بناء المقام كما كان على عهدهم؟

فكيف لا تُقدّمه قريش وكيف لا تروي في فضائله ما يتعدّى الخيال، حتّى أنّ صاحبه أبا بكر الذي تقدّمه في الخلافة لم يبلغ شأوَهُ وكان في نزعه ضعفٌ حسب ما يرويه البخاري ولكن عمر أخذها منه فلم يُرَ عبقرياً يفري فريه.

وهذا نزرٌ يسيرٌ من بدعه التي أحدثها في الإسلام وهي مخالفة كلّها لكتاب الله وسنّة رسوله، ولو شئنا جمع البدع والأحكام التي قال فيها برأيه وحمل النّاس عليها، لكتبنَا في ذلك كتاباً مستقلاً، لولا توخي الاختصار.

ولقائل أنْ يقول: كيف خالف عمر بن الخطاب كتاب الله وسنّة رسوله، والله تعالى يقول: **﴿ما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعصِ الله ورسوله فقد ضلّ ضلالاً مُبيناً﴾** (الاحزاب: 36)؟

وهذا ما يردّده أكثر النّاس اليوم وكأنّهم يكذبون ولا يصدّقون أنّ عمر بن الخطاب يفعلُ ذلك.

فنقول لهؤلاء: هذا ما أثبتَهُ له أولياؤه وأتباعه من «أهل السنّة والجماعة» الذين يُفضّلونه على النّبي من حيث لا يشعرون.

فإذا كان ما قيل فيه كذباً، فصحاحُهم كلّها تسقُطُ عن الاعتبار ولا حجة لهم بعد ذلك على كل ما يعتقدون! على أنّ جلّ الأحداث التّاريخية كتبتْ في

---

(1) الطبقات الكبرى لابن سعد ج 3 ص 204، وكذلك السيوطي في تاريخه لخلافة عمر بن الخطّاب.

عهد دولة «أهل السنّة والجماعة» الذين لا يُشكّ في حبّهم واحترامهم وتقديرهم لابن الخطّاب.

وإذا كانتْ صحيحة وذلك هو الواقع الذي لا مفرّ منه فعلى المسلمين اليوم أنْ يُراجعوا موقفهم ويُعيدوا النّظر في كلّ عقائدهم إنْ كانوا من «أهل السنّة والجماعة».

وإنّك تجد أكثر المحقّقين اليوم لمّا أعيتهم الحيلة لردّ مثل هذه الرّوايات والأحداث التّاريخية التي أجمع عليها العلماء والمحدّثون، ولا يقدرون على تكذيبها، فتراهم يتأوّلون ويلتمسون بعض الأعذار الواهية التي لا تقوم على دليل علمي، والبعض منهم أخذ يعدّد بدعه ويقلبها مناقب من مفاخره التي يُشكر عليها.

وكأنّ الله ورسوله ما كانا يعرفان مصلحة المسلمين وغفلا عن تلك البدع ـ أستغفر الله ـ، فاكتشفها عمر بن الخطّاب فسنّها لهم بعد وفاة رسول الله (ص).

إنّه بهتانٌ عظيم وكفرٌ صريح نعوذ بالله من خطل الآراء وزلل الأهواء، وإذا كان عمر هو زعيم وإمام «أهل السنّة والجماعة» فإنّي أبرأ إلى الله من تلك السنّة وتلك الجماعة.

وأسأله سبحانه أن يُميتني على سنّة خاتم النّبيين وسيد المرسلين سيدنا محمد وعلى منهاج أهل بيته الطّيبين الطّاهرين.

3ـ عثمان بن عفّان «ذو النورين»

وهو الخليفة الثالث الذي وصل للخلافة بتدبير عمر بن الخطاب وعبد الرحمان بن عوف الذي أخذ عليه العهد والميثاق بأنْ يحكُمَ فيهم بكتاب الله وسنّة رسوله وسنّة الخليفتين.

وأنا شخصياً أصبحتُ أشكّ في الشرط الثاني الذي يتمثّل في الحكم بسنّة رسول الله (ص).

لأنّ عبد الرحمان بن عوف يعرف أكثر من غيره بأنّ الخليفتين أبا بكر وعمر لم يحكُما بالسنّـة النّبوية، وإنّما حكما بـاجتهادهما وآرائهما، وأنّ السنّة النّبـوية على عهد الشّيخين كـادت تكون معدومـة تماماً لـولا وقوف الإمام علي على إحيـائها كلّما سمحتْ له الظّروف بذلك.

وأغلبُ الظنّ أنّه اشترط على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بأنْ يحكم فيهم بكتـاب الله وسنّـة الشّيخين، فـرفض علي هـذا العـرض قـائلاً: لا أحكم إلاّ بكتاب الله وسنّة رسـوله، فخسر الخلافة لأنّه أراد إحيـاء سنّة النّبي (ص) وفاز بها عثمان لأنّه قبل أن يواصل درب أبي بكر وعمـر اللذين صرّحَا غير مرّة بأنْ لا حاجة بالسنّة النّبوية وإنّما يكفي القرآن ليُحلّلوا حلاله ويُحرّموا حرامه.

ويزيدنا يقيناً صحّة مـا ذهبنا إليه أنّ عثمان بن عفّان فهم من هذا الشّرط أنّ عليـه أن يجتهـد برأيـه في الأحكـام كما فعل صـاحباه، وهي السنّـة التي سنّهـا الشيخان بعد النّبي.

ولذلك نرى عثمان أطلق العنـان لرأيه واجتهد أكثر من صـاحبيه حتّى أنكر عليه الصّحـابة، وجاؤوا يلـومون عبد الـرحمان بن عوف قائلين لـه: هذا عمل يديك!

ولمّا كثُرتْ المعارضة والإنكار على عثمان، قام في الصّحابة خطيباً فقال لهم: «لماذا لم تنكروا على عمر بن الخطاب اجتهاده، ألأنّه كان يُخيفكم بدرته؟».

وفي رواية ابن قتيبة: قام عثمان خطيباً على المنبر لـمّا أنكر النّاس عليه فقال: أماَ والله يا معشر المهـاجرين والأنصار لقد عبتم عليّ أشيـاءَ ونقمتم علي أموراً، قد أقررتم لابن الخطاب مثلهـا، ولكنّه وقمكم وقمعكم، ولم يجترىء أحدٌ يملأ بصره منه ولا يُشير بطرفه إليه، أمَا والله لأنَـا أكثر من ابن الخطّاب عدداً وأقرب ناصراً[1].

وأعتقد شخصياً بأنّ الصّحابة مـن المهاجرين والأنصار لم ينكروا على عثمان اجتهاده، فقد ألفوا الاجتهاد وباركوه من أوّل يوم، ولكنّهم أنكروا عليه لمّا عزلهم

(1) تاريخ الخلفاء لابن قتيبة ج 8ص 31.

وولّى المناصب والـولايات الفسّاق من بني عمومتـه وقرابته الذين كانـوا بالأمس القريب حرباً على الإسلام والمسلمين.

وقد سكت المهاجرون والأنصار على أبي بكر وعمر لأنهما أشركاهم في الحكم وأعطياهم المناصب التي فيها المال والجاه.

أمّـا عثمان فإنّـه عـزل أكثـرهم وأعطـى الأمـوال الطـائلـة إلى بني أميّـة بغير حساب، عند ذلك أنكروا عليه وأثاروا حوله الشبهات إلى أن قتلوه.

وهـذه هي الحقيقـة التي تنبّأ بها رسـول الله (ص) عندمـا قـال لهم: «إنّي لا أخاف عليكم أن تشركوا بعدي، ولكنّي أخاف عليكم أنْ تنافسوا فيها».

وقال الإمام علي (عليه السّلام):

«كأنّهم لم يسمعـوا قول الله تعـالى: **﴿تلك الدّار الآخرة نجعلهـا للّذين لا يريدون علُوّاً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتّقين﴾** (القصص: 83).

بلى والله لقـد سمعـوها ووعـوهـا ولكنّهم حليت الـدنيـا في أعينهم وراقهم زبرجها».

فهذا هو الواقع، أمّا أن نعتقد بـأنّهم أنكروا عليه تغيير سنّة النّبي فهذا ممّا لا سبيل إليـه، ولأنهم لم ينكـروا على أبي بكـر وعمـر، فكيف ينكـرونها عليـه، والمفروض أنّ عثمان بـن عفّان أكثـر عدداً وأقرب نـاصراً من أبي بكـر وعمر كما صرّح هـو نفسه بـذلك، لأنّـه زعيم بني أميّـة وبنو أميّـة أقـرب للنّبي من تيم وعدي، قبيلتي أبي بكر وعمر وأشدّ منهما قوّة ونفوذاً وأشرف منهما حسباً ونسباً.

ولأنّ الصّحابة لم ينكروا على أبي بكر وعمر، بل كانوا يقتدون بسنّتهما ويتركون سنّة النّبي وهم يعلمون فلا يمكن أن يُنكروا على عثمان ما أقرّوه لغيره.

والـدّليل أنّهم حضروا في كثير من المواقف التـي غيّر فيهـا عثمان سنّـة النّبي كإتمامه صلاة السّفر ومنعه من التلبية وتركه التكبير في الصّلاة ومنعه من التمتّع في الحجّ، فلم ينكر عليه غير علي بن أبي طالب كما سنعرفه قريباً بحول الله.

والصّحابـة كانوا يعرفـون سنّة النّبي ويعمدون على مخالفتهـا من أجل إرضاء الخليفة عثمان.

أخرج البيهقي في سننه الكبرى عن عبد الرحمان بن يزيد قال: كنّا مع عبدالله بن مسعود فلمّا دخل مسجد منى، قال: كم صلّى أمير المؤمنين (يعني عثمان) قالوا: أربعاً، فصلّى أربعاً. قال: فقلنا: ألم تُحدّثنا أنّ النّبي (ص) صلّى ركعتين وأبا بكر صلّى ركعتين؟!

فقال: بلَى وأنا أحدّثكموه الآن، ولكن عثمان كان إماماً فما أُخالفه والخلاف شرٌ[1].

* إقرأ واعجب من هذا الصّحابي وهو من أكابرهم عبدالله بن مسعود، إذ يرى في خلاف عثمان شرّاً، ويرى في خلاف رسول الله (ص) كلّ الخير.

أفبعد هذا يقالُ: إنّهم أنكروا عليه عندما ترك السنّة النّبوية؟!

وروى سفيان بن عيينة عن جعفر بن محمد قال:

إعتلَّ عثمان وهو بمنى، فأتى عليٌّ فقيل له: صلِّ بالنّاس.

فقال علي: إنْ شئتم، ولكن أصلّي لكم صلاة رسول الله (ص) يعني ركعتين!

فقالوا: لا إلاّ صلاة أمير المؤمنين عثمان أربعاً، فأبى علي أن يُصلّي بهم[2].

إقرأ واعجب من هؤلاء الصّحابة وهم ألوف مؤلّفة لأنّهم كانوا بمنى في موسم الحجّ، كيف يرفضون صراحة سنّة رسول الله (ص) ولا يقبلون إلاّ بدعة عثمان! وإذا كان عبدالله بن مسعود يرى في خلاف عثمان شرّاً فيُصلّي أربعاً رغم أنّه يروي عن النّبي ركعتين فلعلّه فعل ذلك تقيّةً خوفاً من هؤلاء الذين يُعدّون بالآلاف والذين لا يقبلون إلاّ ما فعله عثمان ضاربين بالسنّة النّبوية عرض الجدار.

ولا تنسَ بعد كلّ هذا أنْ تُصلّي وتُسلّم على النّبي وعلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب الذي رفض أنْ يُصلّي بهم إلاّ صلاة رسول الله (ص)، وقد أراد بذلك

(1) السنن الكبرى للبيهقي ج 3 ص 144.

(2) المحلّي لابن حزم ج 4 ص 270.

إحياء السنّة النّبوية التي خالفوها، ولم يخشَ عليٌّ في ذلك لومة لائم، ولا خاف من جموعهم ومؤامراتهم.

وتجدر الإشارة أيضاً إلى أنّ عبدالله بن عمر قال: الصّلاة في السّفر ركعتان من خالف السنّة فقد كفَر[1].

وبهذا فقد كفّر عبدالله بن عمر الخليفة عثمان وكلّ الصّحابة الذين تابعوه على بدعة إتمام الصّلاة في السّفر، ومع ذلك فلنا عودة مع الفقيه عبدالله بن عمر لنحكم عليه بما حكم به على غيره.

كما أخرج البخاري في صحيحه قال: سمعتُ عثمان وعلياً (رضي الله عنهما) بين مكّة والمدينة، وعثمان ينهى عن المتعة وأن يجمع بينهما، فلمّا رأى ذلك عليٌّ أهلّ بهما جميعاً قائلاً: لبّيك عمرة وحجّة معاً. فقال عثمان: تراني أنهى النّاس عن شيء وتفعله أنتَ؟ فقال عليٌّ: لم أكن لأدع سنّة رسول الله (ص) لقول أحدٍ من النّاس[2].

* ألا تعجب من خليفة المسلمين الذي يخالف صريح السنّة ولا يكتفي بذلك حتّى ينهى النّاس عنها فلا ينكرُ عليه أحدٌ منهم إلاّ علي بن أبي طالب الذي لم يكن يدع سنّة رسول الله ولو قتل دون ذلك.

فقل لي بربّك، هل تجدْ في أصحاب محمّد من يمثّل السنّة النّبوية بحقّ وحقيقة غير أبي الحسن علي (عليه السّلام)؟

ورغم سطوة الحاكم وشدّته ورغم تأييد الصّحابة له، فإنّ علياً لم يترك السنّة أبداً، وهذه كتبهم وصحاحهم تشهد على صدق ما ذهبنا إليه من أنّه (سلام الله عليه) قد حاول بكلّ جهوده إحياء السنّة النّبوية وإرجاع النّاس إلى أحضانها ولكن لا رأي لمن لا يُطاع، كما قال هو بنفسه.

فلم يكن في ذلك العصر من يُطيعُه ويعمل بأقواله غير الشّيعة الذين والُوه واتّبعوه وانقطعوا إليه في كل شيء.

---

(1) البيهقي في سننه ج 3 ص 140 وكذلك الطبراني في المعجم الكبير والجصّاص في أحكام القرآن ج 2 ص 310.

(2) صحيح البخاري ج 2 ص 151 باب التمتّع والإقران من كتاب الحجّ.

وبهذا يتبين لنا جلياً بأنّ الصّحابة لم ينكروا على عثمان تغييرهُ للسنّة النّبوية، فقد عرفنَا من صحاحهم كيفَ أنّهم يُخالفونَ سنّة النّبي ولا يُخالفونه في بدعه، ولكنّهم ثارتْ ثائرتُهم عليه من أجل الدّنيا الدّنيئة لكسب المالِ والجاه والسّلطان.

وهم الذين حاربوا علياً دون هوادة لأنّه لم يُولِّهم المناصبَ وطالبَهم أن يُرجعوا الأموال التي جمعوها بغير حقّ إلى بيت مال المسلمين ليستفيدَ منها المسَاكين.

لك الله يا أبا الحسن، يا من حافظت على كتاب ربّك وسنّة ابن عمّك رسول الله (ص) وكنتَ إمام المتّقين وناصرَ المستضعفين وكان شيعتك هم الفائزون إذ أنّهم تمسّكوا بكتاب الله وسنّة رسوله بالتفافهم حولك وانقطاعهم إليك.

فهل تُصدّق أيّها القارىء العزيز والباحث اللّبيب بعد كلّ ما مرّ عليك من أبحاث بأن أتباع عثمان بن عفّان هم أهل السنّة، وأتباعُ علي هم الرّوافض وأهل البدع؟

فاحكم بما أراك الله إن كنتَ من المُنصفين.

﴿إنّ الله يأمركُم أنْ تُؤدّوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين النّاس أنْ تحكموا بالعدل إنّ الله نعما يعظُكُم به، إنّ الله كان سميعاً بصيراً﴾ (النساء: 58). صدق الله العلي العظيم

4 ـ طلحة بن عبيد الله

إنّه من كبار الصّحابة المشهورين وهو أحد الستة الذين رشّحهم عمر بن الخطّاب للخلافة وقال فيه بأنّه مؤمن الرّضا كافر الغضب يوماً إنسان ويوماً شيطان، وهو أحد العشرة المبشّرين بالجنّة على زعم «أهل السنّة والجماعة».

وعندما نبحثُ عن شخصية هذا الرّجل في كتب التّاريخ يتبيّنُ لنا بأنّه من عشّاق الدنيا، من الذين غرّتهم وجرّتهم وراءها فباعوا دينهم من أجلها وخسروا أنفسهم وما ربحت تجارتهم ويوم القيامة يندمون.

هذا طلحة الذي كان يؤذي رسول الله (ص) بقوله: إن ماتَ رسول الله تزوجتُ عائشة فهي بنت عمّي، فبلغ رسول الله قوله فتأذّى من ذلك.

ولمّا نزلتْ آية الحجاب واحتجب نساء النّبي (ص) قال طلحة: أيحجبنا محمّد عن بنات عمّنا ويتزوج نساءنا من بعدنا؟ فإن حدث به حدث لنزوجنّ نساءه من بعده[1].

ولمّا تأذى رسول الله من ذلك نزل قول الله تعالى:

﴿. . . وما كان لكم أن تُؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبداً إن ذلكم كان عند الله عظيماً﴾ (الأحزاب: 53).

وهذا طلحة الذي دخل على أبي بكر قبل وفاته عندما كتب عهده بالخلافة لعمر بن الخطاب فقال له: ماذا تقول لربّك إذ ولّيتَ علينا فظّاً غليظاً؟ فشتمه أبو بكر بكلام بذيء[2].

ولكنّنا نجده بعد ذلك يسكُت ويرضى بالخليفة الجديد ويُصبح من أنصاره ويعمل على جمع الأموال وكسب العبيد خصوصاً بعد أن طمع في الخلافة واشرأبّت عنقه إليها بعد أن رشّحه عمر بن الخطّاب لها.

وطلحة هو الذي خذل الإمام علياً وانحاز في صفّ عثمان بن عفّان لعلمه المسبق بأنّ الخلافة إذا آلتْ إلى علي فلا يبقى له فيها مطمع بعد ذلك، وقد قال عليٌّ في ذلك: فصغى رجلٌ منهم لضغنه ومال الآخر لصهره، مع هنٍ وهنٍ. . .

يقول الشيخ محمّد عبده في شرحه: وكان طلحة ميّالاً لعثمان لصلاتٍ بينهما على ما ذكره بعض رواة الأثر، وقد يكفي في ميله إلى عثمان انحرافه عن علي لأنّه تيمي وقد كان بين بني هاشم وبني تيم مواجد لمكان الخلافة في أبي بكر[3].

(1) تفسير ابن كثير وتفسير القرطبي وتفسير الألوسي وغيرهم كلّهم ذكروا ذلك عن تفسير قوله سبحانه: **﴿ما كان لكم أنْ تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده. . ﴾**.

(2) الإمامة والسّياسة لابن قتيبة في باب وفاة أبي بكر واستخلافه عمر.

(3) محمد عبده في شرح نهج البلاغة ج 1 ص 88 من الخطبة الشقشقية.

لا شكّ بأنّ طلحة هو أحد الصّحابة الذين حضروا بيعة الغدير وسمعوا قول النّبي (ص): «من كنتُ مولاه فهذا عليٌّ مولاه».

ولا شكّ بأنّه سمع رسـول الله يقول: «عليّ مع الحقّ والحقّ مع علي» وحضر يوم خيبر عنـدما أعطـاه الرّاية وقـال بأنّه يحبُّ الله ورسولـه ويُحبّه الله ورسـوله، ويعـرف أيضاً بأنّ عليّـاً هـو للنّبي بمنزلـة هـارون من موسى، ويعـرفُ الكثير والكثير.

ولكنّ الحقـد الدّفين والحسـد ملأ قلبـه فلم يعـد يرى إلاّ التعصّب لقبيلتـه والانحياز إلى ابنة عمّه عائشة بنت أبي بكـر التي كان يطمع في الزّواج منها بعد النّبي ولكن القرآن حال دون ذلك.

نعم لقد انضمّ طلحـة إلى عثمان وبايعه بـالخلافة لأنّه كان يُعطيـه الصِّلات والهبات، ولمّا اعتلى عثمان منصّة الخلافة أغـدق على طلحة من أموال المسلمين بدون حساب[1]، فكثُرتْ أموالـه ومواشيه وعبيده حتّى بلغتْ غلّتـه من العراق وحده كلّ يوم ألف دينار.

يقول ابن سعـد في طبقاته: لما مـاتَ طلحة كانتْ تـركتهُ ثلاثين مليـوناً من الدّراهم، كان النّقد منها مليـونين ومائتي ألف درهمٍ ومائتي ألف دينار، وكان سائرها عروضاً وعقاراً[2].

لكلّ ذلك طغَى طلحة وتجبّر وبدأ يـؤلّب على صديقه الحميم عثمان ليُطيح به ويأخذَ مكانه.

ولعلّ عـائشـة أمّ المؤمنين أطمعتـه في الخلافـة ومنّتـهِ بها لأنها هي الأخـرى عملتْ على إسقاط عثمان بكل جهودها، وكانتْ لا تشكُّ في أنّ الخلافة ستؤول إلى ابن عمّها طلحة، ولمّا بلغها مقتل عثمان وأنّ النّاس قد بايعوا طلحة فرحتْ فرحاً شديداً وقالتْ: «بعداً لنعثل وسحقاً، إيهٍ ذَا الإصبع إيهٍ أبا شبل، إيه ابن عمّ لله أبوك أمَا إنّهم وجدوا طلحة لها كفؤاً».

---

(1) ذكر الطبري وابن أبي الحديد وطه حسين في الفتنـة الكبرى بأن طلحة كان قد اقترض من عثمان خمسين ألفاً، فقال له ذات يوم: قد تهيأ مالك فأرسل من يقبضه، فقال عثمان: هو لك يا أبا محمد معونة على مروءتك! ويقال إنّ عثمان وصل طلحة بمائتي ألف أيضاً.

(2) الطبقات الكبرى لابن سعد ج 3 ص 858.

نعم هـذا جزاء عثمان من طلحـة، بعدما أغنـاهُ غدر بـهِ من أجل الطّمع في الخلافة وألّب عليه النّاس، وكان من أشدّ المحرّضين عليه حتّى منعه من شرب الماء أيام الحصار.

قال ابن أبي الحديد بأنّ عثمان كان يقول أيّام الحصار:

ويْلي على ابن الحضرميّة «يعني طلحة» أعطيته كذا وكذا بهاراً ذهباً وهو يروم دمي ويحرّض على نفسي، اللّهمّ لا تمتّعهُ به ولقّه عواقب بغْيِه.

نعم هذا طلحة الـذي انحاز لعثمان واختاره للخلافـة من أجل إبعادها عن عليّ، ولأنّ عثمان أعطاه الذّهب والفضّة وها هو اليـوم يؤلّب عليه ويأمر النّاس بقتلـه ويمنع دخول الماء إليـه، وعندمـا يأتـون بجثّته يمنع من دفنـه في مقابـر المسلمين فيدفنُ في «حش كوكب» كانت اليهود تدفن فيه موتاهم(1).

ثم بعـد ذلك نَرى طلحـة أوّل من يُبـايع الإمـام علياً بعـد مقتل عثمان، ثم ينكُث بيعته ويلتحق بعـائشة ابنة عمّـه في مكّة، وينقلب فجأةً للمطالبـة بدم عثمان، سبحان الله! هل يوجد بهتانٌ أكبر من هذا؟!

بعض المؤرّخين يُعلّلُ ذلك بأنّ علياً رفض أن يُولّيه على الكـوفة وما وراءها، فنكث البيعة وخرج محارباً للإمام الذي بايعه بالأمس.

إنّها نفسيّة من غـرق في الدنيـا إلى أمّ رأسه، وباع آخـرته ولم يعـد يُشغله غير المنصب والجاه والمال.

يقول طه حسين:

«فكان طلحة إذن يمثّل نـوعاً خاصّاً من المعـارضة، رضِيَ مَا أتاحَ الـرضا لَه الثّراء والمكانة، فلمّا طمع في أكثر من ذلك عارض حتى أهلك وهلكَ(2).

هذا هو طلحة الـذي بايع بالأمس الإمام علياً يخرج بعـد أيّام قليلة يجرُّ حرم رسـول الله عـائشة إلى البصرة فيقتـل الأبريـاء وينهب الأمـوال ويُثير الـرّعب في

(1) تاريخ الطبري والمدائني والواقدي في مقتل عثمان.

(2) الفتنة الكبرى طه حسين ج 1 ص 150.

النّاس حتى يشقّوا عصا الطّاعة لعلي، ويقف بدون خجل يُحارب إمام زمانه الذي أعطاه عهد البيعة طائعاً مختاراً.

ومع ذلك فقد بعث إليه الإمام علي قبل المعركة، فلقيه في الصفّ، فسأله: أمَا بايعتني؟ ما الذي أخرجك يا طلحة؟

قال: الطلب بدم عثمان.

قال علي: قتل الله أولانَا بدم عثمان.

وفي رواية ابن عساكر، قال له الإمام علي: أُنشدك الله يا طلحة أسمعتَ رسول الله (ص) يقول: من كنتُ مولاه فعليٌّ مولاه، اللهمّ والِ من والاه وعادِ من عاداه؟

قال: نعم، فقال له: فلم تُقاتلني؟!

وكان جوابه: الطّلب بدم عثمان، وكان ردّ علي: قتل الله أولانا بدم عثمان.

واستجاب الله دعوة علي فقُتل طلحة في اليوم نفسه، قتله مروان بن الحكم الذي جاء به طلحة لمحاربة علي.

إنّه طلحة الفتنة والبهتان وتقليب الحقائق لا يراعي في ذلك إلاً ولا ذمّة، ولا يفي بعهده، ولا يسمع نداء الحق وقد ذكّره به الإمام علي وأقام عليه بذلك الحجّة، ولكنّه أصرّ واستكبر وتمادى في غيّه فضلّ وأضلّ وقُتَل بسبب فتنته خلقٌ كثير من الأبرياء لم يشاركوا في مقتل عثمان ولا عرفوه مدة حياتهم ولا خرجوا من البصرة.

نقل ابن أبي الحديد أنّه لمّا نزل طلحة البصرة أتاه عبدالله بن الحكيم التميمي لكُتبٍ كان كتبها إليه فقال لطلحة:

«يا أبا محمّد أما هذه كتبك إلينا؟ قال: بَلَى.

قال: فكتبتَ أمس تدعونا إلى خلع عثمان وقتله، حتّى إذا قتلتهُ أتيتنا ثائراً بدمه، فلعمري ما هذا رأيكَ، **إنك لا تريد إلاّ هذه الدنيا**، مهلاً إذا كان هذا رأيكَ فلِمَ قبلتَ من علي ما عرض عليك من البيعة فبايعته طائعاً راضياً ثم

نكثتَ بيعتك، ثم جئتَ لتدخلنا في فتنتك(1).

نعم هذه هي حقيقـة طلحة بن عبيد الله عـارية كما ذكرهـا أصحاب السّنن والتواريخ من «أهل السنّة والجماعة» وبعد كـلّ هذا فهم يقولون بأنّه من العشرة المبشّرين بالجنّة.

ويحسبون أنّ الجنّة هي فندق هيلتون يدخلها أصحاب الملايين والسّماسرة من رجال الأعمال فيلتقي فيهـا القاتل والمقتـول والظالم والمظلـوم ويلتقي فيها المؤمن والفاسق والبرّ والفاجر.

﴿أيطمعُ كلّ امـرىء منهم أن يـدخُل جنّـة نعيم﴾ (المعارج: 38). ﴿أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصـالحات كالمفسدين فيّ الأرض أم نجعل المتّقين كالفجّار﴾ (صَ: 28) ﴿أفمن كـان مؤمنـاً كمن كان فـاسقاً لا يستـوون﴾ (السجدة: 18).

﴿أمّـا الذين آمنـوا وعملوا الصّـالحات فلهم جنّات المأوى نـزلاً بما كانـوا يعملون * وأمّا الذين فسقوا فمأواهم النّار كلّما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النّار الذي كنتم به تكذبون﴾(السجدة: 19 ـ 20).

5 ـ الزّبير بن العوّام

هو أيضاً من كبار الصّحابة ومن المهاجرين الأوّلين وله قرابة قريبة من رسول الله (ص)، فهو ابن صفيّة بنت عبد المطّلب عمة النّبي.

وهو أيضـاً زوج أسماء بنت أبي بكر أخت عـائشة. وهـو أحد الستـة الذين رشحهم عمر بن الخطاب للخلافة(2).

(1) شرح ابن أبي الحديد المعتزلي ج 2 ص 500.

(2) لقـد ابتكـر عمر بن الخطـاب هـذه الفكـرة وهي من الـدّهاء بمكـان، وذلك ليخلق معـارضين لعلي ومنـافسين له، لأنّ الصّحـابة كلّهم كـانوا على علم تـام بأن الخلافة هي من حق علي وإنما اغتصبتها قريش اغتصاباً، ولمّا حاججتهم فاطمة الزهراء قـالوا لها: لو سبق إلينا زوجك وابن عمّك ما عدلنا به أحداً، فما رضي عمر بن الخطاب أن تعود الخلافة بعد مـوته لصاحبها الشرعي فخلق له منافسين بهذه الطـريقة فطمع كلّ منهم بـالخلافـة وحدّثتهم أنفسهم بـالـرئاسة فبـاعـوا دينهم بدنيـاهم فما ربحت تجارتهم.

وهو أيضاً من المبشّرين بالجنّة على ما يقول «أهل السنّة والجماعة».

ولا غرابة أن نجده دائماً صحبة شبيهه طلحة فلا يذكر طلحة إلاّ ومعه الزّبير ولا الزبير إلا ومعه طلحة.

وهو أيضاً من الذين تنافسوا في الدّنيا وملأوا منها البطون، فقد بلغتْ تركته حسبما يذكره الطّبري، خمسين ألف دينار وألف فرس وألف عبد وضياعاً كثيرة في البصرة وفي الكوفة وفي مصر وغيرها.

يقول طه حسين في ذلك:

«والنّاس يختلفون في مقدار ما قُسم على الورثة من تركة الزّبير، فالمُقِلّون يقولون: إنّ الورثة اقتسموا فيما بينهم خمسة وثلاثين مليوناً، والمكْثرون يقولون: إنّهم اقتسموا اثنين وخمسين مليوناً، والمعتدلون يقولون: إنّهم اقتسموا أربعين مليوناً.

ولا غرابة في ذلك فقد كانت للزبير خطط في الفسطاط وخطط في الإسكندرية وخطط في البصرة وخطط في الكوفة وإحدى عشرة داراً في المدينة وكانت له بعد ذلك غلاّت وعروض أخرى»[1].

أمّا البخاري فيروي أنّه خلف في تركته خمسين ألف ألف ومائتي ألف[2].

ونحن لا نقصد من هذا العرض محاسبة الصّحابة عمّا اكتسبوه من عروض وما جمعوه من أموال قد تكون كلّها من حلال، ولكن عندما نرى حرص الرّجلين طلحة والزّبير على الدّنيا ونعلم بأنهما نكثا بيعة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب لأنّه عزم على إرجاع الأموال التي اقتطعها عثمان إلى بيت مال المسلمين عند ذلك نشكّ في أمر الرّجلين.

أضف إلى ذلك أنّ الإمام علياً عندما تولّى الخلافة بادرَ بإرجاع النّاس إلى السنّة النّبوية وأوّل شيء فعله هو توزيع بيت المال فأعطى لكل واحد من المسلمين ثلاثة دنانير سواء كان عربياً أم أعجمياً وهو ما فعله النّبي (ص) طيلة

(1) الفتنة الكبرى لطه حسين ج 1 ص 147.

(2) صحيح البخاري ج 4 ص 53 باب فرض الخمس باب بركة الغازي في ماله حيّاً وميّتاً.

حياته، وأبطل علي بذلك بدعة عمر بن الخطاب الذي فضّل العربي على الأعجمي فأعطى للعربي ضعف الأعجمي.

ويكفي علي بن أبي طالب أن يعود بالنّاس إلى السنّة النّبوية حتى يثور عليه الصّحابة الذين أعجبوا بما ابتدعه عمر.

وهذا أمرٌ أغفلناه في تعليل محبّة قريش وتقديسها لعمر وقد فضّلها على باقي المسلمين وبعث فيهم نعرة القوميّة العربيّة والقبليّة القرشيّة والطبقيّة البورجوازيّة.

فكيف يأتي علي بعد ربع قرن من وفاة النّبي ليعود بقريش إلى ما كانت عليه زمن النبي الذي سوّى في العطاء فكان بلال الحبشي يقبض كالعبّاس عم النّبي، وقد كانت قريش منكرة على رسول الله (ص) تلك المساواة، وقد نجد خلال تصفّح السّيرة بأنّهم كانوا يُعارضونه في أغلب الأوقات من أجل ذلك.

ومن أجل ذلك أيضاً ثارت ثورة طلحة والزّبير على أمير المؤمنين علي لأنّه ساوى بينهم في العطاء ولم يعطهم ما طلبوا من الإمارة، ثم هو يريد محاسبتهم على الأموال التي جمعوها ليعود بالأموال المسروقة إلى الشّعب المستضعف.

والمهم أن نعرف بأنّ الزّبير عندما يئس أنْ يولّيه علي على البصرة وأن يفضّله على غيره وخاف أن يُحاسبه الخليفة الجديد على ثروته الخيالية، جاء مع صاحبه طلحة يستأذنان علياً في الخروج الى العمرة، وعرف علي نواياهما المبيّتة فقال:

«والله ما أرادا العمرة ولكنّهما أرادا الغدرة».

والتحقَ الزبير هو الآخر بعائشة بنت أبي بكر فهي أختُ زوجته، وأخرجها هو وطلحة صوب البصرة ولما نبحتها كلاب الحوأب وأرادت الرجوع جاؤوها بخمسين رجلاً جعلوا لهم جعلاً وشهدوا ذوداً لكي تواصل أمّ المؤمنين عصيانها لربها ولزوجها وتسير معهم إلى البصرة، لأنهم عرفوا بدهائهم بأن تأثيرها في الناس أكبر من تأثيرهم، فقد أوعزوا طيلة ربع قرن وأوهموا الناس بأنها حبيبة رسول الله وابنة الصديق الحميراء التي عندها نصف الدين والعجيب في أمر الزبير أنّه هو الآخر خرج للطلب بدم عثمان كما يدّعي، وقد اتهمه صلحاء الصحابة بأنه هو الذي عمل على قتله.

فقد قـال له الإمام علي عنـد مُقابلته لـه في ساحة المعـركة: أتطلب مني دم عثمان وأنت قتلته؟[1]

وفي لفظ المسعودي قال له: ويحك يا زبير ما الذي أخرجك؟ قال: الطّلب بدم عثمان، قال علي: قتل الله أولانا بدم عثمان.

كما أخرج الحاكم في المستـدرك، قال: جـاء طلحة والـزبير إلى البصرة فقال لهم الناس: ما جاء بكم؟ قالوا: نطلب بدم عثمان، فقال الحسين: أيا سبحان الله، أفما كان للقوم عقول فيقولون والله ما قتل عثمان غيركم.

لقد فعـل الزبير مثل صـاحبه طلحـة، غدر بعثمان وحرّض على قتلـه، ثم بايع الإمـام علياً طائعاً ونكـث البيعة والعهد وجاء إلى البصرة يطلب هـو الآخر بدم عثمان!

ولما دخل البصرة شارك بنفســه في تلك الجرائم فقتلوا أكثـر من سبعين رجلاً من حرّاسه ونهبوا بيت المال يقول المؤرخون بأنهم كتبوا كتاب هدنة مع عثمان بن حنيف (والي البصرة) وتعاهدوا على احترامه حتى يقدم علي.

ثم خانـوا العهد والميثاق وهجموا على عثمان بن حنيف وهـو يصلي بالناس صلاة العشاء، فكتفوهم وقتلوهم وأرادوا قتل عثمان بن حنيف والي علي فخافوا أن يسمع أخوه سهـل بن حنيف والي المدينة فينتقم من أهلهم، فضربـوه ضرباً شـديداً ونتفـوا لحيته وشـاربيه، ثـم هجموا على بيت المال فقتلـوا من حراسـه أربعين رجلاً وحبسوا عثمان وأسرفوا في تعذيبه.

يقول طه حسين في شأن هذه الخيانة ويقصد طلحة والزبير:

«لم يكتف هـؤلاء القوم بنكث البيعـة التي أعطوهـا علياً وإنّما أضـافوا إليهـا نكث الهدنـة التي اصطلحوا عليهـا مع عثمان بن حنيف، وقتلوا من قتلـوا من أهل البصرة الذيـن أنكروا نقض الهدنة وحبْس الأمير، وغصـب ما في بيت المال وقتل من قتلوا من حراسه»[2].

---

(1) تاريخ الطبري ج 5 ص 204، الكامل لابن الأثير ج 3 ص 102.

(2) الفتنة الكبرى لطه حسين ج 2 ص 37.

ولمّا أقبل علي إلى البصرة لم يقاتلهم، بل دعاهم إلى كتـاب الله فرفضوا وقتلوا من حمل إليهم القـرآن ومع ذلك فقد نـاداه الإمام هـو الآخر وذكـره كما فعل مع طلحة، إذ قال له:

«يا زبير أتذكر يـوم مررت مع رسول الله (ص) في بني غنم فنظر إلي فضحك وضحكت إليـه، فقلت: لا يـدع ابن أبي طـالب زهوه، فقـال لك رسـول الله (ص): صه، إنه ليس به زهو ولتقاتلنه وأنت له ظالم»[1].

وذكر ابن أبي الحديد خطبة لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب يقول فيها:

«اللهم إنّ الزبير قطع رحمي ونكث بيعتي وظاهر علي عدوي فاكفنيه اليوم بما شئت»[2].

وقد جـاء في نهج البلاغـة للإمـام علي قولـه في طلحة والـزبير: «اللهم إنّهما قطعاني وظلماني، ونكثا بيعتي وألبا النّاس عليَّ فاحلل ما عقدا، ولا تحكم لهما ما أبرما، وأرهما المساءة فيما أمـلا وعملا، ولقد استثبتهما قبل القتال واستأنيتُ بهما أمام الوقاع، فغمطا النعمة وردا العافية»[3].

و في رسـالـة منـه بعث بها إليهما قبل بـدء القتـال جاء فيهـا: فـارجعـا أيّها الشيخان عن رأيكما فإن الآن أعظم أمـركما العار من قبل أن يجتمع العـار والنار والسّلام[4].

وهذه هي الحقيقـة المؤلمة وهذه هي نهايـة الزبير ومهما يحاول بعض المؤرخين إقناعنا بأنه تذكر حديث النبي الذي ذكره به علي فتاب واعتزل القتال وخرج إلى وادي السباع فقتله ابن جرموز، فهذا لا يستقيم مع نبوءة النبي (ص) الذي قال له: «ستقاتل عليّاً وأنت له ظالم».

ويقول بعـض المؤرخين بأنه أراد الاعتـزال عندمـا ذكره الإمام علي بـالحديث ولكن ابنه عبدالله عيره بالجبن، فأخذته الحمية فرجع يقاتل حتى قتل.

(1) تاريخ الطبري في وقعة الجمل وتاريخ المسعودي وتاريخ أعثم وغيرهم.
(2) شرح النهج لابن أبي الحديد ج 1 ص 101.
(3) نهج البلاغة شرح محمد عبده ص 306.
(4) نهج البلاغة شرح محمد عبده ص 626.

وهذا أقرب للواقع وللحديث الشريف الذي فيه إخبار بالغيب من الذي لا ينطق عن الهوى.

ثم لو كان فعلاً ندم وتاب ورجع عن غيّه وظلمه، فلماذا لم يعمل بقول الرسول (ص): «من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه، وانصر من نصره وأخذل من خذله»؟

فلماذا لم ينصر علياً ولم يواله ولم يسترضه؟ وهب أنّ ذلك لا يمكنه فعله، فهلاّ خطب في الناس الذين جاء بهم للحرب وأخبرهم بأنّه استبصر إلى الحق وتذكر ما كان ناسياً، وطلب منهم أنْ يكفوا عن الحرب، فيحقن بذلك دماء الأبرياء من المسلمين؟

لكن شيئاً من ذلك لم يقع فعرفنا بأن أسطورة التوبة والاعتزال هي من خيال الوضاعين الذين بهرهم حق علي وباطل الزبير وبما أن صاحبه طلحة قتله مروان بن الحكم فاختاروا ابن جرموز لقتل الزبير غدراً حتى يتسنى لهم التأويل في مصير طلحة والزبير فلا يحرموهم من دخول الجنّة، مادامت الجنة من ممتلكاتهم يدخلون فيها من يشاؤون ويمنعون منها من يشاؤون.

ويكفينا دليلاً على كذب الرواية ما جاء في رسالة الإمام علي ودعوتهما للرجوع عن الحرب وقوله: فإن الآن أعظم أمركما العار من قبل أن يجمع العار والنار.

ولم يحدث أحد أنهما استجابا لندائه ولا امتثلا لأمره ولا رداً على رسالته.

أضف إلى كل ذلك أنّ الإمام وقبل بدء المعركة دعاهم لكتاب الله كما قدّمنا فرفضوا الامتثال وقتلوا الشاب الذي حمل لهم القرآن عند ذلك استباح عليّ قتالهم.

وإنك لتقرأ بعض المهازل عند المؤرخين فتعرف أنّ البعض منهم لا يعرفون الحق ولا يفقهون مثال ذلك: يقول بعضهم بأن الزبير لما علم بأنّ عمار بن ياسر جاء مع علي بن أبي طالب، قال: يا جدع أنفاه، يا قطع ظهراه، ثم أخذه إفكل فجعل السلاح ينتفض في يده، فقال أحد أصحابه:

ثكلتني أمي هذا الزبير الذي كنت أريد أن أموت معه أو أعيش معه؟.

والذي نفسي بيده مـا أخذ هذا ما أرى إلا لشيء قـد سمعه أو رآه من رسول الله (ص)[1]

ويقصدون بوضع هذه الروايـات بأن الزبير تذكر حديث النبي (ص) «ويح عمار تقتله الفئة البـاغية» فخاف وارتعش وارتعدت فرائصه خـوفاً من أن يكون من الفئة الباغية!

ويريد هؤلاء أن يحتقروا عقولنا ويهزؤوا منـا لكن عقولنا كاملة وسليمة بحمد الله ولا نرضى منهم بذلك، فكيف يخاف الزبير ويرتعد من حديث «عمار تقتله الفئة البـاغية» ولا يخاف ولا يرتعد من أحـاديث كثيرة قالها النبي في علي بن أبي طالـب؟ أكان عمار عند الـزبير أفضل وأشرف من علي؟! ألم يسمع الـزبير قول النبي: يا علي لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق»؟ ألم يسمع قوله: «علي مع الحق والحقّ مع علي يدور معه حيث دار» وقوله: «من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خـذله» وقوله: «يا علي أنا حرب لمن حاربك وسلم لمن سالمك» وقوله: «لأعطينّ رايتي إلى رجل يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله» وقوله: « أنا قاتلتهم على تنزيل القرآن وأنت تقاتلهم على تأويله» وقوله: «يـا علي أعهد إليك بأن تقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين».

وقـولـه... وقـوله... وآخـرهـا حـديث النبي (ص) إلى الـزبير نفسـه: «ستقاتله وأنت له ظالم» فأين الزبير من كل هذه الحقائق التي يعرفها كلّ الناس الأباعد الغرباء فكيف به وهو ابن عمة النبي وابن عمة علي؟

إنها العقول المتحجرة التـي لم تقدر على دفع الأحداث التاريخية ومـا فيها من حقائق، فتحاول بكل جهودها عبثاً أن تجد بعض الأعذار الواهية لكي تموّه على الناس وتوهمهم بأن طلحة والزبير من المبشرين بالجنة.

﴿تلك أمـانيهم قل هاتـوا بـرهانكم إن كنتم صـادقين﴾(البقرة: 111) **﴿إن الذين كذبوا بـآياتنـا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبـواب السماء ولا يدخلـون الجنة حتى يلج الجمل في سمِّ الخياط وكذلك نجزي المجرمين﴾**(الأعراف: 40).

---

(1) تاريخ الطبري ج 5 ص 205.

6 ـ سعد بن أبي وقّاص

وهو أيضاً من كبار الصّحابة السّابقين إلى الإسلام، ومن المهاجرين الأوّلين الذين شهدوا بدراً، وهو أحدِ الستّة الذين رشّحهم عمر بن الخطاب للخلافة بعده، وأحد العشرة المبشّرين بالجنّة على زعم «أهل السنّة والجماعة».

وهو بطل القادسية في خلافة عمر بن الخطاب، ويقال إنّ بعض الصّحابة كانوا يشكّون ويطعنون في نسبه ويؤذونه بذلك، ويروون أنّ النّبي (ص) أثبتَ نسبه فهو من بني زهرة.

وينقل ابن قتيبة في كتاب الإمامة والسياسة أنّ بني زهرة اجتمعوا بعد وفاة النّبي إلى سعد بن أبي وقّاص وعبد الرحمٰن بن عوف، فكانوا في المسجد الشريف مجتمعين، فلمّا أقبل عليهم أبو بكر وأبو عبيدة قال لهم عمر: مالي أراكم حلقاً شتّى؟ قوموا فبايعوا أبا بكر فقد بايعتُه وبايعه الأنصار، فقام سعد وعبد الرحمٰن ومن معهما من بني زهرة فبايعوا[1].

ويُروى أنّ عمر بن الخطاب عزله عن الولاية، ولكنّه أوصى الخليفة من بعده إن صُرفتْ الخلافة عن سعد أن يولّيَهُ، لأنّه لم يعزله عن خيانة، وقد نفّذ عثمان بن عفّان وصية عمر فولّاه على الكوفة.

ومن الملاحظ أنّ سعد بن أبي وقّاص لم يترك ثروة كبيرة بالقياس إلى أصحابه، وبلغتْ تركتُه حسب الرّواة ثلاثمائة ألف كما أنّه لم يشارك في قتل عثمان ولم يحرّض عليه كطلحة والزّبير.

روى ابن قتيبة في تاريخه قال: كتب عمرو بن العاص إلى سعد بن أبي وقّاص، يسأله عن قتل عثمان ومن قتله؟

فكتب إليه سعد: إنّك سألتني مَن قتل عثمان؟ وإنّي أخبرك أنّه قُتِلَ بسيفٍ سلّتْهُ عائشة وصقله طلحة وسمّه ابن أبي طالب وسكتَ الزّبير وأشار بيده، وأمسكنا نحن ولو شئنا دفعناه عنه، ولكنّ عثمان غيّر وتغيّر وأحسن وأساء فإن كنّا أحسنّا فقد أحسنّا، وإن كنّا أسأنا نستغفر الله، وأخبرك أنّ الزّبير مغلوب

---

(1) تاريخ الخلفاء لابن قتيبة ج 1 ص 18.

بغلبـة أهلـه وبطلبـه بـذنبـه وطلحـة لــو يجدُ أن يشقّ بطنـه من حبّ الإمـارة لشقّهُ. . .[1].

ولكن الغريب في سعـد بن أبي وقّاص أنّـه تخلّف عن بيعة أمير المؤمنين علي ولم يُعينه وهـو يعرف حقّ الإمام وفضلـه . فقد روى بنفسه عـدّة فضائل في علي منها ما أخرجه الإمام النّسائي والإمام مسلم في صحيحيهما :

قال سعد : سمعتُ رسول الله (ص) يقول في علي خصالاً ثلاثاً لئن يكون لي واحدة منهنّ أحبّ إليَّ من حمد النّعم سمعتـه يقول : إنّه منّي بمنزلـة هارون من موسى إلاّ أنّـه لا نبي بعدي وسمعته يقـول : لأعطينّ الرّاية غـداً رجلاً يحبّ الله ورسولَـه ويُحبّهُ اللهُ ورسولُه ، وسمعتـه يقول : أيّها النّاس من وليّكم؟ قـالوا : الله ورسولُـه ثلاثاً ثمّ أخذ بيـد علي فأقامه ثم قـال : مَن كان الله ورسوله وليّـهُ فهذا وليّه ، اللهمّ وال من والاه وعاد من عاداه[2].

وفي صحيح مسلم قال سعد بن أبي وقّاص : سمعتُ رسول الله (ص) يقول لعلي : أما ترضى أن تكـون منّي بمنزلة هارون من مـوسى إلاّ أنّه لا نبيَّ بعدي ، وسمعته يقول يوم خيبر: لأعطينّ الرّاية رجلاً يحبّ الله ورسولَه ويُحبّه اللهُ ورسولُه قال : فتطاولنـا لها فقال : أدعوا عليّاً . . ولمّا نـزلتْ هذه الآية ﴿فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم﴾ (آل عمران : 61) دعا رسول الله (ص) عليّاً وفـاطمة وحسناً وحسيناً فقال : اللّهمّ هؤلاء أهلي[3].

فكيف يعرف سعد بن أبي وقّاص كلّ هذه الحقائق ثمّ يمتنع عن بيعته؟!

كيف يسمع سعد قـول الرّسول (ص) : من كـان الله ورسولُه وليّـه فعليٌّ وليُّه اللّهمّ والِ مَن والاه وعـادِ مَن عـاداه ، والـذي رواه هو بنفسـه ثمّ لا يـواليـه ولا ينصره؟!

كيف يغيب على سعـد بن أبي وقّـاص حـديث الـرّسـول (ص) «مَن مـاتَ وليستْ في عنقه بيعة مـاتَ ميتة جاهليّة» الذي رواه عبـدالله بن عمر، فيموت

(1) تاريخ الخلفاء لابن قتيبة ج 1 ص 48.

(2) خصائص الإمام النسائي ص 18 وص 35.

(3) صحيح مسلم ج 7 ص 119 باب فضائل علي بن أبي طالب .

سعـد ميتة جـاهليـة نـاكباً عن بيعـة أمير المؤمنين وسيّـد الـوصيّين وقائد الغـرّ المحجّلين؟!

يـذكر المؤرّخـون بأنّ سعـداً جاء إلى الإمـام علي معتـذراً فقال: والله يـا أمير المؤمنين لاَ ريب لي في أنّك أحقّ النّاس بالخلافة وأنت أمينٌ على الدّين والدّنيا، غير أنّه سينازعك على هذا الأمـر أُناسٌ، فلو رغبتَ في بيعتي لك أعطني سيفاً له لسانٌ يقول لي خذ هذا ودع هذا!

فقال لـه علي: أترى أحـداً خالفَ القـرآن في القول أو العمل؟ لقـد بايعني المهـاجـرون والأنصـار على أن أعمل فيهم بكتـاب الله وسنّـة نبيّـه، فإن رغبتَ بايعتَ وإلاّ جلستَ في دارك فإنّي لستُ مكرهكَ عليه[1].

أليس موقف سعد بن أبي وقّاص غريباً؟! فهو يشهدُ بأنّ عليّاً لا ريب فيه، وأنّه أحـقّ النّاس بـالخلافة، وأنّه أمينٌ على الـدّين والـدّنيا ثمّ بعـد هذا يُطـالبه بسيفٍ ناطقٍ كشرطٍ على بيعته حتّى يعرف به الحقّ من الباطل؟!

أليسَ هذا تناقضـاً يرفضُه العُقلاء؟ وهل هذا إلاّ المُحال الـذي يطلبه مكابرٌ عرف الحقَّ من صاحب الرسالة (ص) في أكثر من حديث روى هو بنفسه منها أكثر من خمسة؟!

ألم يكن سعدٌ حـاضراً بيعة أبي بكـر وعمر وعثمان والتي حكمـوا في كلّ منها بقتل مَن يتخلّف عنها خوفاً من الفتنة؟

وقد بايع سعـدٌ لعثمان وانحاز إليه بدون شرط وسمع عبـد الرحمان بن عوف يُهدّد علياً مسلّطـاً السّيف فوق رأسه قـائلاً: فلا تجعل على نفسك سبيـلاً فإنّه السيف لا غير[2].

وكان حـاضراً لما امتنع عليّ عن بيعة أبي بكـر فهدّده عمر بن الخطّـاب وقال له: بايع وإلاّ والله الذي لا إله إلاّ هو نضرب عنقك[3].

(1) تاريخ أعثم ص 163.

(2) الإمامة والسياسة لابن قتيبة ج 1 ص 31.

(3) الإمامة والسياسة لابن قتيبة ج 1 ص 20.

وهل جرّأ المتخلّفين عن البيعة والذين تطـاولوا على وصيّ النّبي أمثال عبدالله بن عمر وأسامة بن زيد ومحمّد بن مسلمة ، إلاّ تخلّف سعد بن أبي وقّاص؟

وإنّك تلاحظ أنّ الأشخاص الخمسة الذين عيّنهم عمر بن الخطّاب لمنافسة علي في الخلافة قد لعبـوا بالضّبط الدّور الذي رسمـه لهم ابن الخطاب وهو منع علي من الوصـول إليها ، فهـذا عبد الرحمان يختـار للخلافـة صهره عثمان ويهدّد عليّاً بالقتل إن لم يُبايع كل ذلك لأنّ عمـر رجّح كفّة عبد الرحمان على الباقين . وبعـد موت عبـد الرحمان بن عـوف ومقتل عثمان بن عفّان لم يبقَ من المنـافسين لعلي في الخلافة إلاّ ثلاثة طلحة والزّبير وسعد .

ولمّا رأى هؤلاء بأنّ المهاجرين والأنصار هرعـوا للإمام علي وبايعوه ولم يلتفتوا لأيّ واحدٍ منهم ، عند ذلك أضمروا له الشّر وأرادوا بـه الهموم ، فحاربه طلحة والزّبير وخذله سعد .

ولا تنسَ بأنّ عثمان بن عفّـان لم يمت حتّى كـوّنَ لعلي مُنـافسـاً جديـداً هـو أخطر منهم جميعـاً وأشدّ مكراً ودَهـاء وأكثرهم عـدّة وعدداً فقد مهّـد له عثمان لـلاستيلاء على الخلافـة بأنْ ضمّ له تحت ولايتـه التي دامت عشرين عامـاً أهمّ الولايات والتي تجمع أكثر من ثلثي العائدات للدّولة الإسلامية بأسرها .

وهذا المُنـافس هو معاويـة الذي لم يكنْ لـه دينٌ ولا خلقٌ وليس له شغلٌ إلاّ الوصول إلى الخلافة بأيّ ثمن وعن أي طريق .

ومع ذلك فإنّ أمير المؤمنين عليّاً لم يجبر النّاس على البيعـة بالقوّة والإكراه كما فعل الخلفاء من قبلـه ، ولكنّه تقيّد (سـلام الله عليه) بأحكام القـرآن والسنّة ولم يغيّر ولم يبدّل أبداً ، ألم تقـرأ قوله لسعد : «لقد بايعني المهـاجرون والأنصار على أن أعمل فيهم بكتاب الله وسنّة نبيّـه ، فإن رغبتَ بايعتَ وإلاّ جلستَ في دارك فإنّي لستُ مكرهك عليه» .

هنيئاً لك يـا ابن أبي طالب يا مَن أحييتَ القـرآن والسنّة بعدمـا أماتها غيرك من قبلك ، فهذا كتاب الله يُنادي : ﴿إنّ الّذين يُبايعونك إنّما يُبايعون الله يدُ الله فـوقَ أيـديهم فمن نكث فإنّما ينكث على نفسـه ومن أوفى بما عـاهـد عليـه الله

فسيؤتيه أجراً عظيماً﴾ (الفتح: 10) وقوله تعالى: **﴿أفأنتَ تكرهُ النّاسَ حتّى يكونوا مؤمنين﴾** (يونس: 99).

فلا إكراه في الدّين، ولا بيعة بالإكراه في الإسلام، ولم يأمر اللهُ نبيَّهُ أن يُقاتلَ النّاس ليبايعوه.

وهذه سنّة النّبي (ص) وسيرته الشّريفة تحدّثنا بأنّه لم يكره أحداً من النّاس على بيعته أبداً.

ولكنّ الخلفاء والصّحابة هم الذين سنّوا تلك البدعة وهدّدوا النّاس بالقتل إنْ لم يدخلوا في بيعتهم.

وإذا كانتْ فاطمة نفسها هُدِّدَتْ بالحرق إنْ لم يخرج المتخلّفون في بيتها للبيعة! وإذا كان عليّ نفسه وهو الذي نصّبه رسول الله للخلافة يسلّطون عليه السّيف ويقسمون بالله ليقتلنّه إن لم يُبايع، فلا تسأل عن بقية الصّحابة المستضعفين، أمثال عمّار وسلمان وبلال وغيرهم.

والمهمّ أنّ سعد بن أبي وقّاص امتنع عن بيعة عليّ كما امتنع عن سبّه لما أمره معاوية بذلك كما جاء في صحيح مسلم.

ولكنّ هذا لا يكفي سعداً ولا يضمن له الجنّة، لأنّ مذهب الاعتزال الذي أسّسه تحت شعار: «أنا لستُ معك ولستُ ضدّك» لا يقبله الإسلام ولا يعترف به، لأنّ الإسلام يقول: ليس بعد الحق إلاّ الضّلال.

ولأنّ كتاب الله وسنّة رسوله قد رسما معالم الفتنة وأخبرا بها ووضعا لها حدوداً ليهلك مَن هلك عن بيّنةٍ وينجوَ مَن نجا عن بيّنة.

وقد بيّن رسول الله (ص) كلّ شيء بقوله في علي: «اللّهمّ والِ مَن والاه، وعادِ مَن عاداه، وانصر مَن نصره، واخذل مَن خذله، وأدر الحق معه حيث دار».

وقد بيّن الإمام علي الأسباب والدّوافع التي منعت سعداً من الانضمام إليه ورفضه بيعته عندما قال في الخطبة الشقشقية: «فصغى رجلٌ منهم لضغنه».

ويقول الشيخ محمد عبده في شرح هذا المقطع :

كـان سعد بن أبي وقّـاص في نفسـه شيء من علي (كرّم الله وجهـه) من قبل أخـوالــه لأنّ أمّـه حمنـــة بنت سفيـان بـن أميّـة بن عبــد شمس ولعلي في قتل صناديدهم ما هو معروف ومشهور[1].

فـالحقـد الـدّفين والحسـد أعمى بصيرة سعدٍ فلم يعـد يـرى لعلي مـا يـراه لخصومه، فقد نُقِلَ عنه أنّه لمّا ولاّه عثمان ولاية الكوفة خطب فيهم قائلاً :

«أطيعوا خير النّاس أمير المؤمنين عثمان» .

فسعد بن أبي وقّاص كان هواه مع عثمان في حياته وحتى بعد مقتله، وبذلك نفهمُ اتّهامه لعلي بالمشاركة في قتل عثمان عندمـا كتب لعمرو بن العاص بقوله : «إنّ عثمان قُتِلَ بسيف سلّتهُ عائشة وسمّه ابن أبي طالب» .

إنّه اتّهام باطلٌ يشهد التاريخ على كذبه فلم يكن لعثمان في محنته أكثر نُصحاً ومواساةً من علي . لو كان له رأيٌ يُطاع .

والذي نستخلصـه من مواقف سعـد المتخاذلـة : هو بـالضّبط ما وصفـه به الإمام علي بـأنّه صاحـب ضغينة، فهو رغـم معرفته بحـقّ علي إلاّ أنّ الضغينة والحقد وقفا حائلاً بينه وبين الحق، فبقيَ حائراً مُتحيّراً بين ضمير يوبّخه ويوقظ فيه شعلة الإيمان وبين نفسٍ مريضة أقعدتها عاداتُ الجاهليّة فصغتْ لضغنها، وتغلّبتْ نفس سعـد الأمّـارة بالسّوء على ضميره فتردّتْ بـه وأقعدتـه عن نصرة الحقّ .

والدّليل على ذلك مـا أخرجه المؤرّخون عن مواقفـه المحيّرة، ذكر ابن كثير في تاريخه قال :

«دخل سعـد بن أبي وقّاص على معـاوية بن أبي سفيـان فقال له : مـالك لم تُقاتل عليّاً؟

قال سعد : إنّي مـرّتْ بي ريحٌ مُظلمة فقلتُ : أخ، أخ وأنَختُ راحلتي حتّى انجلتْ عنّي ثمّ عرفتُ الطّريق فسرتُ .

---

(1) شرح نهج البلاغة للشيخ محمد عبده المصري ج 1 ص 88 .

فقـال معاويـة: ليسَ في كتـاب الله أخ، أخ، ولكن قال الله تعـالى: **﴿وإن طائفتـان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحـوا بينهما فإن بغتْ إحـداهما على الأخرى فقاتلـوا التي تبغي حتّى تفيء إلى أمر الله﴾** (الحجرات/ 9)، فوالله ما كنتَ مع الباغية على العادلة، ولا مع العادلة على الباغية.

فقال سعد: ما كنتُ لأقاتل رجُلاً قال له رسول الله: أنت منّي بمنزلة هارون من موسى غير أنّه لا نبيّ بعدي.

فقال معاوية: مَن سمع هذا معك؟!

فقال: فـلان وفلان وأم سلمـة، فقام معـاوية فسـأل أم سلمة فحـدّثتهُ بما حدّث سعد. فقال معاوية:

«لـو سمعتُ هـذا قبل هـذا اليـوم لكنتُ خـادمـاً لعلي حتّى يمـوتَ أو أموتُ»[1].

ونقل المسعـودي في تـاريخه مثل هـذه المحـاورة بين معـاويـة وسعـد بن أبي وقّاص. وذكـر أنّ معاوية قـال لسعد بعدما حـدَّث بحديث المنزلـة: ما كنتَ عندي قطّ ألأمَ منك الآن، فهلاّ نصرته؟ ولمَ قعدتَ عن بيعته؟ فإنّي لو سمعتُ من النّبي (ص) مثل الذي سمعتَ فيه، لكنتُ خادماً لعلي ما عشتُ[2].

وما رواه سعد بن أبي وقّاص لمعاويـة في فضل علي هو حديث واحدٌ من بين مئات الأحاديث التي تصبّ كلّها في مصبّ واحدٍ وتهدف كلّها إلى هدف واحدٍ ألا وهـو أنّ علي بن أبي طـالب هـو الشخص الـوحيـد الذي يمثّل الـرّسـالـة الإسـلامية بعـد رسـول الله (ص) ولا يقدرُ عليهـا غيره، ومـادام الأمر كـذلك فجدير بكلّ المؤمنين الصّالحين أن يخدموه طيلة حياتهم.

فليس قول معـاوية بأنّه لو سمع مثـل هذا الحديث قبل اليوم لكان خـادماً لعلي ما عاشَ، إلاّ حقّاً يفتخر به كلّ مؤمن ومؤمنة.

ولكنّ معاوية لم يقل ذلك إلاّ استهزاءً وسخـريةً من سعد بن أبي وقّاص كي يشتمه باللّؤم ويهينَه، لأنّه امتنع عن سبّ علي ولعنه ولم ينفّذ رغبته في ذلك.

---

(1) تاريخ ابن كثير ج 8 ص 77.

(2) تاريخ المسعودي المعروف بمروج الذهب في ترجمة سعد بن أبي وقّاص.

وإلاّ فإنّ معاوية يعرف أكثر من حديث المنزلة في فضل ابن أبي طالب ويعرف أيضاً بأنّه أولى النّاس بعد الرّسول وذلك ما صرّح به في الرسالة التي بعث بها إلى محمّد بن أبي بكر والتي سيأتي ذكرها إن شاء الله قريباً.

وهل امتنع معاوية عن سب ولعن أمير المؤمنين عندما علم من سعد بذلك الحديث وأكّدته له أمّ سلمة عندما سألها؟

كلاّ، إنّه تمادى في غيّه أكثر وأخذته العزّة بالإثم فأصبح يلعن عليّاً وكلّ أهل بيته وحمل النّاس على ذلك حتى شبّ عليه الصغير وهَرُمَ عليه الكبير وتواصل ذلك ثمانين عاماً أو أكثر.

﴿فمن حاجّك فيه من بعد ما جاءك من العلم، فقُل تعالوا ندعُ أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم، ثمّ نبتهلْ فنجعل لعنة الله على الكاذبين﴾ (آل عمران: 61). صدق الله العلي العظيم

7ـ عبد الرحمان بن عوف

كان اسمه في الجاهلية عبد عمرو فسمّاه النّبي (ص) عبد الرحمان وهو من بني زهرة وهو ابن عمّ سعد بن أبي وقّاص.

هو من كبار الصّحابة ومن المهاجرين الأوّلين وشهد مع النّبي (ص) المشاهد كلّها، وهو أيضاً من الستّة الذين رشّحهم عمر بن الخطّاب للخلافة، بل جعله رئيساً على مجلس الشورى والمقدّم عليهم جميعاً إذ قال: وإذا اختلفتم فكونوا في الشقّ الذي فيه عبد الرحمان بن عوف.

وهو أيضاً من العشرة المبشّرين بالجنّة في اعتقاد «أهل السنّة والجماعة».

وعبد الرحمان بن عوف كما هو مشهورٌ من التجّار الكبار في قريش والذي ترك ثروة ضخمة وأموالاً طائلة بلغتْ حسب المؤرّخين: ألف بعير ومائة فرس وعشرة آلاف شاة، وأرضاً كانت تزرع على عشرين ناضحاً، وخرجت كل واحدة من نسائه الأربع بنصيبها من المال الذي تركه فكان أربعة وثمانين ألفاً[1].

---

(1) الطبري والمسعودي وابن سعد وطه حسين وغيرهم.

وعبد الرحمان بن عوف هو صهر عثمان بن عفّان لأنّه تزوّج أمّ كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط وهي أخت عثمان لأمّه.

وقد عرفنا من خلال كتب التّاريخ أنّه لعب دوراً كبيراً لإبعاد علي عن الخلافة بشرطه الذي اشترطه عليه في تحكيم سنّة الخليفتين أبي بكر وعمر، لعلمه مسبقاً بأنّ عليّاً لا يقبلُ بذلك الشرط أبداً لأنّ سنّتهما مُخالفة للكتاب والسنّة النّبوية.

وهذا وحده يكفينا دليلاً على تعصُّب عبد الرحمان للبدع الجاهلية وبُعده عن السنّة المحمّدية ومشاركته الفعّالة في المؤامرة الكبرى للقضاء على العترة الطّاهرة وإبقاء الخلافة في حوزة قريش تتحكّم فيها كيف شاءتْ.

أخرج البخاري في صحيحه من كتاب الأحكام، باب كيف يُبايع الإمام النّاس، قال المسور: طرقني عبد الرحمان بعد هجيع من اللّيل فضرب الباب حتّى استيقظتُ، فقال: أراك نائماً فوالله ما اكتحلتُ هذه اللّيلة بكبير نوم، انطلق فادع الزّبير وسعداً فدعوتهما له فشاورهُما ثمّ دعاني فقال: أدع لي عليّاً فدعوته فناجاه حتّى ابهارّ اللّيل ثمّ قام عليٌّ من عنده وهو على مطمع، **وقد كان عبد الرحمان يخشى من عليّ شيئاً.** ثمّ قال: أدع لي عثمان فدعوته فناجاه حتّى فرّق بينهما المؤذّنُ بالصّبح.

فلمّا صلّى للنّاس من الصّبح واجتمع أولئك الرّهطُ عند المنبر فأرسل إلى مَن كان حاضراً من المهاجرين والأنصار، وأرسل إلى أمراء الأجناد وكانوا وافوا تلك الحجّة مع عمر، فلمّا اجتمعوا تشهّد عبد الرحمان ثمّ قال: أمّا بعد يا علي إنّي قد نظرتُ في أمر النّاس فلم أرَهم يَعدلونَ بعثمان، فلا تجعل على نفسك سبيلاً، ثمّ قال مخاطباً لعثمان: أبايعك على سنّة الله ورسوله والخليفتين من بعده، فبايعه عبد الرحمان وبايعه النّاسُ المهاجرون والأنصار وأمراء الأجناد والمسلمون(1).

والباحث يفهم من هذه الرّواية التي أخرجها البخاري بأنّ المؤامرة قد دُبّرَتْ بليل، ويفهم أيضاً الدّهاء الذي يتمتّع به عبد الرحمان بن عوف وأنّ اختيار عمر له لم يكن عفويّاً.

---

(1) صحيح البخاري ج 8 ص 123.

تأمّل في قول الرّاوي وهو المسور: فدعوتَ له عليّاً فناجاه ثمّ قام عليّ من عنده**وهو على مطمع**.

وهذا يدلّنا على أنّ عبد الرحمان بن عوف هو الذي أطمع عليّاً في الخلافة حتّى لا ينسحبَ عليٌّ من الشّورى المزيّفة ويتسبّب لهم في انقسام الأمّة مرّة أخرى كما وقع عقيب بيعة أبي بكر في السّقيفة، ويؤكّد صحّة هذا الاحتمال قول المسور: «**وقد كان عبد الرحمان يخشى من عليّ شيئاً**».

من أجل ذلك لعبَ عبد الرحمان دور المُراوغ المُخادع فطمأن عليّاً في اللّيل وهنّأه بالخلافة، ولمّا أصبح وحضر أُمراء الأجناد وحضر رؤوس القبائل وزعماء قريش عند ذلك انقلب عبد الرحمان ليفاجىء عليّاً بأنّ النّاس لا يعدلُون بعثمان وأنّ عليه أن يقبل وإلاّ سيجعل على نفسه سبيلاً (يعني يقتلونه إنْ رفض البيعة لمن اختاروه وهو عثمان بن عفّان).

وإنّ الباحث ليفهم ذلك بوضوح خصوصاً عندما يقرأ هذه الفقرة الأخيرة من الرّواية، يقول المسور: «فلمّا اجتمعوا تشهّد عبد الرحمان ثمّ قال: أمّا بعد يا علي إنّي نظرتُ في أمر النّاس فلم أرهم يعدلون بعثمان فلا تجعل على نفسك سبيلاً».

فلماذا يوجّه عبد الرحمان خطابه إلى علي وحده من بين الحاضرين، ولماذا لم يقل مثلاً: أما بعد يا علي ويا طلحة ويا زبير؟!

من أجل ذلك فهمنا بأنّ الأمر دُبّر بليل وأنّ الجماعة كانوا متّفقين من البداية على عثمان وإبعاد علي عنها.

ولنا أنْ نجزم بأنّهم جميعاً كانوا يخشون من عليّ لو وصل إلى الخلافة أن يعود بهم إلى العدالة والمساواة ويحيي لهم سنّة النّبي، ويُميت بدعة ابن الخطّاب في المفاضلة خصوصاً وأنّ عمر بن الخطّاب قد أشار قبل موته إلى ذلك وحذّرهم من خطر علي عليهم، فقال: «لو ولّوها الأجلح لحملهم على الجادة» والجادة هي السنّة النّبوية التي لا يحبّها عمر ولا تحبّها قريش عامّةً، ولو كانوا يحبّون سنّة النّبي لولّوا عليّاً ولحملهم عليها ولردّهم إليها، فهو نائبها والقائم عليها.

وكما قدّمنا في بحث طلحة والزّبير وسعد بأنّهم زرعوا الشوك وحصدوا الخسران والنّدامة.

فلننظر إلى عبد الرحمان بن عوف وما آل إليه تدبيره، يقول المؤرّخون بأنّ عبد الرحمان بن عوف ندم أشدّ النّدم لمّا رأى عثمان خالفَ سنّة الشيخين وأعطى المناصب والولايات إلى أقاربه وحاباهم بالأموال الطّائلة، فدخل عليه وعاتبهُ وقال: **إنّما قدّمتُك**(1) على أن تسير فينا بسيرة أبي بكر وعمر فخالفتهما وحابيتَ أهل بيتك وأوطأتهم رقاب المسلمين.

فقال عثمان: إنّ عمر كان يقطع قرابته في الله وأنا أصل قرابتي في الله، قال عبد الرحمان: لله عليَّ أن لا أكلّمك أبداً، فلم يكلّمه حتّى ماتَ وهو هاجر لعثمان، ودخل عليه عثمان عائداً له في مرضه فتحوّل عنه إلى الحائط ولم يُكلّمه(2).

وبهذا يكون الله سبحانه قد استجاب دعاء الإمام علي في عبد الرحمان كما استجابه في طلحة والزّبير فقتلا من يومهما.

يقول ابن أبي الحديد المعتزلي في شرح النهج إنّ عليّاً غضب يوم الشورى وعرف ما دبّره عبد الرحمان بن عوف فقال له:

«والله ما فعلتها إلاّ لأنّك رجوتَ منه ما رجَا صاحبكما من صاحبه، دقَّ الله بينكما عطر منشم»(3).

ويقصد الإمام علي بأنّ عبد الرحمان طمع أن يستخلفه عثمان من بعده كما فعل أبو بكر بعمر، وقد قال له علي: أحلب حلباً لك شطره واشدد له اليوم ليردَّه عليك غداً.

أما عطر منشم الذي دعا به علي عليهما فهو مَثَل سائر يُقال: أشأم من عطر منشم وهو يدلّ على النّفور والمقاتلة.

---

(1) قوله إنّما قدّمتك يدلّ على الاستبداد برأيه ولم يكن عن مشورة ولا عن اختيار النّاس له كما يزعمون.

(2) تاريخ أبي الفداء ج 1 ص 166، أنساب الأشراف للبلاذري ج 5 ص 57، العقد الفريد لابن عبد ربه المالكي ج 2 ص 261.

(3) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج 1 ص 63.

واستجـاب الله دعـاء الإمام فلم تمضِ سنـوات قليلـة حتّى ضرب الله بينهم العـداوة والبغضاء وإذا بعبـد الرحمان يُعـادي صهره ولا يكلّمـه حتّى الموت ولا يأذن له بالصّلاة على جنازته .

ويتجلّى لنا أيضاً من هذا البحث الوجيـز أنّ عبد الرحمان بن عوف هو رأس من رؤوس قـريش الـذين عملـوا على طمس السنّـة النّبـويّـة وإبـدالها ببـدع الخليفتين .

كما يتجلّى لنا بأنّ الإمام عليّاً (عليه السلام) هو الوحيد الذي ضحّى بالخلافة ومـا فيها من أجل الحفـاظ على السنّة المحمّـدية التي جـاء بها أخوه وابن عمّـه محمّد بن عبدالله صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله الطيّبين الطّاهرين .

وأنتَ أيّها القارىء الكريم لا شكّ بأنّك عـرفتَ «أهل السنّة والجماعة» على حقيقتهم ، كما عرفتَ بنفسك مَن هم أهل السنّـة ، فالمؤمن غرّ كـريم ولكنّه لا يُلدغ من جحر مرتين .

8 ـ عائشة بنتُ أبي بكر «أم المؤمنين»

هي زوج النّبي (ص) وأمّ المؤمنين . تزوّجهـا النّبي (ص) في السنة الثّـانية أو الثّالثة للهجرة وتوفّي عنها وهي ابنة ثماني عشرة سنة على أشهر الأقوال المرويّة .

وتجدر الإشـارة بأنّ كلّ امرأة تـزوّجهـا رسول الله (ص) تحمل هـذا اللّقب ، فيُقال أمّ المؤمنين خديجة وأمّ المؤمنين حفصة ، وأمّ المؤمنين ماريّة . . . إلخ

أقـول هذا لأنّي فـوجئتُ خلال حـديثي مع كثير من النّاس بأنّهم لم يفهمـوا معنى الأمومة التي لُقّبَ بها أزواج النّبي (ص) .

وبما أنّ حـديث «أهل السنّـة» كلّه عـن عائشـة إذا تحدّثـوا عن أزواج النّبي (ص) وأغلب الأحاديث النّبوية ينقلونها عن عائشة ونصف الدّين يأخذونه عن الحميراء عائشة .

فكأنّهم فَهموا من كلمة «أم المؤمنين» أنّها فضيلة تخصّها من بين سائر أزواجه عليه الصّلاة والسّلام وعلى آله .

والحال أنّ الله حرّم على المؤمنين الـزّواج بنساء النّبي بعد وفـاته بقولـه تعالى: ﴿**وما كـان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحـوا أزواجه من بعـده أبداً إنّ ذلكم عند الله عظيماً**﴾ (الأحزاب: 53). وقال أيضاً: ﴿**النّبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمّهاتهم..**﴾ (الأحزاب: 6).

وقد سبق أن أشرنا بأنّ النّبي (ص) تأذّى من قول طلحة لمّا سمعه يقول: إذا مات محمّد تزوّجت عائشة بنت عمّي.

فأراد الله سبحانـه أنْ يقول للمؤمنين بأنّ نساء النّبي حـرامٌ عليكم نكاحهن كحرمة أمّهاتكم.

مع العلم بأنّ عـائشـة كـانتْ عقيماً فلم تحمل ولم تخلّـف وكـانت من أكبر الشخصيّات التي عرفها تاريخ المسلمين، إذ أنّها لعبتْ أكبر الأدوار في تقريب البعض من الخلافـة وإبعـاد البعض عنهـا، وعملتْ على تـزكية قـوم وإقصـاء آخرين.

وشـاركت في الحروب وقادت المعـارك والـرّجال، وكـانتْ تبعث بـالرّسـائل لِرؤسـاء القبائل وتأمر وتنهى وتعزل أمـراء الجيوش وتؤمّر آخـرين وكانت قطب الرحى في معركة الجَمَل وعمل طلحة والزّبير تحت قيادتها.

ونحن لا نريدُ الإطالة في سرد أدوار حياتها فقد وافَيْنا البحث عنها في كتاب «فاسألوا أهل الذكر» فعلى الباحثين مراجعته إن أرادوا معرفة ذلك.

ولكن الذي يهمّنا في هذا البحث هو اجتهادها وتغييرها لسنّة النّبي (ص). ولا بـدّ من إبراز بعض الأمثلـة لكي نفهم من خـلال سلسلة هـؤلاء «العظماء» الذين هم مفخـرة «أهل السنّة والجماعـة» والذين يقتدون بهم ويقـدّمونهم على الأئمّة الطّاهرين من عترة النّبي (ص).

وليس ذلك في الحقيقة إلاّ نزعة قبليّـة عملتْ على محق السنّة النّبوية وطمس معالمها وإطفاء نورها، لولا وقوف علي والأئمّة من ولده لما وجدنا اليوم من سنّة النّبي شيئاً يُذكر.

وكما عـرفنا بأنّ عـائشة لم تمتثـل لسنّة رسـول الله (ص) ولم تقم لها وزناً وقـد

سمعتْ من زوجها أحاديث كثيرة في حقّ علي إلاّ أنّها أنكرتها وعملتْ بعكسها.

وعصتْ أمر الله وأمر رسوله لها بالذّات وخرجت فقادتْ حرب الجَمَل المشؤومة التي انتهكت فيها المحارم، وقتلت الأبرياء وخانت العهد في الكتاب الذي كتبتهُ مع عثمان بن حنيف وعندما جاؤوها بالرّجال مكتّفين أمرتْ بضرب أعناقهم صبراً وكأنّها لم تسمع قول النّبي (ص): «سباب المسلم فسوقٌ وقتاله كفرٌ»(1).

ودعنا من الحروب والفِتن التي أشعلت نارها أم المؤمنين وأهلكتْ بها الحرث والنسلَ، وهيّا بنا إلى تأوّلها هي الأخرى والقول برأيها في دين الله، وإذا كان مجرّد الصّحابي له رأي وقوله حجّة فكيف بمن يؤخذ نصف الدّين عنها؟!

أخرج البخاري في صحيحه من أبواب التّقصير عن الزهري عن عروة عن عائشة (رضي الله عنها) قالت: الصّلاةُ أوّل ما فرضتْ ركعتان فأُقرّتْ صلاة السّفر وأُتمّتْ صلاة الحضر. قال الزهري: فقلتُ لعروة: ما بالُ عائشة تتمّ؟ قال: تأوّلتْ ما تأوّل عثمان(2).

أفلا تعجب كيف تترك أمّ المؤمنين زوجة النّبي (ص) سنّة رسول الله التي روتها بنفسها وصحّحتها، ثمّ تتبع بدعة عثمان بن عفّان والتي كانت تحرّض على قتله بدعوى أنّه غيّر سنّة النّبي وأبلاها قبل أن يُبلى قميصه!؟

نعم ذلك ما وقع في عهد عثمان ولكنّها غيّرت رأيها في عهد معاوية بن أبي سفيان، وما أسرع أن تغيّر أم المؤمنين رأيها فقد حرّضتْ على قتل عثمان ولكنّها لمّا عرفتْ بأنّهم قتلوه وبايعوا عليّاً غيّرت رأيها وبكتْ على عثمان بكاءً شديداً وخرجتْ للطّلب بدمه هي أيضاً.

والمفهوم من الرّواية أنّها أتمّتْ صلاة السّفر وجعلتها أربع ركعات بدلاً من ركعتين في زمن معاوية الذي كان حريصاً على إحياء بدع ابن عمّه ووليّ نعمته عثمان بن عفّان.

---

(1) صحيح البخاري ج 8 ص 91 وصحيح مسلم في كتاب الإيمان.

(2) صحيح البخاري ج 2 ص 36.

والنّاس على دين ملوكهـم، وكانت عائشة من أولئك النّـاس الذين صالحوا معاويـة بعد العـداء، فهو الـذي قتل أخاهـا محمد بن أبي بكر ومثّـل به أشنع مثلة.

ومع ذلك فإنّ المصالح الـدنيوية المشتركـة تجمع الأعداء وتوحّـد الأضداد، لـذلك تقرّب إليهـا معاويـة وتقرّبتْ إليـه وأصبح يبعث لها بالهدايـا والعطايـا والأموال الطّائلة.

يقول المؤرّخـون: إنّ معاوية لمّا قدم المدينـة دخل على عائشة لـزيارتها، فلمّا قعد قـالتْ لَه: يا معاويـة أأمنتَ أنْ أُخبّىء لك من يقتلُك بأخي محمّد بن أبي بكر؟

ـ فقال معاوية: إنّما دخلتُ بيت الأمان.

فقالت: أما خشيتَ الله في قتل حجر بن عدي وأصحابه؟

فقال: إنّما قتلهم من شهد عليهم[1].

ورُويَ أيضـاً أنّ معاويـة كان يبعثُ لها بـالهدايا والثّيـاب وأشياء تـوضع في أسطوانها، وبعث لها مرّة بمائة ألف دفعة واحدة[2].

كما بعث لها مرّة أخـرى وهي بمكّة طوقـاً قيمته مائة ألف كما قضى معـاوية كلّ ديـون عـائشـة التي بلغتْ ثمانيـة عشر ألف دينـار وكلّ مـا كـانتْ تُعطيـه للنّاس[3].

وقد قـدّمنا في كتاب «فاسألـوا أهل الذكر» أنّها أعتقتْ في يـوم واحدٍ أربعين رقبةً تكفيراً عن يمينها[4].

كما أنّ الولاة والأمراء من بني أميّة كانوا يوصلونها ويبعثون لها بالهدايا والأموال أيضاً[5].

---

(1) تاريخ ابن كثير وابن عبد البر في الاستيعاب ترجمة حجر بن عدي.

(2) تاريخ ابن كثير ج 7ص 136 ومستدرك الحاكم ج 4ص 13.

(3) تاريخ ابن كثير ج 7ص 137.

(4) صحيح البخاري ج 7ص 90 من كتاب الأدب باب الهجرة.

(5) مسند الإمام أحمد بن حنبل ج 6ص 77.

وإذا بحثنا عن هذا التّقارب بين عائشة ومعاوية قلنا: متى كان البعد والعداء حتّى نقول بالتّقارب فأبو بكر هو الذي شارك معاوية في الحكم وولّاه على الشّام بعد موت أخيه ومعاوية يشعر دائماً بفضل أبي بكر عليه فلولاه لم يكن معاوية يحلم يوماً بالوصول إلى الخلافة.

ثمّ إنّ معاوية يلتقي مع الجماعة في مؤامرتهم الكبرى لمحق السنّة والقضاء على العترة، وقد تقاسموا تلك المهمّة فأحرقوا السنّة وتركوا له القضاء على العترة فأتمّ معاوية ما أوكل إليه حتّى أجبر الناس على لعن العترة، وبمؤامرته خرج الخوارج على الإمام علي وبمؤامرته قُتِل علي وبمؤامرته قُتِل الحسن بن علي وقد دَسّ له السمّ، وقضى يزيد ابنه من بعده على بقية العترة.

فليس بين معاوية وعائشة عداء وحتّى قولها أأمنتَ أنّ أخبىء لك مَن يقتلك بأخي محمّد بن أبي بكر؟ لم يكن إلّا مداعبةً وإلّا فإنّها لا تحبّ ابن الخثعميّة محمّد بن أبي بكر والذي كان يُحارب ضدّها مع علي ويستحلّ قَتْلها.

ثمّ هي تلتقي مع معاوية في بغض أبي تراب إلى أبعد الحدود وبحقد يفوق التصوّر والخيال.

ولا أدري أيّها المتفوّق في ذلك، أهو الذي حاربه وسبّه ولعنه وعمل على إطفاء نوره؟

أم هي التي عملتْ على إبعاده عن الخلافة وحاربتْه وعملتْ على محو اسمه فكانت لا تذكر اسمه ولمّا بلغها خبر قتله سَجدتْ شكراً لله؟

وقد بقيَ بغضها لولده من بعده إلى أن منعتْ أن يُدفن الإمام الحسن بجانب جدّه، وخرجتْ تصيحُ راكبة على بغلة تستنفر بني أميّة وتستعين بهم على بني هاشم قائلة: لا تدخلوا بيتي من لا أحبّ، وأرادتْ أنْ تشعل حرباً أخرى، حتى قال لها بعض أقاربها: «ألا يكفينا يوم الجَمَل الأحمر حتّى يُقال يوم البغلة الشهباء».

وهي بلا شك واكبتْ مسيرة كبيرة من حكم بني أميّة وسمعتهم يلعنون عليّاً وأهل البيت على المنابر، فما أنكرتْ ذلك ولا نهتْ عنه ولعلّها كانتْ تشجّع على ذلك من طرف خفي.

فقد أخرج أحمد بن حنبل في مسنده قال: جاء رجلٌ فوقع في علي وعمار عند عـائشة فقـالت: أمّا علي فلستُ قـائلة لك فيـه شيئاً، وأمّـا عمّار فإنّي سمعتُ النّبي يقول فيه لا يُخيّر بين أمرين إلاّ اختار أرشدهما(1).

فلا نستغرب إذاً من عائشة إذا أماتتْ سنّة النّبي وأحيتْ بدعة عثمان في إتمام الصّـلاة لإرضاء معـاوية وحكّـام بني أميّة الـذين كانـوا يتبعونها في حلّهـا وفي ترحالها ويمجّدونَها ويأخذون الدّين عنها.

كما أنّ عائشة كانتْ تفتي لهم برضاعة الكبير وكانت ترى أنّ الرّجال يمكنهم أن يرضعوا من النّساء فيصبحوا بذلك من محارمهنّ(2).

وما أخـرجه الإمـام مالك في موطأه تقشعـرّ منه جلـود المؤمنين والمؤمنات إذ يقول بأنّها كـانتْ تبعث بالرّجـال إلى أختها أم كلثوم وإلى بنات أخيهـا فيرضعوا منهنّ وتستبيح أمّ المؤمنين عائشة بعد تلك الرّضـاعة مقابلتهم بدون حجاب(3) لأنّهم على رأيها أصبحوا من مَحارمها!

وما علينا إلاّ أن نتصوّر أحد المسلمين يُفاجيء زوجتـه مع أحد الرّجال وهو يُداعب ثدييهـا بالرّضاعة فتقول زوجتُـه: إنّي أرضعه لكي يُصبح ابني ويدخلُ علينا بدون حرج.

وما على الزّوج المسكين إلاّ أن يتحمّل بدعة عائشة ولو يجد في نفسه حرجاً ممّا قضت ويسلّم تسليماً.

وأنا أُلْفِتُ الباحثين والمحقّقين إلى هذه الطّامـة فهي وحدها كافية للكشف عن الحقيقة ولمعرفة الحقّ من الباطل.

وبهذا يتبيّنُ لنا بأنّ «أهل السنّـة والجماعة» يعبـدون الله بنصوص مـا أنزل بها من سلطان، بـدون تمحيص ولا تثبيت، ولو تبيّنوا تلك البدع لنفـرتْ نفوسهم منها وتركوها طائعين.

---

(1) مسند الإمام أحمد بن حنبل ج 6 ص 113.

(2) قد وفينـا البحث في هذه المهـزلة في كتاب لأكـون مع الصّادقين في باب خـلاف عائشـة مع بقية أزواج النّبي.

(3) موطأ مالك ج 2 ص 116 باب رضاعة الكبير.

هذا ما لامستُه شخصياً عند بعض «علماء السنّة» المتحرّرين الذين عندما اطّلعوا على حديث رضاعة الكبير استغربوا وذهلوا وأكّدوا بأنّهم لم يسمعوا به أبداً.

وهذه ظاهرة سارية عند «أهل السنّة والجماعة» فكثير من الأحاديث التي يحتجّ بها الشّيعة موجودة في صحاحهم وهم يجهلونها ويكفّرون مَن يقول بها.

﴿ضربَ الله مثلاً للّذين كفروا امرأة نُوح وامرأة لوط كانتا تحتَ عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهُما فلم يُغنيا عنهما من الله شيئاً وقيل ادخلا النّار مع لدّاخلين﴾ (التحريم: 10).

9 ـ خالد بن الوليد

خالد بن الوليد بن المغيرة من بني مخزوم الملقّب عند «أهل السنّة والجماعة» بسيف الله.

أبوه من أكبر الأثرياء الذين لا يقدّر ثراؤهم بقيمة، يقول عبّاس محمود العقّاد: كان أغنى أبناء زمانه في صفوف الثّراء المعروفة بينهم كافّة، الذهب والفضّة والبساتين والكروم والتجارة والعروض والخدم والجواري والعبيد، وسُمّيَ من أجل ذلك بالوحيد(1).

وأبوه هذا هو الوليد بن المغيرة الذي نزل فيه القرآن يتوعّده بالنّار وبئس القرار، فقال تعالى في شأنه: **﴿ذرني ومن خلقتُ وحيداً * وجعلتُ له مالاً ممدوداً * وبنين شهوداً * ومهّدتُ له تمهيداً * ثمّ يطمع أن أزيد * كلاّ إنّه كان لآياتنا عنيداً * سأُرهقه صعوداً * إنّه فكّر وقدّر * فقتل كيف قدّر * ثمّ قتل كيف قدّر * ثمّ نظر * ثمّ عبسَ وبسرَ * ثمّ أدبَر واستكبر * فقال إن هذا إلاّ سحرٌ يؤثر * إن هذا إلاّ قول البشر * سأُصليه سقر...﴾** (المدثر: 11 ـ 26).

ويروى أنّ الوليد جاء للنّبي (ص) يُغريه بالأموال ليترك الدّين الجديد فأنزل الله فيه: **﴿ولا تطع كلّ حلاّف مهين * همّاز مشاء بنميم * منّاع للخير معتد**

(1) عبقرية خالد: عبّاس العقّاد ص 24.

أثيم * عتل بعد ذلك زنيم * أن كان ذا مال وبنين * إذا تُتلى عليه آياتنا قال أساطير الأوّلين * سنَسِمُهُ على الخرطوم﴾ (القلم: 10 ـ 16).

وكان الوليد يعتقد بأنّه أحقّ وأولى بالنّبوّة من محمّد فكان يقول: أينزل القرآن والنّبوّة على محمّد الفقير وأُترك أنا كبير قريش وسيّدها؟

وعلى هذه، عقيدة تربى خالد بن الوليد حاقداً على الإسلام وعلى نبيّ الإسلام الذي سفّه أحلام أبيه وقوّض عرشه فشارك خالد في الحروب كلّها ضدّ رسول الله (ص).

ولا شكّ بأنّ خالداً كان يُشارك أباه في اعتقاده بأنّه أولى بالنّبوّة من محمّد الفقير اليتيم ولأنّ خالداً كأبيه من عظماء قريش إنْ لم يكن أعظمهم على الإطلاق، فلو نزل القرآن والنّبوّة على أبيه لكان لخالد منهما النّصيب الأوفر ولورث النّبوّة والملك كما ورث سليمان داود.

وقد سجّل الله سبحانه اعتقادهم هذا بقوله:

﴿ولمّا جاءهم الحقّ قالوا هذا سحرٌ وإنّا به كافرون * وقالوا لولا نُزّلَ هذا القرآنُ على رجُلٍ من القريتين عظيم﴾ (الزخرف: 30 ـ 31).

فلا غرابة أنْ يعمل كلّ ما في وسعه للقضاء على محمّد ودعوته وقد رأيناه يجهّزُ جيشاً كبيراً بما أتاح له الثّراء في غزوة أُحُد ويكمنُ للنّبي (ص) مُحاولاً القضاء عليه، وقد حاول أيضاً عام الحديبيّة أن يغتال النّبي (ص) ولكنّ الله سبحانه أفشل مخطّطاته كلّها فباءت بالفشل ونصر نبيَّه في المواطن كلّها.

ولمّا عرف خالد كغيره من عظماء قريش بأنّ رسول الله (ص) لا يُقهر، ورأى النّاس يدخلون في دين الله أفواجاً، عند ذلك استسلم للأمر الواقع وفي نفسه حسرة، فكان إسلامه متأخّراً إلى السّنة الثامنة للهجرة وقبل فتح مكّة بأربعة شهور.

ودشّن خالد إسلامه بمخالفة أوامر الرّسول (ص) حيث نهاهم عن القتال فدخل خالد إلى مكّة يوم الفتح بعدما قتلَ أكثر من ثلاثين رجلاً أغلبهم من قُريش وكان النّبي (ص) أوصاهم بأن لا يقتُلوا أحداً.

ومهما اعتذر المعتذرون عن خالد بأنّه صُدَّ عن الدّخول إلى مكّة وبأنّهم شهروا في وجهه السّلاح، فهذا لا يُبيح له القتال بعد نهي النّبي عنه، وكان بوسعه أن يرجع إلى باب آخر فيدخله بدون قتال، كما فعل الآخرون، أو أن يبعث للنّبي (ص) يستشيره في قتال الذين منعوه الدّخول.

ولكن شيئاً من ذلك لم يكن، واجتهد خالد برأيه مقابل النّص الذي سمعه من رسول الله (ص).

وما دمنا نتحدّث عن الاجتهاد مقابل النّص والذي أصبح له أنصار ومؤيّدون، أو قُل أصبحتْ له مدرسة قائمة تخرَّجَ منها عُظماء الصحابة والمشرّعون وسُمّيتْ فيما بعد بمدرسة الخلفاء، لا بدّ لنا من الإشارة هنا بأنّ الاجتهاد بهذا المعنى هو معصيةُ الله ورسوله لا غير، ولأنّنا ألِفْنا اصطلاح الاجتهاد مقابل النّص فأصبح وكأنّه أمرٌ مشروع. وفي الحقيقة يجب أن نقول: وعصى خالدٌ أمر النّبي بدل أن نقول: واجتهد خالد برأيه مقابل النّص كما علّمنا القرآن عندما قال: **﴿وعصى آدم ربّه فغوى﴾** (طه: 121)، لأنّ الله نهاه عن الأكل من الشّجرة ولأنّ آدم أكلَ منها، فلا نقول: فاجتهد آدمُ برأيه مقابل النّص.

ويجب على المسلم أن يقف عند حدّه ولا يقول برأيه في مسألةٍ وردَ فيها أمرٌ أو نهيٌ منَ الله أو من رسوله، لأنّ ذلك هو الكفر الصّريح.

قال الله للملائكة: **﴿اسجدوا لآدم﴾**، فهذا أمرٌ، **﴿فسجدوا﴾** (طه/ 116)، وهذا إيجابٌ وامتثال وطاعة.

إلاّ إبليس فإنّه اجتهد برأيه فقال: أنا خيرٌ منه فكيف أسجد له؟ وهنا عصيانٌ وتمرّد، بقطع النّظر عمّن هو خير، آدم أمْ إبليس؟

ولذلك قرّر سبحانه: **﴿ما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى اللهُ ورسولُه أمراً أنْ يكون لهم الخيرة﴾** (الأحزاب: 36).

وإلى هذا أشار الإمام جعفر الصّادق عندما قال لأبي حنيفة: لا تقسْ فإنّ

الشريعة إذا قيستْ مُحِقَتْ، وإنّ أوّل من قاسَ إبليس عندما قال: أنا خيرٌ منه خلقتني من نار وخلقته من طين.

وقوله: إنّ الشّريعة إذا قيستْ مُحِقَتْ هو أحسن تعبير للدّلالة على فساد القياس، فلو استعملَ النّاس آراءهم المختلفة مقابل النّصوص فلا ولن يبقَ للشّريعة أثر. ولو اتّبع الحقُّ أهواءهم لفسدت السماوات والأرض.

ونعود بعد هذا العرض الوجيز للاجتهاد لنقول في هذه المرّة بأنّ خالد بن الوليد عصى أمر رسول الله (ص) مرّةً أخرى عندما بعثه إلى بني جذيمة يدعوهم إلى الإسلام ولم يأمره بقتال.

فذهب إليهم وأوقع فيهم وغدر بهم بعدما أعلنوا إسلامهم وقتلهم صبراً، حتّى اتّهمه عبد الرحمان بن عوف ـ الذي حضر معه تلك الوقعة ـ بأنّه إنّما قتلهم ليثأر لعمّيه اللذين قتلهما بنو جذيمة[1].

ولمّا سمع رسول الله (ص) بتلك الوقعة الشّنيعة تبرّأ إلى الله ممّا صنع خالد ثلاث مرّات، ثمّ أرسل إليهم علي بن أبي طالب بأموال كثيرة فودّى لهم كلّ الدّماء التي أهرقها خالد.

ومهما يعتذر المعتذرون من «أهل السنّة والجماعة» عن خالد بن الوليد، فإنّ صفحات تاريخه حافلة بالمآسي والمعاصي لكتاب الله وسنّة رسوله، ويكفي الباحث أن يقرأ تاريخه وما فعله في اليمامة أيام أبي بكر، وغدره بمالك بن نويرة وقومه وكيف قتلهم صبراً وهم مسلمون ودخل بزوجة مالك ونكحها في ليلتها ولم يراعِ في ذلك شرع الإسلام ولا مروءة العرب.

حتّى أنّ عمر بن الخطّاب مع تساهله في الأحكام إلاّ أنّه شنّع عليه وسمّاه عدوّ الله وتوعّده بالرّجم.

---

(1) أخرج اليعقوبي في تاريخه ج 2 ص 61 أن عبد الرحمان بن عوف قال: والله لقد قتل خالد القوم وهم مسلمون، فقال خالد: إنما قتلتهم بأبيك عوف بن عبد عوف، فقال له عبد الرحمان: ما قتلت بأبي ولكنّك قتلت بعمّك الفاكه بن المغيرة.

أنظر رعاك الله: إن خالداً لم ينكر قتله للقوم وهم مسلمون بل اعترف بأنه قتلهم بعوف والد عبد الرحمان فهل يحق في دين الله أن يقتل قومٌ برجل واحدٍ وهل يجوز قتل المسلمين برجل كافرٍ.

وعلى الباحثين أنْ يراجعوا التّاريخ بعين البصيرة ومن وجهة النّقد البنّاء الذي يوصلهم إلى الحقيقة بكلّ تجرّد وحياد ولا تأخذهم العصبيّة المذهبيّة فيقوّموا الأشخاص من خلال الأحاديث المكذوبة على النّبي (ص)، لأنّ «أهل السنّة والجماعة» وهم بنو أميّة في الواقع يمسحونَ الأحداث التاريخيّة بحديث واحدٍ يضعونه من عندهم ليقطعوا به الطّريق على الباحثين فلا يصلون إلى الحقيقة.

وما أسهل أن يقول أحدُهم: قال رسول الله لخالد بن الوليد: «مرحباً بسيف الله»، فيأخذ هذا الحديث المكذوب مأخذه من نفوس المسلمين الأبرياء الذين يُحسنُون الظّن ولا يعرفون خفايا الأمور ودسائس الأمويّين، فيتأوّلُون بعد هذا الحديث الموضوع كلّ ما يُقال في خالد من حقائق ويلتمسون لها أعذاراً.

وهذا ما يُسمّى بالتّأثير النّفسي على الأشخاص وهو الدّاء العضال الذي يحجب الإنسان عن الحقّ ويقلب الواقع تماماً.

خذ لذلك مثلاً، أبا طالب عمّ النّبي (ص) قيل إنّه مات على الكفر وإنّ النّبي قال فيه: أبو طالب في ضحضاح من نارٍ يغلي منها دماغه.

ومن أجل هذا الحديث المكذوب يعتقد «أهل السنّة والجماعة» بأنّ أبا طالب مشرك وهو في النّار ولا يتقبّلون بعد ذلك التحليل العقلي الذي يوصلهم إلى الحقيقة وبهذا الحديث تُنسف كل حياة أبي طالب وجهاده في سبيل الإسلام من أجل دعوة ابن أخيه حتّى عاداه قومه وعاداهم إلى أنْ رضيَ بالحصار في شعب مكّة لمدّة ثلاث سنين مع ابن أخيه يأكل خلالها أوراق الشّجر، وتنسفُ كل مواقفه البطوليّة وأشعاره العقائديّة في نصرة دعوة النّبي، وكذلك يُعفَى كلّ ما فعله النّبي في حقّ عمّه وكيف غسّله وكفّنه في قميصه ونزل في قبره وسمّى ذلك العام بعام الحزن وقال: والله ما نالت منّي قريش إلاّ بعد موت أبي طالب، وإنّ الله أوحى إليّ أن اخرج منها فقد مات ناصرك، فهاجر من مكة في يومه.

وخذ لذلك مثلاً أبا سفيان بن حرب والد معاوية، قيل إنّه أسْلم بعد فتح مكّة وقال النّبي فيه: «مَن دخل دار أبي سفيان فهو آمنٌ».

ومن أجل هذا الحديث الذي ليس فيه فضلٌ ولا فضيلة يعتقد «أهل السنّة

والجماعة» بأنّ أبا سفيان أسلم وحَسُنَ إسلامه وهو في الجنّة لأنّ الإسلام يجبُّ ما قبله.

ولا يتقبّلون بعد ذلك التحليل العقلي الذي يوصلهم إلى الحقيقة، وبهذا الحديث أيضاً يُعفى كلّ ما فعله أبو سفيان تجاه صاحب الرّسالة ودعوته، وتُنسى كلّ الحروب التي قادَها وموّلها للقضاء على محمّد، ويُنسى حقده وبغضه للنّبي حتّى أنّه لمّا جاؤوا به وقالوا له أسلم وإلاّ ضربنا عنقك قال: أشهد أنّ لا إله إلاّ الله، فقالوا: قل: أشهد أنّ محمّداً رسول الله فقال: أمّا هذه ففي نفسي شيء منها.

وكان إذا اجتمع بالنّبي بعد استسلامه يقول في نفسه: بأيّ شيء غلبني هذا؟ فيقول له النّبي (ص) بالله غلبتك يا أبا سفيان.

فهذان مَثَلان ضربتُهما من واقعنَا الإسلامي حتّى يتبيّنَ للباحثين مفعول التأثير النّفسي على النّاس وكيف يحجُبُهم عن الحقّ، ومن هذا نفْهمُ بأنّ «أهل السنّة والجماعة» غلّفُوا الصّحابة بهالة من الأحاديث المكذوبة أكسبتهُم حصانةً وقداسة في نفوس الغافلين فلم يعودوا يتقبّلون فيهم نقد النّاقدين ولومة اللاّئمين.

وإذا اعتقد المسلمُ بأنّ هؤلاء بشَّرَهم رسول الله بالجنّة فلا يتقبّل بعد ذلك فيهم أي قولٍ وكلّ ما فعلوه يهون ويلتمس لهم فيه أعذارٌ أو تأويلاتٌ هذا إذا لم يغلق الباب من أوّله.

ولذلك وضعوا لكلٍّ واحدٍ من كُبرائهم لقباً نسبوه للرسول (ص) فهذا صديقٌ وهذا فاروقٌ وهذا ذو النّورين، وهناك حِبّ رسول الله وهناك حواري رسول الله وهناك حبيبة رسول الله، وهناك أمين الأمة وهناك راوية الإسلام، وهناك كاتب الوحي، وهناك صاحب النّعلين، وحجّام الرّسول وسيف الله المسلول، وغير ذلك.

وكلّها في الحقيقة لا تُسمن ولا تغني من جوع في ميزان الحقّ عند الله إنْ هي إلاّ أسماءٌ سمّيتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان إنّما الذي ينفعُ عند الله ويضرُّ هو الأعمال.

والتّاريخ هو خير شاهـد على الأعمال وبها نُقيّم شخصيّة الإنسان وقيمته ولا نقيّم الإنسانَ ممّا يقالُ فيه كذباً وبُهتاناً.

وهي بالضبط مقـولة الإمام علي: إعـرف الحقّ تعرف أهله. وبما أنّنـا درسنا التّاريخ وعرفنا ما فعله خالد بن الوليد وعرفنا الحقّ من الباطل فلا يمكن لنا أن نسمّيـه سيف الله. ويحقّ لنـا أن نسأل متـى لقّبـه رسول الله بـذلك، هل سمّاه سيف الله عندما قتل أهل مكّة يوم الفتح وقد عرفنا بأنّه (ص) نهاه عن القتال؟ أمْ عندما بعثه مع سرية زيد بن حارثـة إلى مؤتة وقال: إذا قتل زيد، فجعفر بن أبي طالب وإذا قتل جعفـر فعبدالله بن رواحة، ولم يعيّنه حتّى في المرتبـة الرابعة لقيادة الجيش، وبعـد مقتل الثلاثة لاذ خالـد بالفرار من المعـركة بمن بقي من الجيش؟

أم لقّبه بسيف الله عنـدما خـرج معه إلى غـزوة حنين صحبة اثني عشر ألف مقاتل فأعطـى بالأدبار وولّى هـارباً تـاركاً رسول الله في المعـركة ومعـه اثنا عشر رجُلاً؟

وإذا كان الله يقول: ﴿**ومن يولّهم يومئذ دُبره إلاّ مُتحرّفاً لقتال أو متحيّزاً إلى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنّم وبئس المصير**﴾ (الأنفال: 16).

فكيف يسمحُ لسيفه بالهروب؟ إنّه حقّ أمرٌ عجيب!

وأنا أعتقد أنّ خـالداً لم يكن يعرف هذا اللّقب في حيـاة النّبي أصلاً ولم يقله رسول الله أبـداً، وغاية ما هنـاك أنّ أبا بكر هـو الذي أعطى لخالد هذا الـوسام عندمـا بعثه لإسكـات الثّائرين عليـه من أجل الخلافة وفعل بهم مـا فعل ونقم عليه عمـر بن الخطاب وقال لأبي بكر: «إنّ في سيف خـالد لرهقاً» وهـو أعرف النّـاس به وأقـربهم إليه، عنـد ذلك قال أبـو بكر لعمـر: إنّ خالـداً سيفٌ من سيوف الله سلّه على أعدائه، إنّه تأوّل فأخطأ، (ومن هنا جاء هذا اللّقب).

وأخرج الطبري في الرّياض النضرة أنّه كان في بني سليم ردّة فبعث إليهم أبو بكـر خـالـد بن الـوليـد فجمع رجـالاً منهم في الحضـائر وأضرم عليهم النّـار فأحرقهم، فبلغ ذلك عمر بـن الخطّاب فأتى أبا بكر فقال: تـدع رجُلاً يعذّب بعذاب الله عزّ وجلّ؟

فقال أبو بكـر: والله لا أشيمُ سيفاً سلَّهُ اللهُ على عدوّه حتّى يكـون هو الذي يشيمه، ثمّ أمره فمضى من وجهه إلى مسيلمة[1].

ومن هنا سمّى «أهل السنّة والجماعة» خـالداً بـ «سيف الله المسلُول» ولو أنّ خالداً عصى أمرَ الرّسول وحرق النّاس بالنّار ضارباً بالسنّة عرض الجدار.

فقـد أخرج البخـاري في صحيحـه أنّ رسـول الله (ص) قال: «إنّ النّـار لا يُعذِّبُ بها إلاّ الله»، وقوله أيضاً: «لا يعذب بالنّار إلاّ ربّها»[2].

وقـد قدّمنـا أنّ أبـا بكر كـان يقـول قبل موتـه: يـا ليتني لم أحرق الفجـاءة السّلمي!

ونحن نقـول يا ليتَ سـائلاً يسأل عمـر بن الخطـاب ويقول لـه: إذا كنتَ تعرف أنّـه لا يعذِّب بـالنّار إلاّ الله، فلماذا أقسمتَ غداة وفـاة الرّسـول لتحرقنّ بيت الـزهـراء بمن فيهـا أو يخرجـوا للبيعة؟! ولـولا تسليم علي وأمـره الجماعـة بالخروج للبيعة لنفّذت فيهم مُرادك.

وإنّ الشّك يُداخلني بعض الأوقات فأستبعد أن يكون عمر يُعارضُ أبا بكر فلا يلتفتُ إليـه وإلى معارضته، فهذا غريـبٌ. وقد رأينا أبا بكر لا يقـفُ بوجه عمر ولا يثبت أمام معـارضته حتّى قال له غير مرّة: لقـد قلتُ لك بأنّك أقوى منّي على هذا الأمر فغلبتني ومرّة أخرى لمّا اشتكـى إليه المؤلّفة قلوبهم فِعْلَ عمر بـالكتاب الـذي كتبه إليهم وأنّـه بصق فيـه ومزّقـه، وسألوه: أأنت الخليفـة أم عمر؟ فقال: بل هو إن شاء الله.

ولـذلك أقـول: لعلّ المُعارض لَـه في أفعـال خـالد البَشِعـة هـو علي بن أبي طـالب، ولكنّ المؤرّخين الأوّلين والرّواة كـانـوا كثيراً ما يتحـاشـون ذكر اسمـه فأبـدلـوه بعمر، كما وردت بعض الـروايـات المسنـدة إلى أبي زينب أو إلى رجلٍ ويقصدون به علياً ولا يصرّحون بذلك.

وليس هـذا إلاّ مجرّد احتمال، أو أنّنا نقبل قـول بعض المؤرّخين بأنّ عمـر بن

(1) الرياض النضرة للطّبري ج 1 ص 100.
(2) صحيح البخاري ج 4 ص 325.

الخطّاب كان يبغـض خالداً ولا يطيق رؤيته لأنّـه يغار منه فقد استهـوى خالد قلوب النّاس بما حقّقه من انتصارات ويُقال بـأنّ خالداً صارع عُمر في الجاهلية فغلبه وكَسَر رجله.

والمهمّ أنّ عمر عـزل خالداً يوم تـولّى الخلافة ولكن لم يُقم عليه الحدّ بـالرّجم كما توعّده بذلك.

وبالنّتيجـة إنّ خالـد بن الوليـد وعمر بن الخطّـاب كانـا مترادفين في الشدّة والغطرسـة كلّ منهما فظّ غليظ القلب عمل كلٌ منهما على مخالفة السنّة النّبـوية وعصيـان النّبي (ص) في حياتـه وبعد وفـاته، كما كـان كلّ منهما يبغضُ وصيّ النّبي ويعمل على إبعاده، وقـد تآمر خـالد مع عمر وأبي بكـر على اغتيال علي عقيب وفـاة النّبي[1] ولكنّ الله سبحـانـه وتعـالى نجّـاهُ منهم ليقضيَ أمـراً كـان مفعولاً.

ومرّة أخـرى يتّضح لنا بعد دراسـة موجزة لشخصيّة خـالد بن الوليـد الذي يتغنّى به «أهل السنّة والجماعة» بأنّهم أكثر بُعـداً عن السنّة النّبوية وهم يقتدون بمن خالفها ونبذها وراء ظهره ولم يراع لها ولا لكتابِ الله حرمة ولا احتراماً.

10 ـ أبو هريرة الدّوسي

هو من الصّحـابة المتأخّرين عن الإسلام وعلى حسب تـرتيب الطّبقات لابن سعد فهو يُعدّ من الطبقة التّاسعة أو العاشرة.

قـدم على رسـول الله (ص) في آخر السّنـة السّـابعـة للهجرة وبـذلك يقـول المؤرّخـون بأنّ صحبته للنّبـي (ص) لم تتجاوز ثـلاث سنين[2] على أكثر تقـدير ومنهم من ينزل بتلك الصّحبـة إلى أقل من سنتين باعتبـار أنّ النّبي (ص) بعثه مع ابن الحضرمي إلى البحرين فتُوفي رسول الله (ص) وهو بالبحرين.

ولم يكن أبو هريرة من الّذين عُرِفـوا بجهاد أو شجاعة ولا من أولئك الدّهاة المفكّرين ولا من الفقهـاء الحافظين ولم يكن يعرف القراءة والكتابـة، وقدم على

---

(1) يراجع في ذلك كتاب الاحتجاج للطبرسي.

(2) صحيح البخاري ج 4 ص 175 في ما رواه أبو هريرة عن نفسه باب علامات النّبوة.

رسول الله (ص) على ملء بطنه كما صرّح هو بذلك وكما فهم النّبي منه ذلك عندما أسكنه في أهل الصفة وكلّما جيء للنّبي بصدقة من الأكل بعث بها إليهم، وكان كما يروي هو عن نفسه كثير الجوع فيعترض طريق الصّحابة ويمثّل دور المصروع طمعاً في أن يُدخلوه إلى بيوتهم ويُطعمُوه.

ولكنّه اشتهر بكثرة الأحاديث التي يرويها عن رسول الله (ص) فبلغَت مرويّاتُه ما يقرب من ستّة آلاف حديث، وهذا ما ألفتَ نظر المحقّقين إليه ولأنّه مع قلّة الصّحبة روى أحاديث ووقائع لم يحضرها أبداً.

وجمع بعض المحقّقين مجموع مرويّات الخلفاء الرّاشدين والعشرة المبشّرين وأمّهات المؤمنين وأهل البيت ا الطّاهرين. فلم تبلغ كلّها عشر معشار ما رواه أبو هريرة بمفرده، (مع العلم بأنّ من هؤلاء علي بن أبي طالب الذي صاحب النّبي ثلاثين عاماً).

ومن ثمّ توجّهتْ إلى أبي هريرة أصابع الاتّهام ووصفته بالكذب والوضع والتّدليس وقالوا بأنّه أوّل راوية اتُّهم في الإسلام.

ولكنّ «أهل السنّة والجماعة» يُلقّبونه بـ «راوية الإسلام» ويحترمونه كثيراً ويحتجّون به ولعلّ البعض منهم يعتقد بأنّه أعلم من علي وذلك لحديث يرويه هو عن نفسه قال: قلتُ يا رسول الله إنّي أسمع منك حديثاً كثيراً أنْساه قال: أبسط رداءَك فبسطته قال فغرف بيديه ثمّ قال: ضمّهُ فضممتُه فما نسيتُ شيئاً بعده[1].

وأكثر أبو هريرة الرّواية عن رسول الله (ص) حتّى ضربه عمر بن الخطّاب بالدرّة وقال له: قد أكثرتَ من الرّواية وأحر بك أن تكون كاذباً على رسول الله. وذلك لرواية رواها أنّ الله خلق السّماوات والأرض والخلق فعدّ سبعة أيّام، فلمّا سمع بذلك عمر دعاه وطلب منه إعادة الحديث فلمّا أعاده ضربه عمر وقال: يقول الله في ستة أيّام وأنت تقول في سبعة؟ فقال أبو هريرة: علّني سمعته من كعب الأحبار، فقال عمر: مادمتَ لا تفرّق بين أحاديث النّبي وكعب الأحبار فلا تحدّث[2].

---

(1) صحيح البخاري ج 1 ص 38 من كتاب العلم باب حفظ العلم وكذلك ج 3 ص 2.
(2) أنظر كتاب أبي هريرة لمحمود أبو رية المصري.

كما يُروى أنّ الإمام علي بن أبي طالب قال: ألا إنّ أكذب الأحياء على رسول الله أبو هريرة الدّوسي[1].

كما أنّ عائشة أمّ المؤمنين كـذّبتهُ عدّة مرّات في عدّة أحـاديث كان يرويها عن رسول الله، فأنكرتْ عليه مرّةً وقالتْ له: متى سمعتَ رسول الله يقول ذلك؟

فقـال لها: لقـد شغلك عن حـديث رسـول الله (ص) المرآة والمكحلـة والخضـاب، ولمّا أصرّتْ على تكـذيبه وشهّـرتْ بـه، وتـدخّل مـروان بن الحكم وتثبّت من صحّة الحديث اعترف عنـد ذلك أبو هريرة وقـال: إنّي لم أسمعه من رسول الله (ص) وإنّما سمعتُه من الفضل بن العبّاس[2].

وفي هذه الرّواية بالخصوص اتّهمه ابن قتيبة وقال فيه: لقد استشهد أبو هريرة بالفضل بن العبّـاس بعد موته، ونسبَ الحديـث إليه ليوهم النّاسَ بأنّـه سمعه منه[3].

كما قال ابن قُتيبة في كتابة «تأويل مختلف الحديث»: «كان أبو هريرة يقول: قال رسول الله (ص) كذا وكذا، وإنّما سمعته من غيره».

كما أنّ الذّهبي أخـرج في كتابـه «أعلام النّبـلاء» بأنّ يزيد بن إبـراهيم سمع شعبة بن الحجّاج يقول: كان أبو هريرة مدلّساً.

وجاء في كتـاب «البداية والنّهايـة» لابن كثير أنّ يزيد بن هـارون سمع شعبة يقول فيه ذلك أيضاً يعني كان مدلّسـاً، وكان يروي ما سمعه من كعب الأحبار ومن رسول الله (ص) ولا يميّز بين هذا وهذا.

كما أنّ أبا جعفر الإسكافي قال: أبو هريـرة مدخولٌ عند شيوخنا غير مرضي الرواية[4].

---

(1) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج 4 ص 28.
(2) صحيح البخاري ج 2 ص 232 باب الصائم يصبح جنباً وموطأ مالك ج 1 ص 272.
(3) سير أعلام النّبلاء للذّهبي.
(4) شرح ابن أبي الحديد المعتزلي ج 4 ص 68.

وقد اشتهر أبو هريرة في حياته من بين الصّحابة بالكذب والتدليس والإكثار من الأحاديث الموضوعة حتّى أن بعضهم كان يستهزيء به ويطلب منه وضع الأحاديث لما يريد.

فقد رُوِيَ أنّ رجلاً من قريش لبسَ جبّةً جديدة وأخذ يتبختر فيها ومرّ بأبي هريرة فقال له: يا أبا هريرة إنّك تكثر الحديث عن رسول الله (ص) فهل سمعته يقول في حلتي هذه شيئاً؟

فقال أبو هريرة: سمعتُ أبا القاسم يقول: إنّ رجلاً ممّن كان قبلكم بينما كان يتبختَرُ في حُلّته إذ خسف الله به الأرض فهو يتجلجلُ فيها حتى تقوم الساعة، فوالله ما أدري لعلّه كان من قومك ورهطك[1].

وكيف لا يشكّ النّاسُ في روايات أبي هريرة إذا كانت متناقضة، فقد يروي حديثاً ثمّ يروي نقيضه وإذا عارضوه واحتجّوا عليه بما رواه سابقاً، يعرضُ عنهم أوْ يَرطن بالحبشيّة[2].

وكيف لا يتّهمونه بالكذب والوضع وقد شهد هو على نفسه بأنّه يُحدِّث من جُعبته وينسبه للنّبي (ص).

أخرج البخاري في صحيحه أنّ أبا هريرة قال: قال النّبي (ص): أفضل الصّدقة ما ترك غنىً واليد العليا خيرٌ من اليد السُّفلى، وابدأ بمن تعول، تقول المرأة إمّا أن تُطعمني وإمّا أن تُطلّقني، ويقول العبد أطعمني واستعملني ويقول الابن أطعمني إلى من تدَعُني، فقالوا: يا أبا هريرة سمعت هذا من رسول الله (ص)؟!

فقال: لا هذا من كيس أبي هريرة[3].

أنظر كيف يبدأ الحديث بقوله: قال النّبي (ص) ثمّ بعد ذلك عندما يُنكرُون عليه ويستفهمونه، يعترف بوضعه ويقول هو من كيس أبي هريرة!

---

(1) البداية والنهاية ج 8 ص 108.

(2) صحيح البخاري ج 7 ص 31 باب لا هامة.

(3) صحيح البخاري ج 6 ص 190 باب وجوب النّفقة على الأهل والعيال.

فهنيئاً لأبي هـريرة بهذا الكيس المليء بالأكـاذيب والأساطير والذي وجـد له رواجـاً عنـد معاويـة وبني أميّـة واكتسب من ورائه الجاه والسّلطـان والأمـوال والقصور فقـد ولاّه معاوية ولايـة المدينة المنوّرة وبنى لـه قصر العقيق وزوّجه من المرأة الشريفة التي كان أبو هريرة يخدمها .

وإذا كان أبـو هريـرة وزير معاويـة المقرّب فليس ذلك لفضلـه ولا لشرفه أو علمه ولكنّـه كان يجد عنده الأحـاديث التي يريـدها ويروّجهـا وإذا كان بعض الصّحابة يتلكّأون في لعن أبي تراب ويجدون في ذلك حـرجاً ، فإنّ أبا هريرة لعن علياً في عقر داره وعلى مسمع من شيعته .

روى ابن أبي الحديد قال : لمّا قـدم أبو هريرة العراق مع معاويـة عام الجماعة جاء إلى مسجد الكوفة ، فلمّا رأى كثـرة من استقبله من النّاس جثا على ركبتيه ، ثمّ ضربَ صلعتَـه وقـال : يا أهل العـراق أتـزعمـون أنّي أكذب على رسـول الله وأحرق نفسي بالنّار ، والله لقد سمعتُ رسـول الله يقول : إنّ لكلّ نبي حرماً وإنّ حـرمي بالمدينـة مـا بين عير إلى ثور ، فمن أحـدث فيها حـدثـاً فعليه لعنـة الله والملائكة والنّاس أجمعين ، وأشهد أنّ علياً قد أحدثَ فيها .

فلمّا بلغ معاوية قوله أجازه وأكرمه وولاّه المدينة[1] .

ويكفينـا دليلاً أنّـه كان واليـاً على المدينـة من قبل معاويـة ، ولا شكّ في أنّ المحقّقين والباحثين الأحرار سيشكّـون في كلّ من تولّى عدوّ الله ورسـوله وعادى وليّ الله ورسوله .

ولا شكّ في أنّ أبا هـريرة لم يصل إلى ذلك المنصب الـرّفيع وهو ولايـة المدينة عـاصمة الإسـلام ، إلاّ للخدمـات التي أسـداها لمعـاويـة وحكّام بني أميّـة ، وسبحان مقلّب الأحوال فقـد جاء أبو هريـرة إلى المدينة عُريانـاً ليس له إلاّ نمرة يسترُ بها عورتَه ويستجدي المارّة ليسدّوا رمقه والقمل يجري فوق جلده .

وإذا بـه فجأة يُصبح والي المدينـة المنوّرة يسكن قصر العقيـق وعنده الأمـوال والخدم والعبيد ولا يتكلّم النّاس إلاّ بإذنه .

---

(1) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج 4 ص 67 .

كلّ ذلك من بـركات كيسـه ، فـلا تنسَ ولا تتعجّب فإنّك ترى اليـومَ نفس المسرحيّات تتكرّر والتـاريخ يعيد نفسه فكم من مُعدم جـاهل تقرّب إلى الحاكم وانخـرط في الحزب فأصبح سيداً مُهـاباً يُقيم الـدّنيا ويُقعِـدُها ، يصـول ويجولُ وتحت تصرّفه الأموال التي لا تخضع للحساب والسيّارات التي لا تخضعُ للرّقابة والمأكـولات التي لا تُباع في الأسـواق ومع كلّ ذلك فهو لا يُحسن الكـلام حتى بلغته ولا يفهم من معاني الحياة غير بطنه وفرجه غاية ما هنالك أنّ له كيساً مثل كيس أبي هريرة مـع وجود الفارق طبعاً . ولكن الهدف واحد هـو إرضاء الحاكم والترويج له لدعم ملكه وتثبيت عرشه والقضاء على أعدائه .

وقد كان أبو هريرة يحبّ الأمويّين ويحبّونه من زمن عثمان بن عفّان زعيمهم . فكان رأيه في عثمان مخالف لكلّ الصّحابة من المهـاجرين والأنصار، فهو يكفّر الصّحابة الذين شاركوا في قتل عثمان وألّبوا عليه .

ولا شكّ بأنّـه كـان يتّهم علي بن أبي طـالب بقتـل عثمان ، ونفهم ذلك من حديثـه في مسجد الكـوفة وقولـه بأنّ عليّاً أحـدث في المدينة ويلعنـه على لسان النّبي والملائكة والنّاس أجمعين .

ولذلك ينقُل ابـن سعد في طبقاتـه أنّه لمّا ماتَ أبـو هريـرة سنة 59 كان ولد عثمان بن عفّـان يحملـون سَريـره حتّى بلغوا البقيع حفظـاً بما كـان من رأيـه في عثمان(1) .

وإنّ لله في خلقه شـؤوناً ، إذ يموت عثمان بن عفّـان سيد قـريش وعظيمها مقتـولاً ويذبح ذبح النّعـاج وهـو خليفة المسلمين الـذي لقّبـوه بذي النّـورين والـذي تستحي منه الملائكـة كما يـزعمون ، ولا يُغسّل ولا يكفّن ويعطّل دفنـه ثلاثة أيام ثم يدفن في مقبرة اليهود .

ويموت أبـو هريرة الـدّوسي في العزّ والجاه وقد كـان مُعدماً ولا يعـرف أحدٌ قومَه ولا عشيرتَه وليس له في قريش قرابة ، فيحمله أولاد الخليفة الذين أصبحوا في عهد معاوية ولاة الأمور ويدفنونه في بقيع رسول الله !

وهلمّ بنا الآن إلى أبي هريرة لنعرف موقفه من السنّة النّبوية .

---

(1) طبقات ابن سعد ج 2ص 63 .

أخرج البخاري في صحيحه عن أبي هريرة قال: حفظتُ عن رسول الله (ص) وعاءين فأمّا أحدُهما فبثثتهُ وأمّا الآخر فلو بثثتُه قُطِعَ هذا البلعوم[1].

وإذا قُلنا في الأبحاث السّابقة أنّ أبا بكر وعمر قد أحرقا السنّة النّبوية المكتوبة ومنعا المتحدّثين من نقلها، فها هو أبو هريرة يفصِحُ بهذا الحديث عن المكنون ويؤكّد ما ذهبنا إليه، ويعترف بأنّه ما كان يحدّث إلاّ بما يروق الخلفاء الحاكمين.

وعلى هذا الأساس فإنّ أبا هريرة كان يملكُ كيسين أو وعاءين أحدهما كان يبثّه وهو الذي تحدّثنا عنه وفيه ما يشتهيه الحاكمون.

وأمّا الوعاء الثّاني الذي كتمهُ أبو هريرة ولم يحدّث به خوفاً من أن يقطع بلعومه فهو الذي يحوي الأحاديث الصّحيحة للنّبي (ص).

ولو كان أبو هريرة ثقةً ما كان ليكتُمَ الأحاديث الحقيقية ويبثّ الأوهام والأكاذيب لتأييد الظّالمين، وهو يعلم بأنّ الله لعن من يكتم البيّنات.

فقد أخرج له البخاري قوله: إنّ النّاس يقولون: أكثرَ أبو هريرة، ولولا آيتان في كتاب الله ما حدّثت حديثاً، ثمّ يتلو: إنّ الذين يكتُمون ما أنزلنا من البيّنات والهدى من بعد ما بيّنّاه للنّاس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاّعنون، وإنّ إخواننا من المهاجرين كان يشغلهم الصّفق بالأسواق وإنّ إخواننا من الأنصار كان يشغلهم العمل في أموالهم، وإنّ أبا هريرة كان يلزم النّبي بشبع بطنه ويحضر ما لا يحضرون ويحفظ ما لا يحفظون[2].

فكيف يقول أبو هريرة: لولا آيتان في كتاب الله ما حدّثتُ حديثاً، ثم يقول هنا حفظت عن رسول الله وعاءين فأمّا أحدُهما فبثثتُه وأمّا الوعاء الثّاني لو بثثتُه قُطِعَ هذا البلعوم! وهل هذه إلاّ شهادة منه بأنّه كتم الحقَّ رغم الآيتين في كتاب الله؟!

---

(1) صحيح البخاري ج 1 ص 38 باب حفظ العلم.

(2) صحيح البخاري ج 1 ص 37 باب حفظ العلم.

وإذا كان النّبي (ص) قال لأصحابه: ارجعوا إلى أهليكم فعلّموهم[1] وقال: ربّ مُبلّغ أوعى من سامع. وأخرج البخاري أنّ النّبي حرّض وفد عبد القيس على أن يحفظوا الإيمان والعلم ويخبروا به مَن وراءَهم[1].

فهل لنا أن نتساءل وهل للباحثين أن يتساءلوا لماذا يُقتَلُ الصّحابي عندما يتحدّث بحديث النّبي (ص) ويُقطع منه البلعوم؟!

فلا بدّ أنّ هناك سرّاً لا يُحبُّ الخلفاء إفشاءَهُ وقد أشرنا إلى ذلك السرّ في الأبحاث السّابقة من كتاب «فاسألوا أهل الذكر» ونوجز هنا بأنّه يتعلّق بالنّص على خلافة علي.

وليس اللّوم على أبي هريرة فقد عرف قدره وشهد على نفسه بأنّ الله لعنه ولعنه اللاّعنون إذ كتم حديث النّبي.

ولكنّ اللّوم على «أهل السنّة والجماعة» الذين يجعلون من أبي هريرة راوية السنّة، وهو يشهد بأنّه كتمها ويشهد بأنّه دلّسها وكذب عليها ويشهد أيضاً بأنّها اختلطتْ عليه فلم يعرف حديث النّبي من حديث غيره.

وهذا كلّه من أحاديث واعترافات صحيحة جاءتْ في صحيح البخاري وغيره من صحاح «أهل السنّة والجماعة».

كيف يطمئنّون لرجلٍ طعن في عدالته أمير المؤمنين علي بن أبي طالب واتّهمه بالكذب فقال: إنّه أكذب الأحياء على النّبي، واتّهمه عمر بن الخطّاب وضربه وهدّده بالنّفي، كما طعنتْ فيه عائشة وكذّبته عدّة مرّات، وطعن فيه كثير من الصّحابة وردّوا أحاديثه المتناقضة فكان يعترف مرّة ويرطن بالحبشيّة أخرى وطعن فيه كثير من علماء الإسلام واتّهموه بالكذب والتدليس والتكالب على موائد معاوية وذهبه وفضّته.

فكيف يصحّ بعد كلّ هذا أن يصبح أبو هريرة راوية الإسلام ويأخذون عنه أحكام الدّين؟

وقد أكّد بعض العلماء المحقّقين بأنّ أبا هريرة هو الذي أدخل في الإسلام

(1) صحيح البخاري ج 1 ص 30.

عقائد اليهود والإسرائيليات التي ملأت كتب الحديث، أو أنّ كعب الأحبار اليهودي هو الذي أدخلها عن طريقه وبواسطته، فجاءت روايات تشبيه الله وتجسيمه ونظرية الحلول، والأقوال المنكرة في الأنبياء والمرسلين كلّها عن أبي هريرة.

فهل يتوب «أهل السنّة والجماعة» إلى رشدهم ليعرفوا عمّن يأخذون السنّة الحقيقيّة وإذا ما سألوا فنقول لهم: تعالوا إلى باب مدينة العلم والأئمّة من بنيه فهم حفظة السنّة وهم أمان الأمة وهم سفينة النّجاة وهم أئمّة الهدى ومصابيح الدّجى وهم العروة الوثقى وحبل الله المتين.

11 ـ عبدالله بن عمر

هو من مشاهير الصّحابة الذين كان لهم دورٌ كبير في سير الأحداث التي وقعت في زمن الخلفاء الثّلاثة وفي عهد بني أميّة، ويكفي أنّ أباه عمر بن الخطّاب ليكون عند «أهل السنّة والجماعة» معظّماً ومحبوباً، فهم يعدّونه من أكبر الفقهاء ومن حفّاظ «الأحاديث النّبويّة»، حتّى أنّ الإمام مالكاً اعتمد عليه في أكثر أحكامه، كما أنّه أشبع كتاب الموطّأ من أحاديثه.

وإذا تصفّحنا كتب «أهل السنّة والجماعة» وجدناها حافلة بذكره والثّناء عليه.

غير أنّنا عندما نقرأ ذلك بعين الباحث البصير يتبيّن لنا بأنّه كان بعيداً عن العدالة وعن الصّدق وعن السنّة النّبويّة وعن الفقه وعلوم الشريعة.

وأوّل ما يُلفتُ انتباهنا هُو عداؤه الشّديد وبغضُه لسيد العترة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وصل به إلى حدّ الوقيعة فيه واعتباره من سوقة النّاس.

وقد قدّمنا فيما سبقَ بأنّه روّج أحاديث مكذوبة مفادُها أنّهم كانوا يُفاضلون على عهد النّبي (ص) وعلى مسمع منه بأنّ أفضل النّاس أبو بكر ثمّ عمر ثمّ عثمان ثمّ النّاس بعد ذلك سواء، فيسمع ذلك النّبي ولا ينكِره[1].

---

(1) أخرجه البخاري ومسلم ومالك وغيرهم.

وهو كما ترى كذبٌ مفضوح يضحك منه العقلاء وقد بحثنا عن حياة عبدالله بن عمر في حياة النّبي (ص) فوجدناه شابّاً صغيراً لم يبلغ الحلم ولم يكن له مع أهل الحلّ والعقد شأنٌ يذكر ولا رأيٌ يُسمع، وقد تُوفّي رسول الله (ص) وعبد الله بن عمر في التاسعة عشر من عمره على أحسن التقادير.

فكيف يقول والحالُ هذه: كنّا نُفاضِلُ في عهد النبي؟ اللّهمّ إلاّ إذا كان ذلك حديث الصّبيان فيما بينهم من أولاد أبي بكر وعثمان وإخوته هو، ومع ذلك فلا يصحّ أنْ يُقال كان النّبي (ص) يسمعُ ذلك فلا ينكرهُ! فدلّ ذلك على كذب الحديث وسوء النّوايا.

أضف إلى ذلك أنّ النّبي (ص) لم يأذن لعبدالله بن عمر بالخروج معه إلاّ في غزوة الخندق وما بعدها من الغزوات إذ بلغ عمره خمسة عشر عاماً[1].

فلا شكّ أنّه حضر غزوة خيبر التي وقعتْ في السنة السابعة للهجرة النّبوية، ورأى بعينيه هزيمة أبي بكر وكذلك هزيمة أبيه عمر، وسمع بلا شكّ قول الرّسول (ص) عند ذلك: «لأعطينّ الرّاية غداً إلى رجل يحبُّ الله ورسولَه ويُحبّهُ الله ورسوله كرّاراً ليس فرّاراً امتحن الله قلبه للإيمان» ولمّا أصبح أعطاها لقاطع اللذّات ومفرّق الجماعات ومفرّج الكُربات وصاحب الكرامات أسد الله الغالب علي بن أبي طالب[2].

وقد أبانَ حديث الرّاية هذا فضل علي وفضائله على سائر الصّحابة وعلوّ مقامه عند الله ورسوله وفوزَه بمحبّة الله ورسوله. ولكنّ بغض عبدالله بن عمر شاء أن يجعل عليّاً من سوقة النّاس!

وقد قدّمنا بأنّ «أهل السنّة والجماعة» عملوا بهذا الحديث الذي أوحاه إليهم سيّدهم عبدالله بن عمر، فلم يعدّوا علي بن أبي طالب ضمن الخلفاء الرّاشدين، كلاّ ولم يعترفوا بخلافته إلاّ في زمن أحمد بن حنبل كما أثبتناه، عندما افتضحوا في عهد كثُر فيه الحديث والمحدّثون، وبدأتْ أصابع الاتّهام تتوجّه

(1) صحيح البخاري كتاب الشهادات باب بلوغ الصّبيان ج 3 ص 158.
وكذلك صحيح مسلم كتاب الإمارة باب سن البلوغ.

(2) ذكر حديث الرّاية كلّ من البخاري ومسلم والترمذي والنسائي والإمام أحمد وأبو داود وكلّ المحدّثين.

إليهم وتُوصمهم بالنّصْبِ والبغض لأهل البيت النّبوي، وقد عرف المسلمون كلّهم بأنّ بغض علي من أكبر علامات النّفاق.

عند ذلك اضطرّوا للقول بخلافة علي وألحقوه بركب الرّاشدين وتظاهروا بمحبّة أهل البيت زوراً وبهتاناً.

وهل من سائل يسأل ابن عمر، لماذا اختلف المسلمونَ كلّهم أو جلّهم بعد وفاة النّبي (ص) فيمن يستحقّ الخلافة ومن هو أولى بها فاختلفوا في علي وأبي بكر فقط ولم يكن لأبيه عمر ولا لابن عفّان سوق رائجة في ذلك العهد؟

وهل من سائل يسأل ابن عمر، إذا كان النّبي (ص) يقرّك على رأيك، فلا يعدل بأبي بكر أحداً ثمّ عمر ثمّ عثمان، فلماذا ولّى عليهم قبل وفاته بيومين شاباً لا نبات بعارضيه أصغر منك سنّاً وأمرهم بالسّير تحت إمرته وقيادته؟ أتراه يهجُر كما قال أبُوك؟

وهل من سائل يسأل ابن عمر، لماذا قال المُهاجرون والأنصار غداة بيعة أبي بكر لفاطمة الزّهراء: والله لو أنّ زوجك وابن عمّك سبق إلينا قبل أبي بكر ما كنّا نعدل به أحداً، وهو اعتراف من كبار الصّحابة بأنّهم لا يعدلون بعلي أحداً، لولا ما سبقت بيعتُهم التي سمّوها فلتةً. فما هي قيمة رأي عبدالله بن عمر المراهق المغرور الذي لا يعرف كيف يطلّق زوجته من آراء كبار الصّحابة؟

وأخيراً هل من سائل يسأل عبدالله بن عمر، لماذا اختار جلّ الصّحابة علي بن أبي طالب للخلافة بعد مقتل عمر وقدّموه على عثمان، لولا رفضه شرط ابن عوف في الحكم بسنّة الشيخين[1]؟

ولكنّ عبدالله بن عمر تأثّر بأبيه، فقد عاش خلافة أبي بكر وخلافة عمر وخلافة عثمان وهو يرى علي بن أبي طالب مُبعداً، ليس له في الجماعة مجلسٌ ولا في الحكومة منصبٌ وقد تحوّلتْ عنه وجوه النّاس بعد وفاة ابن عمّه (ص) وزوجته سيّدة النّساء وليس عنده ما يطمع النّاس فيه.

---

(1) تاريخ الطبري ج 5 ص 40، تاريخ الخلفاء للسيوطي ص 104، تاريخ ابن قتيبة وكذلك مسند أحمد، ج1 ص 75.

ولا شكّ في أنّ عبدالله بن عمر كان أقرب النّاس لأبيه فكان يسمع آراءه ويعرف أصدقاءه وأعداءه، فشبّ على ذلك البغض والحقد والكراهية لعلي خاصّة ولأهل البيت عامّة وترعرع وكبر على ذلك، حتّى إذا رأى يوماً عليّاً وقد بايعه المهاجرون والأنصار بعد مقتل عثمان، فكبر ذلك عليه ولم يتحمّله وأظهر المكنون من حقده الدّفين فرفض أن يُبايع إمام المتّقين ووليّ المؤمنين ولم يتحمّل البقاء في المدينة فخرج إلى مكّة مدّعياً العمرة.

ونرى بعد ذلك عبدالله بن عمر يعمل كلّ ما في وسعه لتثبيط النّاس وفكّ عزائمهم ليحجموا عن نصرة الحقّ ومقاتلة الفئة الباغية التي أمر الله بمقاتلتها حتّى تفيء إلى أمر الله. فكان من الخاذلين الأوّلين لإمام زمانه المفترض الطّاعة.

وبعد مقتل الإمام علي وتغلّب معاوية على الإمام الحسن بن علي وانتزاع الخلافة منه، خطب معاوية في النّاس قائلاً: «إنّي لم أقاتلكم لتصلّوا أو تصوموا وتحجّوا ولكنْ قاتلتكم لأتأمّر عليكم وقد أعطاني الله ذلك».

نرى عبدالله بن عمر يُسارع عند ذلك إلى بيعة معاوية بدعوى أنّ النّاس اجتمعوا عليه بعدما كانوا متفرّقين!

وأنا أعتقد بأنّه هو الذي سمّى ذلك العام بعام الجماعة فهو وأتباعه من بني أميّة أصبحوا «أهل السنّة والجماعة» من ذلك الوقت وحتّى قيام السّاعة.

وهل من سائل يسأل ابن عمر ومن يقولُ بمقالته من «أهل السنّة والجماعة» متى حصل الإجماع على خليفة في التّاريخ كالذي حصل لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب؟

فخلافة أبي بكر كانت فلتةً وقى الله شرّها وقد تخلّف عنها كثير من الصّحابة.

وخلافة عمر كانت بدون مشورة بل بعهد من أبي بكر ولم يكن للصّحابة فيها رأي ولا قولٌ ولا عمل.

وخلافة عثمان كانت بالثّلاثة الذين اختارهم عمر بل تمّتْ باستبداد عبد الرحمان بن عوف وحده.

أمّا خلافة علي فكانت ببيعة المهاجـرين والأنصار لَه بدون فرض ولا إكراه، وكتب ببيعته إلى الآفاق فأذعنوا كلّهم إلاّ معاوية من الشّام(1).

وكان من المفـروض على ابن عمر و «أهل السنّة والجماعة» أن يقتلـوا معاوية بن أبي سفيـان الذي شقّ عصـا الطّاعـة وطلب الخلافة لنفسـه، وذلك حسب الرّوايات التي أخـرجوها في صحاحهم من أنّ رسـول الله (ص) قال: إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما(2).

وقال (ص) كما جاء في صحيح مسلم وغيره: «مَن بايع إماماً فأعطاه صفقة يـده وثمـرة قلبه فليعطِـه إن استطـاع، فإنْ جـاء آخـر ينـازعه فـاضربـوا عنق الآخر»(3).

ولكنّ عبـدالله بن عمر عكس الآيـة تمامـاً وبدلاً من الامتثـال لحديث النّبي وأوامره ومقاتلة معاوية وقتله لأنّـه نازع خليفة المسلمين وأشعل نار الفتنة، نراه يمتنع عن بيعة علي التي أجمع عليهـا المسلمون ويبايع معاويـة الذي شقّ عصا الطّاعة ونازع الإمام وقتل الأبرياء وتسبّب في فتنة بقيت آثارها إلى اليوم.

ولذلك أعتقـد بأنّ عبدالله بن عمـر قد شارك معـاوية في كلّ مـا ارتكبه من جرائم ومـوبقات وآثـام، لأنّه شيّـد ملكه وأعـانه على التسلّـط والاستيلاء على الخلافة التـي حرّمهـا الله ورسوله على الطّلقـاء وأبناء الطّلقـاء، كما ورد ذلك في الحديث الشريف.

ولم يكتفِ عبدالله بن عمر بذلك فحسب، بل سارع لبيعة يزيد بن معاوية، يزيد الخمور والفجور والكفر والفسوق الطّليق ابن الطّليق واللّعين ابن اللّعين.

وإذا كان عمر بـن الخطّاب كما ذكره ابن سعد في طبقاتـه يقول: «لا تصلح الخلافة لطليق ولا لولد طليق ولا لمسلمة الفتح»(4)، فكيف يخالف عبدالله أباه

(1) ابن حجر في فتح الباري ج 7ص 586.
(2) صحيح مسلم ج 6 ص 23،مستدرك الحاكم ج 2 ص 156،سنن البيهقي ج 8ص 144.
(3) صحيح مسلم وسنن البيهقي وسنن ابن ماجه.
(4) الطبقات الكبرى لابن سعد ج 3ص 248.

في هذا المبدأ الذي سطّره من قبل، وإذا كـان عبدالله بن عمر يخالف كتاب الله وسنّة رسوله في أمر الخلافة فلا نستغربُ أن يعمل بعكس رأي أبيه.

ثمّ هل لنـا أن نسأل عبـدالله بـن عمـر: أي إجماع وقع على بيعـة يـزيـد بن معاوية وقـد نبذه صلحاء الأمة وبقيّـة المهاجرين والأنصار ومنهـم سيّد شباب أهل الجنّة الإمام الحسين بن علي وعبدالله بن الزّبير وعبدالله بن عبّاس وكلّ من سار معهم ورأى رأيهم؟

والمعروف أنّه هو نفسه كان من المعارضين لبيعة يزيد في البداية ولكنّ معاوية عرف كيف يستميلهُ فأرسل إليه مائة ألف درهم فقبلها، فلمّا ذكر له البيعة لابنه يزيد قال ابن عمر: هذا ما أراد؟ إنّ ديني إذن عليّ لرخيص[1].

نعم لقد باع عبدالله بن عمر دينـه بثمن رخيص كما شهد بذلك على نفسه، وهرب من بيعـة إمام المتّقين وأسرع لبيعة إمـام الباغين معاوية وإمـام الفاسقين يـزيد، وكما تحمّل أوزار تلك الجرائم التـي سبّبها حكم معـاويـة الظّالم، فإنّـه يتحمّل بلا شـكّ أوزار جرائم يزيـد وعلى رأسها انتهـاك حُرمـة رسول الله وقتل ريحانتـه سيد شبـاب أهل الجنّـة وعترة النّبي (ص) والصـالحين من أبناء الأمـة الذين قتلهم في كربلاء وفي وقعة الحرّة.

ولم يكتفِ عبـدالله بن عمر بهذا الحدّ من البيعـة إلى يزيـد فحسب بل عمل على حمل النّاس عليها وردّهم إليها وخوّف كلّ من تحدّثه نفسه بالخروج عليها.

فقـد أخرج البخـاري في صحيحه وغيره من المحـدّثين بأنّ عبدالله بن عمـر جمع ولده وحشمه ومـواليه ـ وذلك عندمـا خلع أهل المدينة يزيد بـن معاوية ـ فقال لهم: إنّا بايعنا هذا الرّجل على بيعة الله ورسوله[2] وإنّي سمعتُ رسول الله (ص) يقول: إنّ الغـادر ينصبُ له لواء يوم القيـامة فيقال: هذه غـدرة فلان،

---

(1) أنساب الأشراف للبلاذري ج 5 ص 31، والاستيعاب لابن عبد البر ج 2 ص 396، وأسد الغابة، ج 3، ص 289.

(2) هل أمر الله ورسوله ببيعة الفسّاق والمجرمين؟ أم أنّه أمر ببيعة أوليائه الصّالحين فقال: ﴿إنّما وليّكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون﴾؟

وإنّ من أعظم الغدر بعد الإشراك بالله أن يبايع رجلٌ رجلاً على بيع الله ورسوله ثم ينكث بيعته[1] ولا يخلعنّ أحدٌ منكم يزيد ولا يشرفنّ أحدٌ منكم في هذا الأمر فيكون صيلماً بيني وبينه[2].

ولقد قوي بطش يزيد بموالاة عبد الله بن عمر له وتحريضه النّاس على بيعته، فجهّز جيشاً بقيادة مسلم بن عقبة من أكابر الفاسقين وأمره بالسّير إلى مدينة الرّسول وأباح له أن يفعل فيها ما يشاء فقتل عشرة آلاف من الصّحابة وسبى نساءهم وأموالهم وقتل سبعمائة من حفاظ القرآن على ما يذكره البلاذري، وهتك الحرمات من الحرائر المسلمات حتى ولدن من سفاح أكثر من ألف مولود، وأخذ منهم البيعة على أنّهم كلّهم عبيد لسيّده يزيد.

أفلم يكن عبدالله بن عمر شريكه في كلّ ذلك إذ عمل على دعمه وتأييده؟ أترك الاستنتاج في ذلك إلى الباحثين!

ولم يقف عبدالله بن عمر عند هذا الحدّ بل تعدّاهُ إلى بيعة مروان بن الحكم الوزغ اللّعين والطّليق الفاجر الذي حارب عليّاً وقتل طلحة وفعل الأفاعيل، من حرق بيت الله الحرام ورميها بالمجانيق حتّى هدم ركنها، وقتل فيها عبدالله بن الزّبير، وأعمال أخرى يندى لذكرها الجبين.

ثمّ يذهب ابن عمر في البيعة أشواطاً ويذهب إلى بيعة الحجّاج بن يوسف الثّقفي الزنديق الأكبر الذي كان يستهزىء بالقرآن ويقول ما هو إلاّ رجز الأعراب، ويفضّل على رسول الله سيّده عبد الملك بن مروان، الحجّاج الذي عرف بوائقهُ الخاصّ والعامّ حتّى قال المؤرّخون بأنّه انتقض كلّ أركان الإسلام.

ذكر الحافظ بن عساكر في تاريخه أنّ رجلين اختلفا في الحجّاج قال أحدهما: هو كافر، وقال الثاني: بل هو مؤمن ضالّ، ولمّا تعاندا سألا الشعبي عنه

(1) ليت ابن عمر قال هذا لطلحة والزبير اللذين نكثا بيعتهما لعلي وحارباه وليت «أهل السنّة والجماعة» عملوا بهذا الحديث في تقسيم الرّجال! وإذا كان نكث البيعة من أعظم الكبائر الذي تأتي بعد الإشراك، فما هو مصير طلحة والزبير اللذين لم ينكثا البيعة فقط ولكنّهما هتكا الأعراض وقتلا الأبرياء ونهبا الأموال وخانا العهد؟؟؟

(2) صحيح البخاري ج 1 ص 166، مسند أحمد ج 2 ص 96، سنن البيهقي ج 8 ص 159.

فقال: إنّه مؤمن بالجُبتِ والطّاغوت وكافر بالله العظيم[1].

هذا الحجّاج المجرم المنتهك لما حرّم الله والـذي يذكر المؤرّخون بأنّه أسرف في القتل والتعذيب والتمثيل بصلحاء الأمـة والمخلصين وخصوصاً منهم شيعة آل محمّد، فإنّهم لاقوا منه ما لم يُلاقوه من غيره.

يقول ابن قتيبـة في تاريخه بأنّ الحجّـاج قتل في يوم واحـدٍ بضع وسبعين ألفاً حتّى سالتْ الدّماء إلى باب المسجد وإلى السّكك[2].

ويقـول الترمذي في صحيحـه: أحصى ما قتـلَ الحجّاجُ صبراً فـوجد مـائة وعشرون ألفاً[3].

ويقول ابن عساكر في تاريخه بعـد ذكر من قتلهم الحجّاج: ووجدَ في سجنه بعد موته ثمانون ألفاً منهم ثلاثون ألف امرأة[4].

وكان الحجّـاج يشبّه نفسه بـربّ العزّة والجلالة فإذا مـرّ قرب السّجن وسمع نداء المسجونين واستغاثتهم له يقول لهم: إخسأوا فيها ولا تكلّموني.

هذا الحجّـاج الذي تنبّأ بـه رسول الله (ص) قبـل وفاته فقـال: إنّ في ثقيف كذّاباً ومُبيراً. والغريب أنّ راوي هذا الحديث هو عبدالله بن عمر نفسه[5]!

نعم لقد تـركَ عبدالله بن عمر بيعـة خير البشر بعد النّبي ولم ينصره ولم يصلّ وراءه، فأذلّه الله سبحـانه وذهب إلى الحجّاج يقـول: سمعتُ رسول الله (ص) يقول: «مَنْ مات وليست في عنقـه بيعة مات ميتة جاهلية». فـاحتقره الحجّاج اللّعين وأعطـاه رجلـه قائلاً: إنّ يـدي مشغـولـة فبايعـه، وكـان يصلّي خلف الحجّاج الزّنديق وخلْف واليه نجدة بن عامر رأس الخوارج[6].

ولا شكّ بأنّ عبدالله بن عمر اختار الصّلاة وراء هؤلاء لأنّهم كانوا مشهورين

---

(1) تاريخ ابن عساكر ج 4ص 81.

(2) تاريخ الخلفاء لابن قتيبة ج 2ص 26.

(3) صحيح الترمذي ج 9ص 64.

(4) تاريخ ابن عساكر ج 4ص 80.

(5) صحيح الترمذي ج 9ص 64 ومسند أحمد بن حنبل ج 2ص 91.

(6) الطبقات الكبرى لابن سعد ج 4ص 110 والمحلّى لابن حزم ج 4ص 213.

بشتم ولعن علي بعد كلّ صلاة. فكان ابن عمر يشفي غليله ويروي حقده الدّفين وهو يسمعُ ذلك فيرتاح قلبه ويهدأ روعه.

ولذلك نجد مذهب «أهل السنّة والجماعة» يفتون بالصّلاة وراء البرّ والفاجر، وراء المؤمن والفاسق وذلك استناداً لما فعله سيّدهم وفقيه مذهبهم عبدالله بن عمر في صلاته وراء الحجّاج الزّنديق والخارجي نجدة بن عامر.

أمّا ما قاله الرّسول (ص): يؤمُّ القومَ أقرؤهم لكتاب الله، فإن كانوا في القراءة سواء فأعلمهم بالسنّة، فإن كانوا في السنّة سواء فأقدمهم هجرة، فإن كانوا في الهجرة سواء فأقدمهم سلماً[1]. فيضربُ به عرض الجدار.

وليستْ هذه الخصال الأربعة ـ حفظ القرآن، وحفظ السنّة، وقدم الهجرة، وقدم الإسلام ـ ولا واحدة منهنّ توجد في هؤلاء الذين بايعهم ابن عمر وصلّى بإمامتهم لا معاوية ولا يزيد ولا مروان ولا الحجّاج ولا نجدة الخارجي.

وهذه طبعاً من السّنن النّبوية التي خالفها عبدالله بن عمر وضرب بها عرض الجدار وعمل بعكسها تماماً إذْ أنّه ترك سيد العترة الطّاهرة علياً الذي اجتمعت فيه كلّ هذه الخصال وأكثر منها فنبذه وراء ظهره ويمّم وجهه شطر الفسّاق والخوارج والملحدين أعداء الله ورسوله واقتدى بصلاتهم!

وكم لعبدالله بن عمر فقيه «أهل السنّة والجماعة» من مخالفات لكتاب الله وسنّة رسوله (ص). ولو شئنا لجمعنا في ذلك كتاباً مُستقلاً، ولكنْ يكفينا ذكر بعض الأمثلة من كُتبهم وصحاحِهم حتّى تكون حجّتنا بالغة.

خلاف عبدالله بن عمر للكتاب والسنّة

قال الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿فقاتلوا التي تبغي حتّى تفيء إلى أمر الله﴾ (الحجرات: 9) وقال الرّسول (ص): «يا علي أنت تقاتل بعدي النّاكثين والقاسطين والمارقين».

فيخالف عبدالله بن عمر نُصوص القرآن والسنّة النّبوية كما يخالف إجماع

(1) صحيح مسلم ج 2 ص 133، صحيح الترمذي ج 6 ص 34، سنن أبي داود ج 1 ص 96.

الأمة من المهاجـرين والأنصار الذين قاتلوا مع أمير المؤمنين، ويقـول برأيه: لا أقاتل في الفتنة وأصلّي وراء من غلَب(1).

كما ذكر ابن حجر بأنّ عبدالله بن عمر كـانَ من رأيه ترك القتال في الفتنة ولو ظهر أنّ إحدى الطّائفتين مُحِقّة والأخرى مُبطلة(2).

عجيبٌ والله أمرُ عبدالله بن عمر الذي يرى الحقّ مع طائفة ويرى الباطل مع الأخـرى ثـمّ لا يتحرّك لنصرة الحقّ على البـاطل ولا لردْع البـاطل حتى يفيء إلى أمر الله، ويصلّي وراء الغالب ولو كان باطلاً! وهو ما وقع فعلاً من ابن عمر.

فقد تغلّبَ معاويـة وقهر الأمة وتولّى عليها رغم أنفها فجاء ابـن عمر فبايعه وصلّى خلفَه رغم ما فعله معاوية من جرائم وبوائق تفوق التصوّر ولا تخفى على ابن عمر.

وقد تغلّب أهل الباطل من أئمّة الجور بكثرتهم على أهل الحقّ وهم أئمّة أهل البيت فأُبعدوا وقام الطلقـاء والفسّاق والمجرمون الضّالّون يحكمـون الأمة بالقوّة والقهر.

فترك ابن عمر الحقّ بكـامله فلم يُسجّل لـه التّاريخ صحبـة ولا مودّة لأهل البيت وقد عـاصر منهم خمسة أئمّة، فلم يصلّ وراء واحـدٍ منهم، ولم يروِ عن واحد منهم حديثاً ولم يحدّث ولم يعترف لواحد منهم بفضل ولا فضيلة.

وقد عـرفنا ـ في فصل الأئمّة الاثنـي عشر من هذا الكتاب ـ رأيـه في الخلفاء الاثني عشر على حدّ زعمـه فقد صحّح خلافـة أبي بكر وعمر وعثمان ومعـاوية ويزيد والسفّاح وسلام والمنصور وجابر والمهدي والأمين وأمير العصب، قال: هؤلاء الاثنا عشر كلّهم من بني كعب بن لؤي كلّهم صالح لا يوجد مثله(3).

فهل تـرى في هـؤلاء واحـداً من أئمّــة الهُدى من عترة النّبي (ص) والـذين وصفهم رسول الله (ص) بأنّهم سفينة النّجاة وأعدال القرآن؟!

---

(1) الطبقات الكبرى لابن سعد ج 4ص 110.

(2) فتح الباري لابن حجر ص 39.

(3) تاريخ السيـوطي ـ كنز العمال ـ تاريخ ابن عسـاكـر والذهبي، ولمعرفـة المصادر بالأرقـام يُراجع فصل الخلفاء الاثني عشر عند أهل السنة من الكتاب.

ولـذلك فإنّك لا ترى لهم وجـوداً عنـد «أهل السنّة والجماعـة» ولا يوجـد في قائمة أئمّتهم وخلفائهم الـذين يقتدون بهم واحد من أئمّة أهل البيت (عليهم السّلام).

هذه حال عبدالله بن عمر في مخالفـة الكتاب والسنّة، أمّا جهله بهما فحدّث ولا حرج.

فمنهـا جهلـه بأنّ النّبي (ص) رخّص للنّسـاء إذا كـنّ محرمـات أن يلبسن الخفّين، وكان ابن عمر يفتي بحرمة ذلك[1].

ومنها أنه كان يكري مزارعـه على عهد رسول الله وعهد أبي بكر وعمر وعثمان وعهد معاويـة حتى حدَّثه أحد الصحابـة في آخر خلافة معـاوية بأن رسول الله حرَّمه[2].

نعم هذا هـو فقيه «أهل السنـة والجماعة» لا يعـرف حرمـة كراء المزارع، ولا شك بأنه كان يفتي بجواز ذلك طوال هذه المدة المذكورة من عهد النبي إلى آخر خلافة معاوية قرابة خمسين عاماً.

ومنها ما أنكرته عليه عائشة من فتواه بأن القُبلة توجب الوضوء، أو فتواه بأن الميت يُعـذَّب ببكاء الحي عليـه، وكذلك في أذان الصبح وفي قـوله بأن الشهـر تسعة وعشرون يوماً، كما عارضته في عدة مسائل أخرى.

ومنها ما أخرجه الشيخان البخاري ومسلم في صحيحيهما: قيل لعبدالله بن عمر: إن أبـا هريرة يقـول: سمعت رسول الله (ص) يقول: من تبع جنـازة فله قيراط من الأجر.

فقال ابن عمر: أكثـر أبو هريرة علينا، فصـدَّقتْ عائشة أبا هـريرة وقالت: سمعت رسول الله (ص) يقوله، فقال ابن عمر: لقد فرّطنا في قراريط كثيرة[3].

وتكفينـا شهـادة عمـر بن الخطـاب في ابنـه عبدالله عنـدمـا قـال لـه أحـد المتملّقين، وهو على فراش الموت: إستخلف عبدالله بـن عمر، فقال له: كيف أستخلف عليهم من لا يعرف كيف يطلّق زوجته؟

(1) سنن أبي داود ج 1 ص 289، سنن البيهقي ج 5 ص 25، مسند أحمد ج 2 ص 29.

(2) صحيح البخاري وصحيح مسلم ج 5 ص 21.

(3) صحيح البخاري في كتاب الجنائز باب فضل اتباع الجنائز.

فهذا هو ابن عمر ولا أحد يعرفه أكثر من أبيه.

وأما الأحاديث المكذوبة التي خدم بها سيده معاوية فكثيرة جداً ونذكر منها على سبيل المثال قوله: قال رسول الله (ص): يطلع عليكم رجل من أهل الجنة فطلع معاوية ثم قال من الغد يطلع عليكم رجل من أهل الجنة فطلع معاوية، ثم قال من الغد مثل ذلك فطلع معاوية.

وقوله: لما نزلت آية الكرسي قال رسول الله (ص) لمعاوية: أكتبها، فقال معاوية: ما لي بكتبها إن كتبتُها؟ قال: لا يقرأها أحد إلا كُتب لك أجرها.

وقوله: أما إن معاوية يبعث يوم القيامة وعليه رداء من نور الإيمان.

وأنا لا أدري لماذا لم يُلحق «أهل السنة والجماعة» سيدهم معاوية كاتب الوحي بالعشرة المبشرين بالجنة وسيدهم ابن عمر يؤكد ثلاث مرات، وفي ثلاثة أيام متوالية أنّ معاوية من أهل الجنة، وإذا كان الناس يبعثون يوم القيامة حفاة عراة فإن معاوية أفضل منهم جميعاً إذ يبعث وعليه رداء من نور الإيمان!! إقرأ واعجب!!

هذا هو عبدالله بن عمر وهذا مبلغه من العلم وهذا فقهه وخلافه للكتاب والسنة النبوية، وهذا هو عداؤه لأمير المؤمنين والأئمة الطاهرين من عترة النبي (ص) وهذا هو ولاؤه وتزلّفه لأعداء الله ورسوله وأعداء الإنسانية.

فهل يتبصر «أهل السنة والجماعة» اليوم بهذه الحقائق ويعلمون بأن السنة المحمدية لا توجد إلا عند أتباع العترة الطاهرة وهم الشيعة الإمامية؟

﴿لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون﴾ (الحشر: 20).

صدق الله العلي العظيم

12 ـ عبدالله بن الزبير

أبوه الزبير بن العوام الذي قُتل في حرب الجمل وتسمى في السنة النبوية حرب الناكثين، وأمه أسماء بنت أبي بكر بن أبي قحافة، وخالته عائشة أم المؤمنين بنت أبي بكر وزوج النبي (ص)، وهو من أكبر المناوئين للإمام عليّ (عليه السلام) والمبغضين له.

ولعله كـان يفتخر بخلافـة جده أبي بكر وبخـالته عائشـة فورث منهما ذلك الحقد وشبَّ عليه. فكان الإمام عليّ (عليه السـلام) يقول للزبير: قد كنا نعدّك من بني عبد المطلب حتى بلغ ابنك ابن السوء ففرّق بيننا وبينك.

والمشهور في التـاريخ أنه كـان في حرب الجمـل من العناصر البـارزة والقادة المباشرين، حتى أن عـائشة قدمته ليـؤم الناس في الصلاة بعدما عـزلت طلحة والزبير لأنهما اختلفا ورغب كل واحد منهما فيها.

ويقال أيضـاً إنه هو الذي جـاء لخالته عائشة بخمسين رجـلاً يشهدون زوراً بأن المكان ليس بـ(ماء الحوأب) فواصلت معهم طريقها.

وعبدالله هو الذي عير أباه بالجبن واتهمـه بالخوف لما عزم على اعتزال المعركة بعـدما ذكَّـره الإمـام عليّ (عليه السـلام) بحـديث النبي (ص) وإعـلامه بأنـه سيقاتل علياً وهـو له ظالم، حتى أن أباه ــ لما أكثر هو تعييره ـ قـال له: ما لك أخزاك الله من ولد ما أشأمك[1].

ويقال: إنه مـازال يُعير أباه ويهيّجه حتى حمل على جيش عليّ فقُتل، وبهذا يصدق عليه قول أبيه «ما أشأمك من ولد».

وهذه هي الـرواية التي اخترنـاها لأنها أقرب للـواقع ولنفسية الـزبير الحاقدة وابنه عبدالله ابن السوء. فلا يمكن للزبير أن ينسحب من المعركة بتلك السهولة ويترك وراءه طلحة وأصحابه ومواليه وعبيده الذين جاء بهم إلى البصرة ويترك أم المؤمنين أخت زوجتـه وقد أشرفت على الهلاك، ولـو سلَّمنـا بأنه تـركهم فهم لا يتركونه وبالخصوص ابنه عبدالله الذي عرفنا عزمه وشدة حزمه.

ويـذكر المؤرِّخـون بأن عبـدالله بن الزبير كـان يشتم عليـاً ويلعنه ويقـول: جـاءكم الوغـد اللئيم ــ يقصد عليـاً (عليـه السلام) ــ وخطب في أهل البصرة يستنفـر الناس ويحرّضهم على القتـال فقـال: أيها النـاس إن علياً قتل الخليفـة بـالحق عثمان مظلومـاً، ثم جهَّـز الجيـوش ليستولي عليكم ويأخـذ مـدينتكم، فكونوا رجـالاً تطالبون بثأر خليفتكم، واحفظوا حريمكم وقـاتلوا عن نسائكم

(1) تاريخ أعثم وكذلك شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج 2 ص 170.

وذراريكم وأحسـابكم وأنسـابكم، ألا وإن علياً لا يـرى في هذا الأمـر أحـداً سواه، والله لئن ظفر بكم ليهلكنّ دينكم ودنياكم(1).

وقد بلغ من بغضـه لبني هاشم عامة ولعليّ (عليـه السلام) خاصة أنـه ترك الصلاة على محمـد أربعين جمعة ويقول: إنـه لا يمنعني من ذكره إلا أن تشمخ رجال بآنافها(2).

وإذا كان حقـده وبغضه يصل به إلى تـرك الصلاة على النبي (ص) فـلا لوم عليه ولا يستغرب منـه أن يكذب على الناس ويتهم الإمام عليـاً (عليه السلام) ويرميه بكل قبيح، وقد سمعت خطبته في أهل البصرة وقوله لهم: والله لئن ظفر بكم ليهلكنَّ دينكم ودنياكم.

إنه كذب مفضـوح وبهتان عظيم من عبدالله بن الـزبير الذي لا يعرف الحق إلى قلبه سبيلاً.

والشـاهــد على ذلك أن عليّ بن أبي طـالب ظفــر بهم وانتصر عليهم وأسر الأغلبيـة منهم وفيهم عبـدالله بن الـزبير نفسه ولكنـه عفـا عنهم جميعـاً وأطلق سراحهم وأكرم عائشة بأن سترها وأرجعها إلى بيتها في المدينة، كما منع أصحابه من أخذ الغنائم وسبي النساء والأطفال، والإجهاز على جريح، حتى سبَّب له ذلك تمرد بعض الجيش عليه والتشكيك في أمره.

فعليٌ (عليه السلام) هو محض السنة النبوية وهو العارف بكتاب الله ولا أحد يعرفـه سواه، فقد ثـارت ثائرة بعض المنـافقين المندسين في جيشه وألَّبـوا عليه، وقالوا: كيف يبيح لنا قتالهم ويحرّم علينا سبي نسائهم؟

واغترَّ بهذا القـول كثير من المقاتلين غير أنـه (سلام الله عليـه) احتج عليهم بكتـاب الله وقال لهم: إقترعـوا على من يأخـذ منكم أمـه عائشـة! وعنـد ذلك أدركوا أنه على الحق فقالوا نستغفر الله لقد أصبت وأخطأنا.

فقول عبـدالله بن الزبير كـذب وبهتان مبين لأن بغضه لعليّ (عليـه السلام)

(1) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج 1 ص 358، تاريخ المسعودي ج 5 ص 163.
(2) تاريخ اليعقوبي ج 3 ص 7، شرح نهج البلاغة ج 1 ص 385.

أعمى بصره وبصيرته وأخرجه عن الإيمان ولم يتُب ابن الزبير بعد ذلك ولم يتخذ من تلك الحرب دروساً ومواعظ يستفيد منها .

كلا إنه قـابل الحسنة بالسيئة وازداد حقده وبغضـه لبني هاشم ولسيد العترة الطاهرة وعمل كل ما في وسعه لإطفاء نورهم والقضاء عليهم .

فقد روى المؤرخـون بأنه وبعـد مقتل الإمام علي (عليه السـلام)، قام يـدعو لنفسه بـإمارة المؤمنين والتف حـوله بعض الناس وقـويت شوكتـه ، فعمل على سجن محمد بن الحنفية ، ولد الإمام علي (عليه السلام) وكذلك الحسن بن علي ومعهم سبعة عشر رجلاً من بني هاشـم وأراد أن يحرقهم بالنار فجمع على باب الحبس حطبـاً كثيراً وأضرم عليهم النار، ولولا وصـول جيش المختار في الـوقت المناسب فأطفأ النار واستنقذهم لبلغ فيهم ابن الزبير مراده[1] .

وبعث إليه مـروان بن الحكم جيشاً بقيادة الحجاج فحـاصره وقتله وصلبه في الحرم .

وهكذا انتهت حياة عبدالله بن الزبير كما انتهت حياة أبيه من قبل ، كل منهما أحب الـدنيا وحـرص على الإمارة وأراد البيعـة لنفسـه وقاتل من أجلهـا وهلك وأهلك ومات مقتولاً دونها ولم يبلغ مناه .

ولعبـدالله بن الزبير آراء في الفقـه أيضاً وهي رد فعـل منه لمخـالفة فقـه أهل البيت الذين يبغضهـم ، ومن أشهرها قوله بحرمة زواج المتعة .

فقـد قـال مـرة لعبـدالله بن عبـاس : يـا أعمى البصر لئن فعلتهـا لأرجمنَّك بالحجارة .

ورد عليـه ابن عبـاس : أنـا أعمـى البصر، أمـا أنت فأعمى البصيرة ، وإذا أردت معرفة حلّية المتعة فاسأل عنها أمك ![2] .

---

(1) تاريخ المسعودي ج 5 ص 185، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج 4 ص 487 .

(2) أعمى البصر لأن عبدالله بن عبّاس كفّ بصره في كبره ، وأما قولـه : فاسأل عنها أمك فيقـال إن الزّبير تزوج أسماء بزواج متعة وإن عبدالله نفسه ولد من المتعـة . ويقال إن عبدالله رجع الى أمه فقالت له : ألم أنهك عن ابن عباس فهو أعلم النّاس بمثالب العرب .

ولا نريـد الإطالـة في هذا الموضوع الـذي كثر فيـه الكلام، وإنما أردنـا إبراز مخالفة ابن الـزبير لأهل البيت في كل شيء حتى في الأمور الفقهيـة التي ليس له فيها قدم راسخة.

وقد ذهب كل هؤلاء بخيرهم وشرهـم وتركوا الأمة المنكوبـة تمخر في بحر من الدمـاء وتغرق في بحر الضلالـة، والأغلبية منهم لا يعرفـون الحق من الباطل، وقد صرَّح بذلك طلحة والزبير وكذلك سعد بن أبي وقاص.

ولكن الوحيد الذي كان على بيِّنـة من ربه ولم يشك في الحق طرفة عين، هو عليّ بن أبي طـالب (سلام الله عليـه) الـذي كان يـدور الحق معـه حيث توجـه ودار.

فهنيئاً لمن اتَّبعه واقتدى به، وقد قال رسول الله (ص): أنت يا عليّ وشيعتك هم الفائزون يوم القيامة[1].

﴿أفمن يهدي إلى الحقّ أحقٌ أن يُتَّبع أمَّنْ لا يهدي إلاَّ أن يهدى فما لكم كيف تحكمون﴾ (يونس: 35).

صدق الله العلي العظيم

---

(1) الدّر المنثور في التفسير بالمأثور لجلال الدّين السيوطي في سورة البيّنة.

السنة النبوية لا تخالف القرآن عند الشيعة

بعد البحث والتنقيب في عقيدة الطرفين مـن الشيعة و«أهل السنة والجماعة» وجدنا بأن الشيعة يرجعون في كل أحكامهم الفقهية إلى الكتاب الكريم والسنة النبوية لا غير.

ثم هم يرتبون القـرآن في المرتبة الأولى والسنة النبوية في المرتبـة الثانية، ونعني بذلك أنهم يخضعون السنة للمراقبة ويعـرضونها على كتاب الله العزيز، فما وافق منها كتاب الله قبلوه وعملوا به وما خالف كتاب الله تركوه ولم يقيموا له وزناً[1].

والشيعة يرجعون في ذلك إلى ما قـرَّره أئمة أهل البيت (عليهم السلام) رواية عن جدهم رسول الله (ص) الذي قال: إذا جـاءكم حديث عني فاعرضوه على كتاب الله فما وافق كتاب الله فاعملوا به وما خالف كتاب الله فاضربوا به عرض الجدار.

وقد قال الإمام جعفر الصادق (عليـه السلام) عدة مرات: «ما لم يوافق من الحديث القرآن فهو زخرف».

وقـال في أصـول الكـافي بأن النبي (ص) خطب النـاس بمنى فقـال: «أيها الناس ما جاءكم عني يوافق كتاب الله فأنا قلته، وما جاءكم عني يخالف كتاب الله فلم أقله».

---

(1) هذا هو لعمـري المنطق السّليم الذي يقطعُ الطّريق على كلّ المحدّثين الـذين اشتهروا بتدليس الحديث ونسبته للرسول (ص) وهو منه بريء.

وعلى هذا الأساس المتين بنى الشيعة الإمامية فقههم وعقائدهم، فمهما بلغ الحديث من صحة الإسناد فلا بد أن يزنوه بهذا الميزان ويعرضوه على الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

والشيعة الإمامية هي الفرقة الوحيدة بين الفرق الإسلامية الأخرى التي اشترطت هذا الشرط، وبالخصوص في باب تتعارض فيه الروايات والأخبار.

قال الشيخ المفيد في كتابه المسمى بـ«تصحيح الاعتقاد»: «وكتاب الله تعالى مقدَّم على الأحاديث والروايات، وإليه يتقاضى في صحيح الأخبار وسقيمها فما قضى به فهو الحق دون سواه».

وبناء على هذا الشرط، وهو عرض الحديث على كتاب الله تعالى تميز الشيعة عن «أهل السنة والجماعة» في كثير من الأحكام الفقهية وكذلك في كثير من العقائد.

والباحث يجد في كل أحكام الشيعة وعقائدهم مصداقاً في كتاب الله، خلافاً لما هو عند «أهل السنة والجماعة» فالمتتبع قد يجد عندهم عقائد وأحكاماً تخالف صريح القرآن الكريم. ستعرف ذلك وسنوافيك ببعض الأدلة على ذلك قريباً إن شاء الله.

وبناء على ذلك يفهم المتتبع أيضاً بأن الشيعة لم يصحِّحوا أي كتاب من كتب الحديث عندهم أو يعطوه قدسية تجعله بمثابة القرآن، كما هو الحال عند «أهل السنة والجماعة» الذين يصحِّحون كل الأحاديث التي رواها البخاري ومسلم، رغم أن فيهما مئات الأحاديث التي تتناقض مع كتاب الله.

ويكفيك أن تعرف بأن كتاب الكافي عند الشيعة رغم جلالة قدر مؤلفه محمد بن يعقوب الكليني وتبحّره في علم الحديث إلا أن علماء الشيعة لم يدّعوا يوماً بأن ما جمعه كله صحيح بل هناك من علمائهم من طرح أكثر من نصفه وقال بعدم صحتها، بل إن مؤلف (الكافي) لا يقول بصحة كل الاحاديث التي جمعها في الكتاب.

ولعل كل ذلك نـاتج عن سيرة الخلفاء عند كل فـرقة منهم، فـ«أهل السنة والجماعـة»، اقتدوا بأئمـة يجهلون أحكـام القرآن والسنـة، أو يعرفـونها ولكنهم اجتهدوا بآرائهم وخالفوا تلك النصـوص لعدة أسباب أوضحنا البعض منها في أبحاث سابقة.

أما الشيعة فإنهم اقتدوا بأئمة العترة الطاهـرة الذين هم عدل القرآن وترجمانه لا يخالفونه ولا يختلفون فيه.

﴿أفمن كان على بيّنة من ربه ويتلوه شاهد منه ومن قبله كتاب موسى إماماً ورحمة أولئك يؤمنـون به ومن يكفر به من الأحـزاب فالنار موعـده فلا تك في مرية منه إنه الحق من ربك ولكن أكثر الناس لا يؤمنون﴾ (هود: 17).

صدق الله العلي العظيم

السنّة والقرآن
عند «أهل السنة والجماعة»

بعدما عرفنا بأن الشيعة الإمامية يقدِّمون القرآن على السنّة ويجعلونه القاضي عليها والمهيمن، فـ «أهل السنة والجماعة» على العكس تماماً يقدِّمون السنة على القرآن ويجعلونها قاضية ومهيمنة عليه.

ونستنتج من هـذا بأنهم سمّوا أنفسهم بـ «أهل السنّة» من أجل هـذا المبدأ الذي ارتأوه، وإلا لماذا لم يقولوا بأنهم أهل القـرآن والسنّة وخصوصاً أنهم يروون في كتبهم بأن النبي قال: تركت فيكم كتاب الله وسنّتي؟

ولأنهم أهملـوا القرآن وجعلـوه في المرتبـة الثـانية وتمسكـوا بـالسنّـة المزعومـة وجعلـوها في المرتبـة الأولى، فهمنا من ذلك السبب الـرئيسي لقولهم بأن السنّـة قاضيـة على القرآن. وهـذا منهم أمر عجيب، وأعتقـد بأنهم اضطروا إلى ذلك اضطراراً عنـدما وجدوا أنفسهم يقومـون بأعمال مخالفة لما جاء في القـرآن، وقد ألفوهـا بعدمـا فرضهـا عليهم الحكّام الـذين أطاعوهـم. ولتبرير تلك الأعمال وضعـوا لها أحاديث نسبـوهـا للنبي (ص) كـذباً، ولما كـانت تلك الأحـاديث تتعارض مع أحكـام القرآن، قـالوا بأن السنّـة قاضيـة على القرآن أو أنها تنسخ القرآن.

وأضرب لذلك مثلاً واضحاً يفعله المسلم مرات عديدة في كل يوم، ألا وهو الوضوء قبل الصلاة فقد جاء في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصـلاة فـاغسلـوا وجـوهكم وأيـديكـم إلى المرافق وامسحـوا برؤوسكم وأرجلكم إلى الكعبين**﴾ (المائدة: 6).

ومهما قيل، وبقطع النظر عن قراءة النصب والجر وقد قدمنا بأن الفخر الرازي وهو من أشهر علماء «أهل السنة والجماعة» في اللغة العربية قال بوجوب المسح في القراءتين[1].

وقال ابن حزم أيضاً: سواء قُرىء بخفض اللام أو بفتحها هي على كل حال عطف على الرؤوس إما على اللفظ وإما على الوضع ولا يجوز غير ذلك[2].

ولكن الفخر الرازي بعد اعترافه بأن القرآن نزل بوجوب المسح في القراءتين، نراه يتعصَّب لمذهبه السنّي، فقال: ولكن السنة جاءت بالمسح ناسخة للقرآن[3].

وهذا المثل من السنّة المزعومة القاضية على القرآن أو الناسخة له، يوجد له أمثلة كثيرة عند «أهل السنة والجماعة» فكم من حديث موضوع يُبطلون به حكماً من أحكام الله بدعوى أن رسول الله (ص) نسخه.

ونحن لو تمعنّا في آية الوضوء التي نزلت في سورة المائدة وإجماع المسلمين على أن سورة المائدة هي آخر ما نزل من القرآن ويقال: إنها نزلت قبيل وفاة النبي (ص) بشهرين فقط، فكيف ومتى نسخ النبي حكم الوضوء يا ترى؟! وقد قضى النبي (ص) ثلاث وعشرين سنة وهو يتوضأ بالمسح ويفعل ذلك مرات في كل يوم، فهل يعقل أنه وقبل شهرين من وفاته عندما نزل عليه قوله سبحانه: ﴿وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم﴾ عمد إلى غسل رجليه معارضة لكتاب الله؟! إنه كلام لا يصدق.

ثم كيف يصدّق الناس هذا النبي الذي يدعوهم لكتاب الله والعمل به قائلاً لهم: إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم، ثم يعمل هو بعكسه؟! فهل هذا معقول أو يقبله العقلاء؟ أم سيقول له المعارضون والمشركون والمنافقون: إذا كنت أنت تعمل بخلافه، فكيف تأمرنا نحن باتباعه؟! وسوف يجد النبي (ص) عند ذلك نفسه محرجاً ولا يقدر على دفع حجتهم، ولذلك نحن لا نصدق بهذا الادعاء الذي يرفضه النقل والعقل، وكل من له دراية بالكتاب والسنّة لا يصدقه.

---

(1) التفسير الكبير للفخر الرّازي ج 11 ص 161.

(2) المحلى لابن حزم ج 3 ص 54.

(3) التفسير الكبير للفخر الرّازي ج 11 ص 161.

ولكن «أهل السنة والجماعة» والذين هم في الحقيقة حكّام بني أمية ومن جرى وراءهم كما عرفنا بذلك في أبحاث سابقة، عمدوا لوضع الأحاديث على لسان النبي ليصححوا بذلك آراء واجتهادات أئمة الضلالة ويكسبوها شرعية دينية أولاً، وليعللوا اجتهادات هؤلاء في مقابل النصوص بأن النبي نفسه قد اجتهد مقابل النصوص القرآنية ونسخ منها ما شاء، فيصبح بذلك أهل البدع يستمدّون شرعية مخالفتهم للنصوص اقتداء بالرسول كذباً وبهتاناً.

وقد قدمنا في بحث سابق بالأدلة والحجج القوية أن رسول الله (ص) ما قال يوماً برأي ولا بقياس وإنما كان ينتظر نزول الوحي لقوله تعالى: ﴿ **لتحكم بين الناس بما أراك الله**﴾[1].

أليس هو القائل مبلغاً عن ربه: ﴿**وإذا تتلى عليهم آياتنا بيّنات قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا أو بدّله قل ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي إن أتبع إلا ما يوحى إليَّ إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم**﴾ (يونس: 15). أوَلم يهدّده ربه بأشد التهديد لو حاول أن يتقوّل على الله كلمة واحدة، فقال جلّ وعلا: ﴿**ولو تقوّل علينا بعض الأقاويل* لأخذنا منه باليمين* ثم لقطعنا منه الوتين* فما منكم من أحد عنه حاجزين**﴾ (الحاقة: 44ـ47).

فهذا هو القرآن، وهذا هو النبي الذي كان خلقه القرآن، ولكن «أهل السنة والجماعة»[2]، ولشدة عداوتهم لعليّ بن أبي طالب وأهل البيت (عليهم السلام)، كانوا يخالفونهم في كل شيء حتى أصبح شعارهم هو مخالفة عليّ وشيعته في كل شيء، حتى لو كانت سنّة نبوية ثابتة عندهم[3].

ولما كان المشهور عن الإمام عليّ (عليه السلام) الجهر بالبسملة حتى في الصلاة السرية من أجل إحياء السنّة النبوية، فقد عمل بعضهم على القول

---

(1) صحيح البخاري ج 8 ص 148، (النساء: 105).

(2) ونقصد بهم الأوائل الذين عاهدوا علياً وأولاده من بعده والذين أسّسوا مذهب «أهل السنّة والجماعة».

(3) قد فصّلنا القول في ذلك وأخرجنا تصريحاتهم من كتبهم وأقوال أئمّتهم في كتاب «مع الصادقين» فليراجع.

بكراهتهـا في الصلاة، وكـذلك بالنسبـة للقبض والسدل ودعـاء القنوت وغير ذلك من الأمور التي تخص الصلاة اليومية.

ولذلك كان أنس بن مالك يبكي ويقول: والله ما أجد شيئاً مما أدركت عليه رسول الله (ص)، قالوا: وهذه الصلاة؟ قال: لقد غيرتم فيها ما غيرتم[1].

والغـريب أن «أهل السنّـة والجماعـة» يسكتون عـن هذه الاختـلافـات لأن مـذاهبهم الأربعـة يختلفـون فيما بينهم فلا يـرون بـذلك بأسـاً بل يقـولـون بأن اختلافهم رحمة.

ولكنهم يشنِّعون على الشيعـة إذا خالفوهـم في أية مسألـة فتصبح تلك الرحمة نقمة، ولا يقبلون إلا آراء أئمتهم مع أن أئمتهم لا يسـاوون أئمة العترة الطاهرة في علم ولا في عمل ولا في فضل ولا في شرف.

وكما ذكرنا في «غسل الرجلين» ورغم أن كتبهم تشهد بأن المسح هو الذي نزل به القرآن وهو أيضاً سنة النبي (ص)[2]، ولكنهم لا يقبلون من الشيعة شيئاً من ذلك ويتهمونهم بتأويل القرآن والخروج عن الدين.

والمثل الثاني الـذي لا بد من ذكره أيضاً هـو نكاح المتعة الذي نـزل به القرآن وأقرتـه السنّة النبـوية، ولكنهـم لتبرير اجتهاد عمـر بن الخطـاب الذي حـرَّمه اختلقـوا حـديثاً مكـذوبـاً نسبـوه للنبي (ص) وأخـذوا يشنِّعـون على الشيعـة لإباحتهم هـذا النكاح استناداً لما رواه الإمـام علي بن أبي طالـب (عليـه السلام) أضف إلى ذلك أن صحـاحهم تشهـد بأن الصحابـة فعلـوه في عهد رسـول الله وعهـد أبي بكـر وشطـر من عهـد عمـر قبل أن يحرمـه. ويشهـدون أيضـاً بأن الصحابة اختلفوا فيه بين محلِّل ومحرِّم.

والأمثلـة في هـذه المواضيع ــ التي ينسخـون فيهـا النص القـرآني بحـديث مكـذوب ـ كثيرة جـداً، وقـد ضربنا منهـا مثلين والقصـد هو رفع الستـار عن مـذهب «أهل السنة والجماعـة» وإطلاع القـارىء بأنهم يقدِّمـون الحديث على القرآن، ويقولون صراحة بأن السنّة قاضية على القرآن.

---

(1) البخاري ج 1 ص 74.

(2) الطّبقات الكبرى لابن سعد ج 6 ص 191.

فهـذا الإمـام الفقيه عبـدالله بن مسلم بن قتيبـة محدث وفقيـه «أهل السنـة والجماعـة» متـوفي سنـة ٢٧٦ هجـرية يقـول بصراحـة : «السنّـة قـاضيـة على الكتاب، وليس الكتاب بقاضٍ على السنة»[1].

كما ذكر صاحب كتـاب مقالات الإسلاميين نقلاً عن الإمـام الأشعري وهو إمام «أهل السنّـة والجماعة» في الأصول قـوله : «إن السنـة تنسخ القرآن وتقضي عليه، وأن القرآن لا ينسخ السنّة ولا يقضي عليها»[2].

وذكـر ابن عبـد البر بأن الإمـام الأوزاعي وهـو من كبـار أئمـة «أهل السنّـة والجماعة»، قال : «إن القرآن أحوج إلى السنّة من السنّة إلى القرآن . . . »[3].

فإذا كانت هذه أقوالهم تشهـد على عقيدتهم فمن الطبيعي جداً أن يتناقض هؤلاء مع ما يقوله أهل البيت من عـرض كل حديث على كتاب الله ووزنه عليه لأن القـرآن هـو القـاضي على السنّـة، ومن الطبيعـي أيضـاً أن يـرفضـوا هـذه الأحـاديث ولا يعترفـوا بها ولو رواهـا أئمـة أهل البيت، لأنها تنسف مـذهبهم نسفاً.

فقـد ذكر البيهقي في كتـاب دلائل النبوة بأن الحديث الـذي رُوي عن النبي (ص) وهـو قولـه : إذا جـاءكم الحديث عني فاعـرضُـوه على كتاب الله، قـال البيهقي : هـذا حديث بـاطل لا يصح، وهـو ينعكس على نفسـه بالبطـلان، فليس في القرآن دلالة على عرض الحديث على القرآن.

وصرح ابن عبد البر نقلاً عن عبد الرحمان بن مهدي بأن الحديث الذي روي عنه (ص)، أنه قـال : «ما أتاكم عني فاعرضـوه على كتاب الله فإن وافق كتاب الله فأنا قلته، وإن خالف كتاب الله فلم أقله»، هذه الألفاظ لا تصح عنه عند أهل العلم بصحيح النقل من سقيمه، وقـال بأن هذا الحديث وضعه الزنـادقة والخوارج[4].

---

(1) سنن الدّارمي ج 1 ص 145 وكذلك ابن قتيبة في تأويل مختلف الحديث ص 199

(2) مقالات الإسلاميين ج 2 ص 251.

(3) جامع بيان العلم ج 2 ص 234.

(4) جامع بيان العلم ج 2 ص 233.

أنظر إلى هذا التعصب الأعمى الذي لم يترك لهم سبيلاً للتحقيق العلمي والخضوع للحق، فأصبحوا يسمون رواة هذا الحديث، وهم أئمة الهدى من العترة الطاهرة، بالزنادقة والخوارج ويتهمونهم بوضع الحديث!

وهل لنا أن نسألهم، ما هو هدف الزنادقة والخوارج من وضع هذا الحديث الذي يجعل كتاب الله ـ الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ـ مرجعاً لكل شيء؟؟

والعاقل المنصف يميل إلى هؤلاء (الزنادقة والخوارج!!) الذين يُعظّمون كتاب الله ويجعلونه في المرتبة الأولى للتشريع، أحسن له من الميل إلى «أهل السنة والجماعة» الذين يقضون على كتاب الله بأحاديث مكذوبة وينسخون أحكامه ببدع مزعومة.

﴿كبُرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً﴾ (الكهف: 5).

فالذين يسمونهم زنادقة وخوارج هم أهل بيت النبوة أئمة الهدى ومصابيح الدجى الذين وصفهم جدهم رسول الله (ص) بأنهم أمان الأمة من الاختلاف فإذا خالفتهم قبيلة صارت حزب إبليس وذنبهم الوحيد هو أنهم تمسكوا بسنّة جدهم ورفضوا ما سواها من البدع البكرية والعمرية والعثمانية والمعاوية واليزيدية والمروانية والأموية، وبما أن السلطة الحاكمة كانت بيد هؤلاء المذكورين، فمن الطبيعي أن يشتموا المعارضين لهم بأنهم خوارج وزنادقة وأن يحاربوهم وينبذوهم، ألم يلعن علي وأهل البيت على منابرهم ثمانين عاماً؟؟ ألم يقتل الحسن بسمهم والحسين وذريته بسيوفهم؟؟

ودعنا من الرجوع إلى مأساة أهل البيت الذين لم تنته مظلمتهم بعد، ولنعد إلى هؤلاء الذين يسمون أنفسهم «أهل السنّة والجماعة» والذين ينكرون حديث عرض السنة على القرآن، فلماذا لم يسموا أبا بكر «الصديق» من الخوارج أو من الزنادقة؟ وهو الذي أحرق الأحاديث وخطب في الناس قائلاً: «إنكم تحدثون عن رسول الله أحاديث تختلفون فيها، والناس بعدكم أشد اختلافاً، فلا تحدثوا عن رسول الله شيئاً، فمن سألكم فقولوا: بيننا وبينكم كتاب الله فاستحلوا حلاله وحرّموا حرامه»(1).

(1) الذهبي في تذكرة الحفّاظ ج 1 ص 3.

ألم يقدم أبو بكر القرآن على السنّة؟ بل جعلـه المصدر الوحيد ورفض السنّة بدعوى أن الناس يختلفون فيها؟!

ولماذا لم يسمّوا عمـر بن الخطاب مـن الخوارج أو من الزنـادقة، وهـو الذي رفض السنّة النبـوية من أول يـوم عندمـا قال: حسبنـا كتاب الله يكفينـا، وقد أحرق هو أيضـاً كل ما جمعه الصحابـة من الأحاديث والسنن على عهده[1] ولم يقف عند ذلك الحد حتى نهى الصحابة عن إفشاء الحديث[2].

ولماذا لم يسمـوا أم المؤمنين عائشـة التي يـؤخذ عنهـا نصف الـدين بأنها من الخوارج ومن الزنادقة، فهي التي اشتهرت بعرض الحديث على القرآن، فكانت كلما بلغها حـديث لا تعرفه عرضتـه على كتاب الله وأنكرته إذا عـارض القرآن. فقد أنكرت على عمر بن الخطاب حـديث: إن الميت يعذب في قبره ببكاء أهله عليه، وقالت: حسبكم القرآن، فإنه يقول: ولا تزرُ وازرة وزرَ أخرى[3].

كما أنكـرت حديث عبـدالله بن عمـر الذي روى بأن النبي (ص) قـام على القليب وفيـه قتلى بـدر من المشركين فقـال لهم ما قـال ثم التفت إلى أصحـابـه فقال: «إنهم ليسمعون ما أقول».

فكذَّبت عـائشة أن يكـون الأموات يسمعـون، وقالت: إنما قـال رسول الله (ص): «إنهم ليعلمون أن ما كنت أقـول لهم حق»، ثم استشهدت على كذب الحديث بعـرضـه على القـرآن فقـرأت قـولـه سبحـانـه: ﴿إنك لاتسمع الموتى﴾(النحل: 80) ﴿وما أنتَ بمسمع من في القبور﴾(فاطر: 22)[4].

وأنكرت أحاديث كثيرة كـانت في كل مرة تعرضها على كتـاب الله، فقالت ـ لمن حدَّث بأن محمداً رأى ربـه ـ لقد قفَّ شعري مما قلت، أين أنت من ثلاث من حدثكهنّ بها فقد كذب، من حـدثك أن محمداً رأى ربـه فقد كـذب، ثم

---

(1) كنز العمّال ج 5 ص 237، وابن كثير والذهبي في تذكرة الحفاظ ج 1 ص 5.

(2) الذهبي في تذكرة الحفاظ ج 1 ص 4.

(3) صحيح البخاري كتـاب الجنائز باب قول النّبي يعـذب الميت ببعض بكاء أهله عليـه وكذلك صحيح مسلم، كتاب الجنائز باب الميت يعذب ببكاء أهله عليه.

(4) صحيح البخاري وكذلك صحيح مسلم في كتاب الجنائز في نفس الباب السّابق.

قرأت قولـه تعالى : ﴿**لا تـدركه الأبصـار وهـو يـدرك الأبصار وهـو اللطيف الخبير**﴾(الأنعام : 103)، وقرأت : ﴿**وما كـان لبشر أن يكلّمه الله إلا وحيـاً أو من وراء حجـاب**﴾(الشورى : 51). ومن حـدثك أنـه يعلم مـا في غـدٍ فقـد كذب، ثـم قرأت قول الله : ﴿**وما تدري نفسٌ ماذا تكسب غداً**﴾(لقمان : 34). ومن حدَّثك أنه كتم فقد كذب، ثم قرأت قوله تعالى : ﴿**يا أيها الرسول بلّغ ما أنزل إليك من ربك**﴾(المائدة : 67).

كذلك كان أبو هريرة راوية أهل السنة عندهم، كان كثيراً ما يحدث الحديث ثم يقـول : فاقـرأوا إن شئتم قولـه تعـالى، فيعرض حـديثه على كتـاب الله حتى يصدقه المستمعون.

فلماذا لا يسمي «أهل السنّة والجماعة» كل هؤلاء من الخوارج والزنادقة، فهم يعرضـون الأحاديـث التي يسمعونها على كتـاب الله ويكذّبون مـا خالـف منها القرآن؟! إنهم لا يجرؤون على ذلك، أما إذا تعلق الأمـر بأئمة أهل البيت فإنهم لا يتورعـون بأن يشتموهم بكل نقيصة ولا ذنب لهم سـوى عرض الحديث على كتـاب الله كي يفتضح أولئك الـوضّـاعون والمدلّسـون الـذين يسعـون لتعطيل أحكام الله وإبطـالها بأحاديث مكـذوبة. لأنهم يـدركون تمامـاً أنه لـو عرضت أحاديثهم على كتـاب الله فسوف لن يـوافق كتاب الله على تسعة أعشـار منها. والعشر العـاشر الذي يـؤيده كتـاب الله لأنه من أقـوال النبي (ص)، يؤولـون بعضه على غير مـا أراده الرسول (ص) كتأويلهم حديث : «الخلفـاء من بعدي اثنـا عشر كلهم من قـريش»، وحـديث : «تمسكـوا بسنّة الخلفـاء الـراشـدين بعدي»، وكقوله : «اختلاف أمتي رحمة»، وغيرها من الأحاديث الشريفة والتي يقصـد بها النبي (ص) أئمـة العترة الطـاهرة، ولكنهم صرفـوهـا إلى خلفـائهم الغاصبين وإلى بعض الصحابة المنقلبين.

وحتى الألقاب التي يضفـونها على الصحابـة كتسمية أبي بكـر بـ«الصدّيق» وعمر بـ«الفاروق» وعثمان بـ«ذي النـورين» وخالـد بـ«سيف الله»، والحال أن كل هذه الألقاب هي لعليّ على لسان النبي (ص) فقد قال (ص) : «الصدّيقون ثلاثـة، حبيب النجار مؤمن آل يّس، وحـزقيل مؤمن آل فـرعون، وعليّ بن أبي

طالب (عليه السلام) وهو أفضلهم»[1].

وعليّ نفسه كان يقول: أنا الصدّيق الأكبر ولا يقولها بعدي إلا كذّاب. وهو الفاروق الأعظم الذي فرّق الله به الحق من الباطل[2]، ألم يقل رسول الله (ص) بأن حبه إيمان وبغضه نفاق، وأن الحق يدور معه حيث دار؟

وأما ذو النورين[3]، فهو(عليه السلام)، والد الحسن والحسين (عليهما السلام) سيدي شباب أهل الجنة وهما نوران من صلب النبوة. وأما سيف الله فهو الذي قال فيه جبريل (عليه السلام) يوم أُحد: «لا فتى إلا عليّ ولا سيف إلا ذو الفقار» وهو بحق سيف الله الذي سلّه على المشركين فقتل أبطالهم وجندل شجعانهم وهشّم أنوفهم حتى أذعنوا للحق وهم كارهون، وهو سيف الله لأنه لم يهرب من معركة أبداً، ولم يخشَ من مبارزة قط. وهو الذي فتح خيبر وقد عجز عنها أكابر الصحابة ورجعوا منهزمين.

لقد قامت السياسة من أول خلافة على عزله وتجريده من كل فضل وفضيلة، ولما جاء معاوية للحكم ذهب أشواطاً بعيدة فعمل على لعن عليّ وانتقاصه، وعلى رفع شأن مناوئيه ونسب إليهم كل فضائله وألقابه زوراً منه وبهتاناً، ومن يقدر في ذلك العهد على تكذيبه أو معارضته؟ وقد وافقوه على سبّه ولعنه والبراءة منه، وقد قلّب أتباعه من «أهل السنّة والجماعة» كل الحقائق ظهراً على عقب، فأصبح عندهم المنكر معروفاً والمعروف منكراً، وأصبح عليّ وشيعته هم الزنادقة والخوارج والروافض فاستباحوا بذلك لعنهم وقتلهم، وأصبح أعداء الله ورسوله وأهل بيته هم «أهل السنّة»! فاقرأ واعجب، وإن كنت في شكٍ من هذا فابحث ونقّب.

﴿مثل الفريقين كالأعمى والأصم والبصير والسميع هل يستويان مثلاً أفلا تذكرون﴾ (هود: 24).

صدق الله العلي العظيم

---

(1) شواهد التنزيل للحسكاني ج 2 ص 223، غاية المرام ص 417، الرياض النّضرة ج 2 ص 202.

(2) تاريخ الطبري في إسلام علي، سنن ابن ماجه ج1 ص 44، خصائص النسائي، مستدرك الحاكم ج 3 ص 112.

(3) يُسمي «أهل السنة والجماعة» عثمان بذي النورين ويعلّلون ذلك بأنه تزوج رقية وأم كلثوم بنتي النبي والصحيح أنّهما ربيبتاه، وعلى فرض أنهما بنتاه، فكيف تكونان نورين ولم يحدث النبي لهما بفضيلة واحدة ولماذا لا تكون فاطمة التي قال في حقها: سيدة نساء العالمين هي النّور، ولماذا لم يُسمّوا علياً «بذي النور» على هذا الأساس؟

الأحاديث النبوية عند «أهل السنّة» متناقضة

لعل الباحث يجد كثيراً من السنن التي تُنسب إلى النبي (ص) هي في الحقيقة ليست إلا بدعاً ابتدعها بعض الصحابة بعد وفاته وألزموا الناس بها وحملوهم عليها قهراً، حتى اعتقد أولئك المساكين أنها من أفعال النبي وأقواله.

ولذلك جاءت تلك البدع في أغلبها متناقضة ومتعارضة مع القرآن، فاضطر علماؤهم للتأويل والقول بأن الرسول (ص) فعل هذا مرة، وفعل ذاك أخرى كقولهم بأنه صلى مرة بالبسملة وأخرى صلى بدون البسملة، ومرة مسح رجليه في الوضوء وأخرى غسلهما، ومرة قبض يديه في الصلاة وأخرى أسدلهما، حتى ذهب البعض منهم للقول بأنه فعل ذلك متعمداً للتخفيف على أمته حتى يختار كل واحد منهم ما يناسبه من العمل.

إنه كذبٌ يرفضه الإسلام الذي بنى عقائده على كلمة التوحيد وتوحيد العبادة حتى في المظهر واللباس فلم يسمح للمحرم وقت الحج أن يلبس ما يريد لا شكلاً ولا لوناً، ولم يسمح للمأموم إلا أن يتبع إمامه في حركاته وسكناته من قيام وركوع وسجود وجلوس.

كما أنه كذبٌ لأن الأئمة الطاهرين من أهل البيت يرفضون تلك الروايات ولا يقبلون بالاختلاف في العبادات شكلاً ومضموناً.

وإذا رجعنا إلى تناقض الأحاديث عند «أهل السنّة والجماعة» فهي كثيرة جداً تفوق الحصر، وسوف نعمل على جمعها في كتاب خاص إن شاء الله.

وكالعادة وبإيجاز نذكر هنا بعض الأمثلة ليتبيَّن للباحث على أي أساس بنى «أهل السنّة والجماعة» مذهبهم وعقيدتهم.

فقد جاء في صحيح مسلم وفي شرح الموطأ لجلال الدين السيوطي عن أنس بن مالك قال: صلّيت خلف رسول الله (ص) وأبي بكر وعمر وعثمان فلم أسمع أحداً منهم يقرأ: بسم الله الرحمان الرحيم.

وفي رواية أن رسول الله (ص) كان لا يجهر بقراءة بسم الله الرحمان الرحيم، قال: وقد روي هذا الحديث عن أنس قتادة وثابت البناني وغيرهما وكلهم أسنده وذكر فيه النبي (ص) إلا أنهم اختلف عليهم في لفظه اختلافاً كثيراً، مضطرباً ومتدافعاً، فمنهم من يقول فيه: كانوا لا يقرأون بسم الله الرحمان الرحيم، ومنهم من يقول كانوا لا يجهرون ببسم الله الرحمان الرحيم، ومنهم من يقول: كانوا يجهرون ببسم الله الرحمان الرحيم ومنهم من قال: كانوا لا يتركون بسم الله الرحمان الرحيم، ومنهم من قال: كانوا يفتتحون القراءة بالحمد لله رب العالمين.

قال: وهذا اضطراب لا تقوم معه حجة لأحد من الفقهاء[1].

أما إذا أردت معرفة السر الحقيقي لهذا التناقض والاضطراب من نفس الراوي وهو أنس بن مالك الذي كان يلازم النبي (ص) لأنه حاجبه، فتراه مرة يروي بأنهم ـ رسول الله والخلفاء الثلاثة ـ كانوا لا يقرأون بسم الله الرحمان الرحيم، ومرة بأنهم لا يتركونها.

إنما هو الواقع الأليم المؤسف الذي اتبعه أكثر الصحابة في نقل الحديث وروايته حسبما تقتضيه المصلحة السياسية وحسبما يرضي الأمراء.

فلا شك بأنه روى عدم القراءة لبسم الله الرحمان الرحيم عندما عمل بنو أمية وحكّامهم على تغيير كل سنّة للنبي (ص) كان عليّ بن أبي طالب يتمسك بها ويعمل على إحيائها.

---

(1) تنوير الحوالك شرح على موطأ مالك ج 1 ص 103. ونحن نقول: الحمد لله أن شهد شاهدٌ من أهلها على اضطراب الأحاديث عندهم وتناقضها وأنه كما اعترف، لا تقوم لأحدٍ من فقهائهم حجّة، إنما الحجّة قائمة مع أئمة الهدى الأطهار الذين لم يختلفوا في شيء.

فقد قامت سياستهم على مخالفته في كل شيء والعمل بضده. حيث اشتهر (سلام الله عليه) بأنه كان يبالغ في الجهر بالبسملة حتى في الصلاة السرية.

وهذا ليس ادعاء منا أو من الشيعة، فنحن لم نعتمد في كل ما كتبنا إلا على كتب «أهل السنّة والجماعة» وتصريحاتهم.

وقد ذكر الإمام النيسابوري في تفسير غرائب القرآن، وبعد ذكره للروايات المتناقضة عن أنس بن مالك قال: «وفيها تهمةٌ أخرى، وهي أن علياً (رضي الله عنه) كان يبالغ في الجهر بالتسمية، ولما كان زمن بني أمية بالغوا في المنع من الجهر سعياً منهم في إبطال آثار عليّ بن أبي طالب، فلعله إنما خاف منهم فلهذا اضطربت أقواله»(1).

كما صرح الشيخ أبو زهرة ما يقارب هذا المعنى إذ قال: «لا بد أن يكون للحكم الأموي أثر في اختفاء كثير من آثار عليّ (عليه السلام) في القضاء والإفتاء، لأنه ليس من المعقول أن يلعنوا علياً فوق المنابر، وأن يتركوا العلماء يتحدثون بعلمه وينقلون فتاواه وأقواله للناس، وخصوصاً ما يتصل بأساس الحكم الإسلامي»(2).

والحمد لله الذي أظهر الحق على لسان بعض علمائهم فاعترفوا بأن علياً كان يبالغ في الجهر ببسم الله الرحمان الرحيم.

ونستنتج بأن الذي دعاه (سلام الله عليه) أن يبالغ في الجهر بالتسمية، هو أن الخلفاء الذين سبقوه تركوها إما عمداً أو سهواً واقتدى بهم الناس فأصبحت سنّة متبعة وهي بلا شك مبطلة للصلاة إذا ما تُركت عمداً، وإلا لما بالغ الإمام عليّ (عليه السلام) في الجهر بها حتى في الصلاة السرية.

ثم إننا نشتمُّ من روايات أنس بن مالك التزلف لإرضاء بني أمية الذين أطروه وأغدقوا عليه الأموال وبنوا له القصور الفخمة لأنه من المناوئين لعليّ (عليه السلام) هو الآخر ويظهر بغضه لأمير المؤمنين (عليه السلام) من قصة الطير

(1) تفسير غرائب القرآن للنيسابوري بهامش تفسير الطّبري ج 1 ص 77.
(2) الشيخ أبو زهرة في كتاب الإمام الصادق ص 161.

المشوي عندما قال النبي (ص): «اللهم ائتني بأحب الخلق إليك يأكل معي هذا الطير»، فجاء عليّ يستأذن فرده أنس ثلاث مرات، ولما عرف النبي في المرة الرابعة قال لأنس: ما حملك على ما فعلت؟ قال أنس: رجوت أن يكون واحداً من الأنصار(1).

ويكفي هذا الصحابي أن يسمع النبي (ص) يدعو ربه بأن يأتيه بأحب الخلق إليه، ويستجيب الله لدعاء رسوله فيأتيه بعليّ (عليه السلام)، ولكن بغض أنس له يحمله على الكذب فيرد علياً مدعياً بأن النبي (ص) في حاجة له ويتكرر منه الكذب ثلاث مرات متوالية لأنه لم يقبل أن يكون عليّ (عليه السلام) أحب الخلق إلى الله بعد رسوله، ولكن علياً اقتحم الباب في المرة الرابعة ودخل، فقال له النبي (ص): ما حبسك عني يا علي؟ قال: جئتك فردني أنس ثلاث مرات، قال: ما حملك على ذلك يا أنس؟ قال: يا رسول الله سمعت دعاءك فأحببت أن يكون رجلاً من قومي.

والتاريخ بعد ذلك يحدثنا بأن أنس بقي على بغضه للإمام (عليه السلام) طيلة حياته، وهو الذي استشهده عليّ يوم الرحبة بحديث الغدير فكتم الشهادة ودعا عليه الإمام (عليه السلام) فلم يقم من مجلسه إلا أبرص، فكيف لا يصبح أنساً من المناوئين لعليّ (عليه السلام) وهو يبغضه ويتقرَّب إلى أعدائه بالبراءة منه.

لكل ذلك جاءت روايته في خصوص البسملة تفوح بالولاء لمعاوية بن أبي سفيان إذ يقول: «صليت خلف النبي وأبي بكر وعمر وعثمان» ويعني بذلك أنه ما كان يقبل بالصلاة وراء عليّ، وهو بالضبط ما كان يريده معاوية وأتباعه من رفع ذكر الخلفاء الثلاثة وطمس ذكر عليّ (عليه السلام) وعدم التحدث باسمه.

وبما أنه ثبت من طريق أئمة العترة الطاهرة وشيعتهم بأن علياً (عليه السلام)

---

(1) أخرجه الحاكم في المستدرك وقال: صحيح على شرط الشيخين، وأخرجه الترمذي في صحيحه ج 2، ص299، والطبري في الرياض النضرة ج 2 ص 160، تاريخ بغداد ج 3 ص 171، كنز العمال ج 6 ص406، النسائي في الخصائص ص 5، وابن الأثير في أسد الغابة ج 4ص 30.

كان يجهر بالبسملة في الفاتحة والسورة التي بعدها، كما ثبت أيضاً من طريق «أهل السنة والجماعة» بأنه كان يبالغ في الجهر بالبسملة حتى في الصلاة السرية، فثبت بذلك أنها هي السنّة النبوية الصحيحة، فمن تركها فقد ترك الواجب وأبطل صلاته، لأن مخالفة السنّة هو الضلال، فما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا.

ولنا بعد هذا عدة مآخذ على روايات الصحابة التي تخالف سنّة النبي (ص) وعدة أمثلة ذكرنا البعض منها في أبحاث سابقة وسنذكر البعض الآخر في أبحاث لاحقة. والمهم في كل ذلك أن نعرف بأن «أهل السنة والجماعة» يقتدون بأقوال وأفعال الصحابة.

أولاً: لإيمانهم بأن أقوالهم وأفعالهم هي سنة ملزمة.

ثانياً: لاشتباههم في أن ما قاله الصحابة وما فعلوه لا يخالف السنة النبوية، لأن الصحابة كانوا يحكمون بآرائهم وينسبون ذلك للنبي (ص) حتى يتمكنوا من التأثير في النفوس ويأمنوا معارضة المعارضين.

وإذا كان عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) هو المعارض الوحيد الذي حاول بكل جهوده في أيام خلافته إرجاع الناس للسنّة النبوية بأقواله وأفعاله وقضائه، ولكن بدون جدوى لأنهم شغلوه بالحروب الطاحنة فلم ينتهِ من حرب إلا وأشعلوا له حرباً أخرى، ولم ينتهِ من حرب الجمل حتى أسعروا حرب صفين ولم ينته من صفين حتى أشعلوا حرب النهروان ولم ينتهِ منها حتى اغتالوه في محراب الصلاة.

وجاء معاوية للخلافة وكان همه الوحيد هو إطفاء نور الله، فعمل بكل جهوده للقضاء على سنّة النبي التي أحياها الإمام عليّ (عليه السلام)، وأرجع الناس لبدع الخلفاء وخصوصاً البدع التي سنّها هو لهم، وعمل على سب عليّ (عليه السلام) ولعنه حتى لا يذكره ذاكر إلا بما هو مشين.

يذكر المدائني أن بعض الصحابة جاء إلى معاوية فقال له: «يا أمير المؤمنين، إن علياً (عليه السلام) مات وليس هناك شيء تخافه، فلو رفعت هذا

اللعن عنه؟ فقال معاوية: لا والله حتى يهرم عليه الكبير ويشيب عليه الصغير.

يقول المدائني: فمكثوا على ذلك (بنو أمية) دهراً وعلَّموه إلى صبيانهم في الكتاتيب وإلى نسائهم وخدمهم ومواليهم، وقد نجح معاوية في مخططه نجاحاً كبيراً، إذ أبعد الأمة الإسلامية (إلا القليل منها) عن وليها وقائدها الحقيقي، وجرَّهم إلى معاداته والبراءة منه، وألبس لهم الباطل بالحق وجعلهم يعتقدون بأنهم هم «أهل السنة» وأن من والى علياً واتبعه فهو خارجي وصاحب بدعة.

وإذا كان الإمام أمير المؤمنين عليّ (عليه السلام) وما أدراك، يُلعن فوق المنابر ويتقرَّب إلى الله بسبّه ولعنه، فما بالك بالشيعة الذين اتبعوه، فقد منعوا عطاءهم وحرقوا عليهم ديارهم وصلبوهم على جذوع النخل ودفنوهم أحياء، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

إن معاوية في نظري هو حلقة من سلسلة المؤامرة الكبرى وفصل من فصولها، ولكنه نجح أكثر من غيره في طمس الحقائق وتقليبها ظهراً على عقب، وأرجع الأمة إلى الجاهلية الأولى في لباس الإسلام.

وتجدر الإشارة بأنه كان أدهى ممن سبقه من الخلفاء فكان ممثلاً بارعاً يجيد التمثيل فيبكي في بعض الأحيان حتى يؤثر في الحاضرين فيعتقدون أنه من الزهاد العباد المخلصين ويقسو ويتجبر أحياناً أخرى حتى يخيل إلى الحاضرين أنه من أكبر الملحدين ويظن البدوي بأنه رسول الله!

ولا بد لإتمام البحث أن نعرف من خلال رسالة محمد بن أبي بكر التي وجهها إليه ورده عليها مدى مكره ودهائه كما سنعرف من خلال الرسالتين حقائق لا غنى للباحثين من الوقوف عليها.

كتاب محمد بن أبي بكر إلى معاوية

من محمد بن أبي بكر إلى الغاوي معاوية بن صخر:
سلام على أهل طاعة الله، ممَّن هو سلم لأهل ولاية الله،
أما بعد،

فإن الله بجلاله وعظمته وسلطانه وقدرته، خلق خلقه بلا عبث منه ولا ضعف في قوته، ولا حاجة به إلى خلقهم، لكنه خلقهم عبيداً وجعل منهم غوياً ورشيداً، وشقياً وسعيداً، ثم اختار على علم فاصطفى وانتخت منهم محمداً (ص)، فاختصه برسالته، واختاره لوحيه وائتمنه على أمره، وبعثه رسولاً ومبشراً ونذيراً، مصدقاً لما بين يديه من الكتب، ودليلاً على الشرائع، فدعا إلى سبيل أمره بالحكمة والموعظة الحسنة، فكان أول من أجاب وأناب وآمن وصدق وأسلم وسلم، أخوه وابن عمه علي بن أبي طالب (عليه السلام) صدَّقه بالغيب المكتوم وآثره على كل حميم، ووقاه بنفسه كل هول وواساه بنفسه في كل خوف، وحارب حربه وسالم سلمه، فلم يبرح مبتذلاً لنفسه في ساعات الأزل ومقامات الروع، حتى برز سابقاً لا نظير له في جهاده، ولا مقارب له في فعله.

وقد رأيتك تساميه، وأنت أنت، وهو هو السابق المبرز في كل خير، أول الناس إسلاماً، وأصدق الناس نية، وأفضل الناس ذرية وخير الناس زوجة، وأفضل الناس ابن عم، أخوه الشاري لنفسه يوم مؤتة، وعمه سيد الشهداء يوم أحد، وأبوه الذاب عن رسول الله (ص) وعن حوزته، **وأنت اللعين ابن اللعين**، لم تزل أنت وأبوك تبغيان لدين الله الغوائل، وتجهدان في إطفاء نور الله، تجمعان على ذلك الجموع، وتبذلان فيه المال وتؤلبان عليه القبائل.

على هذا مات أبوك وعلى ذلك خلفته، والشاهد عليك بذلك من تدني

ويلجأ إليك من بقيـة الأحـزاب ورؤساء النفـاق والشقـاق لرسـول الله (ص)، والشاهد لعليّ مع فضله المبين وسابقته القديمة أنصاره الذين معه الذين ذكرهم الله تعـالى في القرآن ففضّلهم وأثنى عليهم من المهـاجـرين والأنصار فهم معـه كتائب وعصائب يجالدون حوله بأسيافهم، ويهرقون دماءهم دونه، يرون الحق في اتباعه والشقاء في خلافه.

فكيف يا لك الويل تعـدل نفسك بعليّ وهو وارث رسول الله (ص) ووصيه وأبو ولـده، وأول الناس لـه اتباعـاً وأقربهم بـه عهداً، يخبره بسره ويطلعـه على أمره، وأنت عدوه وابن عدوه. ؟!

فتمتع في دنياك مـا استطعت بباطلك، وليمددك بن العـاص في غوايتك، فكأن أجلك قد انقضى، وكيدك قد وهى، وسوف يتبين لك لمن تكون العاقبة العليا!

واعلم أنك إنما تكايـد ربك الذي قد أمنت كيده، وآيست من روحـه وهو لك بالمرصاد، وأنت منه في غرور. والسلام على من اتبع الهدى[1].

* * *

وهذه الـرسالة التي كتبها محمـد بن أبي بكر فيها حقائق دامغـة لكل باحث عن الحقيقة، فهي تصـف معاوية بأنـه ضال مضل وأنـه لعين ابن لعين، وأنه يعمل كل مـا في وسعه لإطفـاء نور الله ويبذل الأمـوال لتحريف الـدين ويبغي لديـن الله الغوائل، وأنه عـدو لله ولرسـوله ويعمل بـالباطل بـإعانة عمـرو بن العاص.

كما وأن الرسالة تكشف عن فضائل ومزايا عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) التي لم يسبقه إليهـا سابق ولا يلحقه إليهـا لاحق، والحق أن لعليّ بن أبي طالب (عليـه السلام) من الفضـائل والمزايا أكثـر مما عـدده محمد بن أبي بكـر بكثير، ولكن الذي يهمنا في هذا الباب هو رد معاوية بن أبي سفيان على هذه الرسالة، لتعرف أيها الباحث عن الحقيقة خفايـا ودسائس التاريخ وتكتشف من خلالها خيوط المؤامـرة التي أبعدت الخلافة عن صاحبهـا الشرعي وتسببت في انحراف الأمة، فإليك الرد.

---

(1) جمهرة رسائل العرب ج 1 ص 475، مروج الذهب للمسعودي ج 2 ص 59، شرح النهج لابن أبي الحديد ج 1 ص 283.

رد معاوية على محمد بن أبي بكر

من معاوية بن صخر إلى الزاري على أبيه محمد بن أبي بكر.

سلام على أهل طاعة الله.

أما بعد.

فقد أتاني كتابك تذكر فيه ما الله أهله في عظمته وقدرته وسلطانه، وما أصفى به رسول الله (ص) مع كلام كثير ألّفته ووضعته لرأيك فيه تضعيف، ولأبيك فيه تعنيف.

ذكرت فيه فضل ابن أبي طالب وقديم سوابقه وقرابته من رسول الله (ص)، ونصرته له ومواساته إياه في كل هول وخوف، فكان احتجاجك عليَّ وفخرك بفضل غيرك لا بفضلك، فأحمد رباً صرف هذا الفضل عنك وجعله لغيرك.

فقد كنا وأبوك معنا في حياة نبينا نعرف حق ابن أبي طالب لازماً لنا، وفضله مبرزاً علينا، فلما اختار الله لنبيه (عليه الصلاة والسلام)ما عنده، وأتم له ما وعده، وأظهر دعوته، وأفلج حجته، وقبضه الله إليه (صلوات الله عليه)، كان أبوك وفاروقه أول من ابتزه حقه وخالفه على أمره، على ذلك اتفقا واتسقا، ثم إنهما دعواه إلى بيعتهما فأبطأ عنهما وتلكأ عليهما، فهما به الهموم وأرادا به العظيم، ثم إنه بايعهما وسلم لهما، وأقاما لا يشركانه في أمرهما ولا يطلعانه على سرهما، حتى قبضهما الله، وانقضى أمرهما، ثم قام ثالثهما عثمان فهدى بهديهما وسار بسيرتهما، فعبته أنت وصاحبك حتى طمع فيه الأقاصي من أهل المعاصي فطلبتما له الغوائل حتى بلغتما فيه مناكما.

فخذ حـذرك يا ابن أبي بكر، فسترى وبـال أمرك، وقس شبرك بفترك تقصر عن أن توازي أو تسـاوي من يزن الجبـال حلمُهُ، ولا تلين على قسر قنـاته، ولا يدرك ذو مدى أناته.

أبوك مهَّد له مهاده، وبنى ملكه وشـاده، فإن يك ما نحن فيه صواباً فأبوك أوله، وإن يكن جـوراً فأبوك استبد بـه ونحن شركاؤه، فبهـديه أخذنـا وبفعله اقتدينـا، ولولا ما فعل أبوك من قبل مـا خالفنا ابن أبي طالب، ولسلمنـا إليه، ولكنا رأينا أباك فعل ذلك به من قبلنا، فاحتذينا مثاله، واقتدينا بفعاله، فعبْ أباك بما بدا لك أو دع، والسلام على من أناب ورجع من غوايته وتاب(1).

* * *

ونستنتج من هذا الرد بأن معاوية لا ينكر فضائل عليّ بن أبي طالب ومزاياه، ولكنه تجرأ عليـه احتذاء بأبي بكر وعمـر، ولولاهما لما استصغـر شأن عليّ (عليه السلام) ولا تقـدم عليه أحـد من الناس. كما يعترف معـاوية بـأن أبا بكـر هو الذي مهَّد لبني أمية وهو الذي بنى ملكهم وشاده.

ونفهم من هـذه الرسـالة بـأن معاويـة لم يقتد بـرسول الله (ص)، ولم يهتـد بهديه، عندما اعترف بأن عثمان هدى بهدي أبي بكر وعمر وسار بسيرتهما.

وبذلك يتبين لنا بوضوح بأنهم جميعاً تركوا سنّة النبي (ص) واقتدى بعضهم ببدعة بعض. كما أن معـاوية لم ينكر بأنه من الضالين الذين يعملـون بالباطل وأنه لعين ابن لعين على لسان النبي (ص).

ولتعميم الفائدة لا بأس بذكـر الرسالة التي رد بها يزيـد بن معاوية على ابن عمر وهي على اختصارها ترمي نفس المرمى.

فقد أخرج البلاذري في تاريخه قال:

لما قتل الحسين بن عليّ بن أبي طـالـب (عليهما السـلام)، كتب عبـدالله بن عمر رسالة إلى يزيد بن معاوية جاء فيها:

(1) جمهرة رسائل العرب ج 1 ص 477، مروج الذهب للمسعودي ج 2 ص 60، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي ج 1 ص 284.

أما بعـد، فقد عظمت الرزيـة وجلّت المصيبة، وحدث في الإسـلام حدث عظيم، ولا يوم كيوم قتل الحسين.

فكتب إليه يزيد:

أمـا بعـد، يا أحمق، فإنـا جئنـا إلى بيـوت مجددة، وفرش ممهـدة، ووسـائد منضدة، فقاتلنا عنها.

فإن يكن الحق لنا فعن حقنا قاتلنا، وإن كان الحق لغيرنا فأبوك أول من سنَّ هذا واستأثر بالحق على أهله.

* * *

وفي رد معاوية على ابن أبي بكر كما في رد يزيد على ابن عمر نجد نفس المنطق ونفس الاحتجاج. وهو لعمري أمر ضروري يقره الـوجدان، ويدركه كل عاقل ولا يحتاج في الحقيقة إلى شهادة معاوية وابنه يزيد.

فلولا استبـداد أبي بكر وعمر على عليّ، لما وقع مـا وقع في الأمة الإسـلامية، ولـو تمكّن عليّ من الخلافـة بعـد رسـول الله (ص) وحكم المسلمين لتـواصلت خلافته إلى سنة أربعين للهجرة أعني ثلاثون عاماً بعد النبي[1]. وهي مدة كافية لإرساء قواعد الإسلام بكل أصولـه وفروعه، ولتمكّن (عليه السلام) من تطبيق كتاب الله وسنّة رسوله بدون تحريف ولا تأويل.

ولما وليهـا بعد وفـاتـه غير سيدي شبـاب أهل الجنـة الإمام الحسن والإمـام الحسين وأولاده المعصـومين بقيـة الأئمة (عليهـم السلام) ولتـواصلت خـلافـة الراشدين ثـلاثة قرون، لم يكن بعدها للكافـرين والمنافقين والملحدين تأثير ولا وجود، ولكـانت الأرض غير الأرض والعباد غير العبـاد، فلا حـول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

يبقى هناك دائماً اعتراض من بعض «أهل السنة والجماعة» على هذا الاحتمال وذلك من وجهين:

---

(1) لأن أبا بكر وعمر وعثمان توفّوا في حياة الإمام علي.

* الأول أنهم يقولون بأن ما وقع هـو الذي اختاره الله وأراده، ولو أراد الله أن يقود المسلمين عليّ والأئمة من ولده (عليهم السلام) لكان ذلك، وهم يرددون دائماً «الخير في ما اختاره الله».

* الثاني أنهم يقولون: لو تـولى عليّ الخلافة مباشرة بعد النبي وأعقبه الحسن والحسين لأصبحت الخلافة وراثية يرثها الأبناء على الآباء، وهذا لا يقره الإسلام الذي ترك الأمر شورى بين الناس.

وإجابة على ذلك ولرفع الالتباس نقول:

* أولاً: ليس هناك دليل واحد على أن مـا وقع هو الذي اختاره الله وأراده، بل الأدلة على عكسه ثـابتة في الكتاب والسنّة، فمن الكتاب مثلاً قـوله تعالى: **﴿ولو أن أهل القـرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بـركات من السماء والأرض ولكن كذّبـوا فأخذناهم بما كانـوا يكسبون﴾** (الأعراف: 96)، وكذلك قـوله تعالى: **﴿ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أُنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهـم ومن تحت أرجلهم منهم أمة مقتصـدة وكثير منهم ساء مـا يعملون﴾** (المائدة: 66). وكذلك قوله تعالى: **﴿ما يفعل الله بعذابكم إن شكَرتم وآمنتم وكان الله شاكراً عليماً﴾** (النساء: 147). وقوله: **﴿إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا مـا بأنفسهم﴾** (الرعد: 11). وكل هــذه الآيـات البينـات تفيـد بأن الانحـراف سواء كـان على مستوى الأفـراد أو الجماعـات أو الأمم هو من عنـد أنفسهم وليس من عند الله.

ومن السنّـة النبويـة مثـلاً: قول الـرسـول (ص): «تركت فيكم كتـاب الله وعترتي ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبداً» وقوله (ص): «هلمّ أكتب لكم كتاباً لن تضلّوا بعده أبداً»، وقوله: «ستفترق أمتي إلى ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة». وكل هذه الأحاديث الشريفة تفيد بأن ضلالة الأمة كانت بسبب انحراف الأمة وعدم قبولها لما اختاره الله لها.

* ثانياً: هب أن الخلافـة الإسلامية كانت بالوراثـة فليست هي الوراثة التي يفهمونها بأن يستبد الحاكـم على رعيته فيولي عليهم ابنه قبل وفـاته ويسميه ولي العهد، ولو كان الوالد والولد فاسقين بل هي وراثة إلهية من اختيار رب العالمين

الذي لا يعزب عن علمه مثقال حبة من خردل والتي تخص نخبة صالحة اصطفاها الله وأورثها الكتاب والحكمة لتكون للناس أئمة، فقال: **﴿وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين﴾** (الأنبياء: 73). مع أن قولهم بأن الإسلام لا يقر الوراثة وإنما ترك الأمر شورى، هو مغالطة لا يقرها الواقع والتاريخ.فقد وقعوا بالضبط في النظام الوراثي الممقوت، ولم يتولّ على الأمة بعد عليّ (عليه السلام) إلا الظالمين الغاصبين الذين أورثوها لأبنائهم الفسقة رغم أنف الأمة.

فأيها الأفضل أن يتوارثها الفساق الذين يحكمون بأهوائهم ولا يخضعون إلا لشهواتهم؟ أو يتوارثها الأئمة الطاهرين الذين اصطفاهم الله وأذهب عنهم الرجس وأورثهم علم الكتاب ليحكموا بين الناس بالحق ويهدوهم سواء السبيل ويدخلوهم جنات النعيم، من باب قول الله: **﴿وورث سليمان داود﴾** (النمل: 16)؟ وما أظن العاقل يختار إلا الثاني إن كان من المسلمين! وما دمنا الآن نقول بالأمر الواقع ولا يفيدنا التحسر على ما فات فلنعد إلى الموضوع فنقول:

ولما دفع أبو بكر وعمر أمير المؤمنين عن منصبه في الخلافة وتقمصاها، وصغّرا بذلك شأن عليّ وفاطمة وأهل البيت (عليهم السلام) وأهانوهم، عند ذلك سهل الأمر على معاوية ويزيد وعبد الملك بن مروان وأضرابهم أن يفعلوا ما فعلوه، ولولا أنهما مهّدا لمعاوية ومكّنا له في البلاد حتى بقي والياً في الشام وحدها أكثر من عشرين عاماً، ولم يعزل أبداً ونال معاوية هيبة وأوطأ رقاب الناس حتى دانوا له بكل ما يريد، ثم جعل الخلافة لابنه من بعده الذي وجد كما صرح بنفسه بيوتاً مجددة وفرشاً ممهدة ووسائد منضدة، فمن الطبيعي أن يقاتل من أجلها وأن يقتل ريحانة النبي ولا يبالي، فقد رضع بغض أهل البيت في حليب أمه ميسون وترعرع في حجر أبيه على سبهم ولعنهم، فلا غرابة أن يصدر منه الذي صدر أو أكثر من ذلك.

وقد اعترف بعض الشعراء بهذه الحقيقة إذ يقول:

لـــولا حـــدودٌ صـــوارم أمضـى مضاربهـا الخليفـة
لنشــرتُ مـن أســرار آل محمَّــد جمـــلاً ظـــريفــة
وأريتـكــم أن الحسيـــن أصيـــب يـــوم السقيفـــة

ويفهم الباحث المتتبع بأن دولة بني أمية كلهـا قامت بفضل أبي بكر وعمر. وكذلك دولة بني العباس وغيرها من الدول، ولذلك نجد هؤلاء قد بذلوا كل ما في وسعهم للتنـويـه بأبي بكر وعمـر وخلق الفضـائل لهم وإثبـات أحقيتهم في الخلافـة، لأنهم أدركوا بأن شرعيتهم في الخلافـة لا تتم إلا بتصحيح خـلافتهما والقول بعدالتهما.

وفي المقـابل نــراهم جميعـاً فعلـوا بأهل البيـت الأفـاعيل لا لشيء إلا لأنهم أصحاب الخلافة الشرعية وهم وحدهم الذين يهددون كيانهم ودولتهم.

وهذا بـديهي عند العقلاء الـذين عرفـوا الحق، وأنت ترى إلى يومنـا هذا أن بعض الـدول الإسلامية يحكمهـا ملوك ليس لهم من الفضـل أو الفضيلة شيء سوى أنهم أولاد ملوك وسلاطين وأمراء كما كان يزيد أميراً لأن والده معاوية كان ملكاً وملك الأمة بالقوة والقهر.

فلا يعقل أن يحب ملوك السعودية وأمراؤها أهل البيت ومن تشيّع لهم.

كما لا يعقل أن يبغض ملوك السعـودية وأمراؤهم معـاوية ويزيـد، وما سن لهم دستور ولاية العهد غيرهما وبدستور معاوية ويزيد وكل أمراء بني أمية وبني العباس يستمد الملوك المعاصرون شرعيتهم وبقاءهم.

ومن هنـا أيضاً جـاء تقديس الخلفـاء الثلاثـة وتفضيلهم والقول بعـدالتهم والـدفـاع عنهم، وعـدم السماح بنقـدهـم أو التكلم فيهم، لأنهم أسـاس كل الحكومات التـي وجدت وستوجد من يوم السقيفـة إلى أن يرث الله الأرض ومَن عليها.

ويُفهم على هـذا الأسـاس أيضـاً لماذا اختـاروا لأنفسهم اسم «أهل السنّـة والجماعـة» ولغيرهم اسم الـروافض أو الـزنادقـة لأن علياً وأهل بيتـه (عليهم

السلام) وشيعته رفضوا خلافتهم ولم يبـايعوهـم واحتجوا عليهم في كل مناسبة، فعمل الحكّـام على انتقـاصهم وتصغير شأنهم وتحقيرهم وسبّهم ولعنهم وقتلهم وتشريدهم.

وإذا لقي أهل البيت الذين تعلق أجر الرسالة في القرآن بمودتهم هذه الإهانة وهـذا التقتيل، فلا غـرابة أن يـلاقي شيعتهم ومن والاهم واهتـدى بهديهم كل تنكيل وتوهين وتحقير وتكفير. ويصبح المحق هو المنبوذ المعادي المتروك ويصبح المبطل هو القدوة والسيد المحترم الذي تجب طاعته.

فالـذي والى علياً وشـايعه هـو صاحب بـدعة وفتنـة، والذي والى معـاوية وشايعه هو صاحب سنّة وجماعة.

والحمـد لله الذي وهبنـا من العقل ما نميّـز بـه الحق من الباطل والنـور من الظلمات والأبيض مـن الأســود، إن ربي على صراط مستقيم. **﴿وما يستوي الأعمى والبصير* ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور* ومـا يستوي الأحياء ولا الأموات* إن الله يسمع من يشاء وما أنت بمسمع من في القبور﴾** (فاطر: 19ـ22).

ـ صدق الله العلي العظيم ـ

الصحابة عند شيعة أهل البيت

وإذا بحثنا موضوع الصحابة بتجرد وبدون عواطف نجد أن الشيعة أنزلوهم بمنازل القرآن والسنّة النبوية وما أوجبه العقل، فلم يكفّروهم بمجموعهم كما فعل الغلاة، ولم يقولوا بعدالتهم جميعاً كما فعل «أهل السنّة والجماعة».

يقول الإمام شرف الدين الموسوي في هذا الموضوع: «إن من وقف على رأينا في الصحابة علم أنه أوسط الآراء، إذ لم نفرّط فيه تفريط الغلاة الذين كفّروهم جميعاً، ولا أفرطنا إفراط الجمهور الذين وثقوهم جميعاً، فإن الكاملية ومن كان في الغلو على شاكلتهم قالوا بكفر الصحابة كافة، وقال «أهل السنّة» بعدالة كل فرد ممن سمع النبي أو رآه من المسلمين مطلقاً واحتجوا بحديث (كل من دبَّ أو درج منهم أجمعين أكتعين).

أما نحن وإن كانت الصحبة بمجردها عندنا فضيلة جليلة لكنها بما هي من حيث هي غير عاصمة، فالصحابة كغيرهم من الرجال فيهم العدول وهم عظماؤهم وعلماؤهم، وفيهم البغاة وفيهم أهل الجرائم من المنافقين، وفيهم مجهول الحال، فنحن نحتج بعدولهم ونتولاهم في الدنيا والآخرة.

أما البغاة على الوصي وأخي النبي (ص) وسائر أهل الجرائم كابن هند وابن النابغة وابن الزرقاء وابن عقبة وابن أرطأة وأمثالهم، فلا كرامة لهم ولا وزن لحديثهم، ومجهول الحال نتوقف فيه حتى نتبين أمره.

هذا رأينا في حملة الحديث من الصحابة، والكتاب والسنّة هما بيِّنتنا على هذا الرأي كما هو مفصّل في مظانه من أصول الفقه، لكن الجمهور بالغوا في تقديس

كل من يسمونه صحابياً حتى خرجوا عن الاعتدال فاحتجوا بالغث منهم والسمين، واقتدوا بكل مسلم سمع من النبي (ص) أو رآه اقتداءً أعمى، وأنكروا على من يخالفهم في هذا الغلو، وخرجوا في الإنكار على كل الحدود.

وما أشد إنكارهم علينا حين يروننا نرد حديث كثير من الصحابة مصرّحين بجرحهم أو بكونهم مجهولي الحال عملاً بالواجب الشرعي في تمحيص الحقائق الدينية والبحث عن الصحيح من الآثار النبوية.

وبهذا ظنوا بنا الظنون فاتهمونا بها اتهمونا رجماً بالغيب وتهافتاً على الجهل، ولو ثابت إليهم أحلامهم ورجعوا إلى قواعد العلم لعلموا أن أصالة العدالة في الصحابة مما لا دليل عليها، ولو تدبروا القرآن الحكيم لوجوده مشحوناً بذكر المنافقين منهم وحسبك منه سورة التوبة والأحزاب. . . » (إنتهى كلام شرف الدين).

ويقول الدكتور حامد حفني داود أستاذ كرسي الأدب العربي ورئيس قسم اللغة العربية بجامعة عين شمس بالقاهرة: «أما الشيعة فيرون أن الصحابة كغيرهم تماماً لا فرق بينهم وبين من جاء بعدهم من المسلمين إلى يوم القيامة.

وذلك من حيث خضوعهم لميزان واحد هو ميزان العدالة الذي توزن به أفعال الصحابة كما توزن به أفعال من جاء بعدهم من الأجيال وأن الصحبة لا تعطي لصاحبها منقبة إلا إذا كان أهلاً لهذه المنقبة وكان لديه الاستعداد للقيام برسالة صاحب الشريعة (ص)، وأن منهم المعصومين كالأئمة الذين نعموا بصحبة الرسول (ص) كعلي وابنيه (عليهم السلام).

ومنهم العدول وهم الذين أحسنوا الصحبة لعلي بعد انتقال الرسول (ص) إلى الرفيق الأعلى.

ومنهم المجتهد المصيب، ومنهم المجتهد المخطىء ومنهم الفاسق، ومنهم الزنديق، وهو أقبح من الفاسق وأشد نكالاً ويدخل في دائرة الزنديق المنافقون والذين يعبدون الله على حرف، كما أن منهم الكفار وهم الذين لم يتوبوا من نفاقهم والذين ارتدوا بعد الإسلام.

ومعنى هـذا أن الشيعة ـــ وهم شطر عظيم من أهل القبلـة ـ يضعـون جميع المسلمين في ميزان واحد ولا يفرّقون بين صحـابي وتابعي ومتأخر، وأن الصحبة في ذاتها ليست حصانة يتحصن بها من درجة الاعتقاد.

وعلى هذا الأساس المتين أباحوا لأنفسهم ـ اجتهاداً ـ نقد الصحابة والبحث في درجـة عدالتهم، كما أبـاحـوا لأنفسهم الطعن في نفـر من الصحـابة أخلّـوا بشروط الصحبة وحادوا عن محبة آل محمد (ص).

كيف لا، وقد قال الرسـول الأعظم: «إني تاركٌ فيكم ما إن تمسكتم بهما لن تضلـوا، كتاب الله وعترتي آل بيتي، وإنهما لـن يفترقا حتى يـردا عليَّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما».

وعلى أساس من هذا الحديث ونحوه يرون أن كثيراً من الصحابة خالفوا هذا الحديث بـاضطهادهم لآل محمـد، ولعنهم لبعض أفراد هـذه العترة، ومن ثم فكيف يستقيم لهؤلاء المخالفين شرف الصحبة، وكيف يوسموا بسمة العدالة؟!

ذلك هو خـلاصة رأي الشيعـة في نفي صفة العـدالة عن بعض الصحـابة وتلك هي الأسباب العلمية الواقعية التي بنوا عليها حججهم».

هذا ويعترف الـدكتور حـامد حفني داود في موضع آخـر بأن نقد الصحـابة وتجريحهم ليس هـو بـدعاً من الشيعـة وحـدهم إذ يقـول: «وقديماً تعـرَّض لها المعتزلـة فيما تعرضـوا له من مسـائل العقيدة، ولم يكتفـوا فيما تعرضـوا له بعـامة الصحابة بل تعرضوا للخلفاء أنفسهم، وكان لهم في ذلك خصوم ومؤيدون.

وقد كان موضوع نقد الصحابـة قاصراً ـ في القرون الأولى ـ على الراسخين في العلم وبخـاصة علماء المعتزلـة، وسبقهم في هـذا الاتجاه رؤوس الشيعة وزعماء المتعصبين لآل محمد.

وسبق أن أشرت في غير هـذا الموضع أن علماء الكلام وشيـوخ المعتزلـة كانـوا عالة على زعماء الشيعة منذ القرن الهجري الأول، وعليه فقضية نقد الصحابة إنما هي وليدة التشيّع لآل محمـد، ولكنها كانت وليـدة التشيّع، لا لذات التشيّع،

بل لأن المتشيعين لآل محمد عرفوا بتبحّرهم في علـوم العقائد بسبب ما نهلوا من مـوارد أئمـة آل البيت وهم المصدر الأصيـل والمعين الفياض الـذي نهلت منـه الثقافات الإسلامية منذ صدر الإسلام إلى اليوم»[1]. إنتهى كلام الدكتور حامد داود.

وأنا أعتقـد بأن الباحث عن الحقيقة لا بـد له من فتح باب النقـد والتجريح وإلا سيبقى محجوبـاً عنها، بـالضبط «كأهل السنة والجماعـة» الذين بـالغوا في القول بعدالة الصحابة وعدم البحث في أحوالهم فبقوا بعيدين عن الحق إلى يومنا هذا.

---

(1) كتاب الصّحابة في نظر الشيعة الإمامية صفحة 8 وما بعدها.

الصحابة عند «أهل السنة والجماعة»

أما «أهل السنّة والجماعـة» فقد بالغوا في تنزيه الصحابـة، والقول بعدالتهم جميعاً بدون استثنـاء وخرجوا بذلك على حدود العقل والنقل عنـدما أنكروا على من ينتقد أحداً منهم أو يقـول بعدم عدالته فضـلاً عن تفسيقهم، وإليك طرفاً من أقـوالهم لتعـرف بُعـدهم عن مفـاهيم القـرآن ومـا ثبت في السنّـة النبـويـة الصحيحة، وما أثبته العقل والوجدان.

هذا الإمـام النووي يقول في شرح صحيح مسلم: «إن الصحـابة (رضي الله عنهم) كلهم هم صفـوة الناس وسـادات الأمة، وأفضل ممن بعـدهم، وكلهم عدول قـدوة لا نخالـة فيهم، وإنما جاء التخليط ممن بعدهـم، وفيمن بعدهم كانت النخالة[1].

وهــذا يحيى بن معين يقـول: كل مـن شتم عثمان أو طلحـة أو أحــداً من أصحاب رسول الله (ص) دجال لا يكتَب عنه وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين[2].

وهذا الذهبي يقول: من الكبائر سبُّ أحد من الصحابة فمن طعن فيهم أو سبّهم، فقد خرج من الدين ومرق من ملة المسلمين[3].

وسُئل القاضي أبو يعلى عمن شتم أبا بكر؟ فقال: كافر، قيل فيصلى عليه؟

(1) صحيح مسلم ج8ص22.

(2) تهذيب التهذيب ج1ص509.

(3) كتاب الكبائر للذهبي ص233و235.

قـال: لا، فقيل كيف يصنع بـه وهو يشهـد أن لا إلـه إلا الله؟ قال: لا تمسـوه بأيديكم، ادفعوه بالخشب حتى تواروه في حفرته[1].

ويقول الإمـام أحمد بن حنبل: «خير الأمة بعد النبي (ص) أبو بكـر، وعمر بعـد أبي بكـر، وعثمان بعـد عمـر، وعليّ بعـد عثمان، وهم خلفـاء راشـدون مهديون، ثم أصحاب رسول الله (ص) بعد هؤلاء الأربعة خير الناس، لا يجوز لأحد أن يذكر شيئاً من مساويهم، ولا يطعن على أحد منهم بعيب ولا نقص، فمن فعل ذلك فقـد وجب تأديبه وعقـوبته ليس لـه أن يعفو عنـه، بل يعاقبـه ويستتيبه، فإن تـاب قُبل منه، وإن ثبت أعـاد عليه العقوبـة وخلّده في الحبس حتى يموت أو يُراجع».

وقال الشيخ عـلاء الدين الطـرابلسي الحنفي: من شتم أحداً مـن أصحاب النبي (ص) أبا بكر أو عمر أو عثمان أو علياً أو معـاوية أو عمرو بن العاص، فإن قـال: كانـوا على ضـلال وكفر، قُتـل، وإن شتمهم بغير هذا من مشـاتمة الناس نكّل نكالاً شديداً[2].

وينقل الدكتـور حامد حفني داود أقـوال «أهل السنّة والجماعة» بـاختصار، فيقول: «يـرى أهل السنّة أن الصحابـة كلهم عدول، وأنهم جميعـاً مشتركون في العدالة وإن اختلفـوا في درجاتها، وأن من كفّر صحابياً فهو كـافر، ومن فسّقه فهو فاسق، وأن من طعن في صحابي فكأنما طعن على رسول الله (ص).

ويرى جهابذة أهل السنّة أيضاً أنه لا يجوز الخوض فيما جرى بين علي (رضي الله عنه) ومعاوية من أحداث التاريخ.

وأن من الصحابة من اجتهد وأصاب وهو علي ومن نحا نحوه، وأن منهم من اجتهد وأخطأ مثـل معاوية وعـائشة (رضي الله عنهـا) ومن نحا نحـوهما، وأنه ينبغي ـ في نظـر أهل السنة ـ الوقوف والإمسـاك عند هـذا الحكم دون التعرض لذكر المثالب. ونهوا عن سب معاوية باعتباره صحابياً، وشددوا النكير على من سبَّ عائشة، بـاعتبارها أم المؤمنين الثانيـة بعد خديجة وباعتبـارها حب رسول الله.

(1) كتاب الصّارم المسلول ص275.

(2) كتاب معين الحكّام فيما يتردّد بين الخصمين من الأحكام ص187.

وما زاد على ذلك فينبغي ترك الخوض فيه وإرجاء أمره إلى الله سبحانه، وفي ذلك يقول الحسن البصري وسعيد بن المسيب: «تلك أمور طهَّر الله منها أيدينا وسيوفنا فلنطهّر منها ألسنتنا».

«هذه خلاصة آراء أهل السنّة في عدالة الصحابة وفيما ينبغي أن نقف منهم»[1]. إنتهى كلامه.

وإذا أراد الباحث أن يتوسع في معرفة الصحابة ومَن المقصودون بهذا المصطلح على رأي «أهل السنّة والجماعة» فسيدرك بأنهم يعطون هذا الوسام الشرفي لكل من رأى النبي!

يقول البخاري في صحيحه: من صحب رسول الله (ص) أو رآه من المسلمين فهو من أصحابه.

ويقول أحمد بن حنبل: أفضل الناس بعد صحابة الرسول من البدريين كل من صحبه سنة أو شهراً أو يوماً، أو رآه، وله من الصحبة على قدر ما صحبه[2].

وقال ابن حجر في كتاب «الإصابة في تمييز الصحابة»: «كل من روى عن النبي حديثاً أو كلمة، أو رآه وهو مؤمن به فهو من الصحابة، ومن لقي النبي مؤمناً به ومات على الإسلام، طالت مجالسته معه أو قصرت، روى عنه أو لم يروِ، غزا أو لم يغزُ، من رآه ولم يجالسه ومن لم يره لعارض»[3].

والأغلبية الساحقة من «أهل السنّة والجماعة» يرون هذا الرأي ويعدون من الصحابة كل من رأى النبي (ص) أو وُلد في حياته، وإن لم يدرك ولم يعقل، وليس أدل على ذلك من عدهم محمد بن أبي بكر من الصحابة وقد توفي رسول الله (ص) ولمحمد بن أبي بكر من العمر ثلاثة أشهر فقط.

ولذلك نرى ابن سعد يقسم الصحابة إلى خمس طبقات في كتابه المشهور بطبقات ابن سعد.

---

(1) كتاب الصحابة في نظر الشيعة الإمامية ص8 و9.

(2) الكفاية ص51 وكتاب تلقيح فهوم أهل الآثار ص2.

(3) كتاب الإصابة لابن حجر ج1 ص10.

وهـذا الحاكم النيسابـوري صـاحب كتاب «المستـدرك» يجعلهم اثنتي عشرة طبقة كالآتي:

الطبقة الأولى: هم الذين أسلموا بمكة قبل الهجرة كالخلفاء الراشدين.

الطبقة الثانية: هم الذين حضروا دار الندوة.

الطبقة الثالثة: هم الذين هاجروا إلى الحبشة.

الطبقة الرابعة: هم الذين حضروا العقبة الأولى.

الطبقة الخامسة: هم الذين حضروا العقبة الثانية.

الطبقة السادسة: هم الذين هاجروا للمدينة بعد هجرة الرسول إليها.

الطبقة السابعة: هم الذين شهدوا بدراً.

الطبقة الثامنة: هم الذين هاجروا بعد بدر وقبل الحديبية.

الطبقة التاسعة: هم الذين شهدوا بيعة الرضوان.

الطبقـة العاشرة: هم الـذين هاجـروا بعد الحديبيـة وقبل فتح مكة، أمثـال خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وغيرهم.

الطبقة الحادية عشرة: هم الذين سمّاهم النبي (ص) بالطلقاء.

الطبقة الثانية عشرة: هم صبيان وأطفال الصحابة الذين ولدوا في حياة النبي (ص) أمثال محمد بن أبي بكر.

«فأهل السنّـة والجماعـة» متفقـون على عدالـة الصحـابـة أجمعين والمذاهب الأربعة يقبلون رواياتهم بدون تردد ولا يسمحون بنقدها ولا الطعن فيها.

وناهيك أن رجـال الجرح والتعديل الذين أخذوا على أنفسهم نقـد المحدثين والرواة لفرز الأحاديث وتنقيتها ولكنهم إذا وصلوا إلى الصحابي مهما كانت طبقته ومهما كـان عمره عنـد وفـاة النبي (ص) فهم يتـوقفون عنـد ذلك ولا يطعنـون بروايته مهما أثير حولها من شبهـات ومهما تعارضت مع العقل والنقل، ويقولون بأن الصحابة لا يخضعون للنقد والتجريح وكلهم عدول!

وهـذا لعمري تكلف ظـاهـر ينفر منـه العقل ويشمئـز منه الطبع ولا يقـره العلم، ولا أعتقد بأن المثقفين من شباب اليوم يقبلون هذه البدع المضحكة.

ولست أدري ولا أحـد يـدري من أين استمـد «أهل السنة والجماعـة» هـذه الأفكار الغريبة عن روح الإسلام الذي قام على الدليل العلمي والحجة البالغة، وليتني أعلم، وليت واحـداً منهم يقنعني بـدليل واحـد من كتـاب أو سنّـة أو منطق على عدالة الصحابة المزعومة!

ولكننا بحمـد الله عرفنـا اللغز من تلك الآراء المزيفـة وسنشرحها في الفصل القادم، فعلى البـاحثين أن يكتشفوا بدورهم بعض الأسرار التي مـازالت تنتظر الجرأة والشجاعة.

فصل الخطاب في تقييم الأصحاب

لا شك أن الصحابة بشر غير معصومين عن الخطأ، وهم كسائر الناس العاديين يجب عليهم ما يجب على كل الناس ويحق لهم ما يحق لكل الناس، وإنما لهم فضل الصحبة للنبي (ص) إذا احترموها ورعوها حق رعايتها، وإلا فإن العذاب يكون مضاعفاً لأن عدل الله سبحانه اقتضى أن لا يعذب البعيد القاصي كالقريب الداني، فليس الذي سمع من النبي مباشرة ورأى نور النبوة وشهد المعجزات وتيقن منها وحظي بتعاليم النبي نفسه، كمن عاش في زمن ما بعد النبي ولم يره ولم يسمع منه مباشرة.

والعقل والوجدان يفضلان رجلاً يعيش في زماننا ويقيم على احترام الكتاب والسنّة وتنفيذ تعاليمهما، على صحابي عاش مع رسول الله (ص) وصاحبه ولما يدخل الإيمان في قلبه وأسلم استسلاماً أو صاحبه على البر والتقوى طيلة حياته ولكنه ارتد وانقلب بعد وفاته.

وهذا ما يقرره كتاب الله وسنة رسوله إضافة للعقل والوجدان وكل من له دراية بالقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، لا يرتاب في هذه الحقيقة ولا يجد عنها محيصاً.

ومثال ذلك قوله تعالى: **﴿يا نساء النبي من يأت منكنّ بفاحشة مبيّنة يضاعف لها العذاب ضعفين وكان ذلك على الله يسيراً﴾** (الأحزاب: 30).

فالصحابة فيهم المؤمن الذي استكمل إيمانه، وفيهم ضعيف الإيمان، وفيهم الذي لم يدخل الإيمان قلبه، وفيهم التقي الزاهد، وفيهم المتهور الذي لا يعرف

غير مصلحته، وفيهم العادل الكريم، وفيهم الظالم اللئيم، وفيهم أهل الحق المؤمنون، وفيهم البغاة الفاسقون، وفيهم العلماء العاملون، وفيهم الجهلة المبتدعون، وفيهم المخلصون وفيهم المنافقون والناكثون والمارقون والمرتدون.

وإذا كان القرآن الكريم، والسنّة النبوية الشريفة والتاريخ أقروا هذه الأمور وأوضحوها بأجلى بيان، فيصبح قول «أهل السنة والجماعة» بأن الصحابة كلهم عدول قولاً هراءً لا عبرة له ولا قيمة، لأنه يعارض القرآن والسنّة ويعارض التاريخ والعقل والوجدان، فهو محض التعصب، وهو قول بلا دليل وكلام بلا منطق.

وقد يتعجب الباحث في هذه الأمور من عقلية «أهل السنّة والجماعة» الذين يخالفون العقل والنقل والتاريخ.

ولكن عندما يقرأ الباحث الأدوار التي لعبها الأمويون وكذلك الأساليب التي اتبعها العباسيون لتركيز هذه العقيدة ـ أعني احترام الصحابة وعدم انتقادهم والقول بعدالتهم ـ يزول عجبه ولا يساوره أدنى شك في أنهم إنما منعوا الحديث في الصحابة لكيلا يصل إليهم النقد والتجريح لأفعالهم الشنيعة التي ارتكبوها تجاه الإسلام ونبي الإسلام والأمة الإسلامية.

وإذا كان أبو سفيان ومعاوية ويزيد وعمرو بن العاص ومروان بن الحكم والمغيرة بن شعبة وبسر بن أرطأة، كلهم من الصحابة وقد تولوا إمارة المؤمنين وحكموهم، فكيف لا يمنعون الخوض في نقد الصحابة، وكيف لا يختلقون لهم روايات مكذوبة تقول بعدالتهم جميعاً لكي تشملهم تلك الفضائل، ولا يتجرأ أحد على نقدهم أو ذكر أفعالهم.

ومن يفعل ذلك من المسلمين يسموه كافراً وزنديقاً ويُفتوا بقتله وعدم تغسيله وتكفينه، وإنما يدفع بخشبة حتى يوارى في حفرته ـ كما تقدم ذكره ـ وكانوا إذا أرادوا قتل الشيعة، اتهموهم بسبّ الصحابة، ومعنى سبّ الصحابة عندهم، هو نقدهم وتجريحهم فيما فعلوه، وهذا وحده يكفي للقتل والتنكيل.

بل وصل الحد إلى أبعد من ذلك، ويكفي أن يتساءل أحد عن مفهوم الحديث حتى يلاقي حتفه، فإليك الدليل:

أخرج الخطيب البغدادي في تاريخه قال: ذكر عند هارون الرشيد حديث أبي هريرة: إن موسى لقي آدم فقال له: أنت آدم الذي أخرجتنا من الجنة؟ فقال رجل قرشي كان في المجلس: أين لقي آدم موسى؟! فغضب الرشيد وقال: النطع والسيف، زنديق يطعن في حديث رسول الله (ص)[1].

وإذا كان هذا الرجل بلا شك من الأعيان، لأنه يحضر مجلس الرشيد يلاقي الموت بقطع رأسه بالسيف لمجرد تساؤله عن المكان الذي لقي فيه آدم موسى.

فلا تسأل عن الشيعي الذي يقول بأن أبا هريرة كذاب، استناداً لتكذيب الصحابة له وعلى رأسهم عمر بن الخطاب. ومن هنا يفهم الباحث كل التناقضات التي جاءت في الأحاديث والمنكرات والمستحيلات والكفر الصريح. ومع ذلك سجلت بأنها صحيحة وأُلبست ثوب القداسة والتنزيه.

كل ذلك لأن النقد والتجريح كانا ممنوعين ويجران إلى الموت والهلاك. بل إن الذي يتساءل عن بعض المعاني ليصل إلى الحقيقة ويشتمُّ منه رائحة التفتيش والتنقيب فهو مقتول لا محالة ليكون مثالاً لغيره، فلا يجرؤ أحد بعده أن يتكلم.

وقد موّهوا على الناس بأن الذي يطعن في حديث أبي هريرة أو أحد الصحابة حتى العاديين منهم، بأنه طعن على رسول الله (ص)، وبذلك وضعوا هالة على الأحاديث الموضوعة التي اختلقها بعض الصحابة بعد النبي (ص) فأصبحت من المسلمات.

وكنت كثيراً ما أحتج على بعض علمائنا بأن الصحابة لم يكن عندهم هذا التقديس بل كانوا أنفسهم يشككون في حديث بعضهم إذا تعارض حديثه بما يخالف القرآن، وبأن عمر بن الخطاب ضرب أبا هريرة بالدرة ونهاه عن الحديث واتهمه بالكذب إلى غير ذلك، فكانوا يردون عليَّ دائماً بأن الصحابة من حقهم أن يقولوا في بعضهم ما شاؤوا، أما نحن فلسنا في مستواهم حتى نرد عليهم أو ننتقدهم.

أقول: يا عباد الله، إنهم تقاتَلوا وكفَّر بعضهم بعضاً وقتل بعضهم بعضاً؟!

---

(1) تاريخ بغداد ج 14 ص 7.

يقولـون: كلهم مجتهدون للمصيب منهـم أجران وللمخطىء أجـر واحد، وليس لنا نحن أن نخوض في شؤونهم.

ومن المؤكـد أن هؤلاء ورثـوا هذه العقيـدة من آبـائهم وأجدادهم سلفـاً عن خلف فهم يرددونها ترديد الببغاء بدون تدبر ولا تمحيص.

وإذا كان إمـامهم الغزالي نفسـه قد اتخذ هـذا الرأي وبثه في النـاس فأصبح بذلك حجة الإسلام والمسلمين، فقد قال في كتابه «المستصفى»: «والذي عليه السلف وجماهير الخلف أن عدالة الصحابة معلومة بتعديل الله عز وجل إياهم وثنائه عليهم في كتابه، وهو معتقدنا فيهم».

وأنا أتعجب من الغـزالي ومن «أهل السنة والجماعـة» عمومـاً على استدلالهم بالقرآن على عدالة الصحابة، وليس في القرآن آية واحدة تدل على ذلك، بل في القرآن آيات كثيرة تنفي عدالتهم وتفضح سرائرهم وتكشف نفاقهم.

وقد أفـردنا فصـلاً كامـلاً لهذا الموضوع في كتـابنا «فـاسألوا أهل الـذكر» من صفحة 113 إلى صفحـة 172 فمن أراد مـزيـد البحث والـوقـوف على تلك الحقائق، فليرجع للكتـاب المذكور ليعرف قول الله وقول الـرسول فيهم. ولكي يعرف البـاحث بأن الصحابة لم يكـونوا يحلمون يومـاً بالمنزلـة التي اخترعها لهم «أهل السنّـة والجماعة». فما عليـه إلا قراءة كتب الحديث وكتب التـاريخ التي طفحت بأفعـالهم الشنيعة وتكفير بعضهم، وكيف أن الكثير منهم كـان يشك في نفسه إن كان من المنافقين.

فها هو البخاري يخرج في صحيحه بأن ابن مليكة أدرك ثلاثين من أصحاب النبي (ص) كلهم يخاف النفـاق على نفسه ومـا منهم أحد يقـول إنه على إيمان جبريل[1].

وها هو الغزالي نفسه يخرج في كتابـه بأن عمر بن الخطاب كان يسأل حذيفة بن اليمان إن كـان رسول الله سماه في جملة المنـافقين الذين أعلمـه بأسمائهم[2].

(1) صحيح البخاري ج1ص17.

(2) إحياء علوم الدّين للغزالي ج1ص129 وكنز العمّال، ج7ص24.

ولا عبرة لقول من يقول بـأن المنافقين ليسوا من الصحابة إذا عـرفنا أن المصطلح الذي اتفقـوا عليه هـو ما سمعناه آنفـاً أن كل من رأى رسول الله مـؤمناً بـه فهو صحابي حتى لو لم يجالسه.

وقولهم: مـؤمناً به، فيه أيضـاً تكلف، لأن كل الذين صاحبـوا النبي نطقوا بالشهادتين، وقبل النبي (ص) منهم ذلك الإسلام الظـاهري وقال: «أمرتُ أن أحكم بالظاهـر والله يتولى السرائر» ولم يقل في حياته لـواحد منهم: أنت منافق فلا أقبل منك إسلامك!

ولذلك أيضاً نجـد النبي (ص) يسمي المنافقين ـ بـ«أصحابي» ـ وهو يعلم نفاقهم، و إليك الدليل:

أخرج البخاري بأن عمر بن الخطاب طلب من النبي (ص) أن يضرب عنق عبدالله بن أبيّ المنافق فقال: يا رسـول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق! فقال النبي (ص): دعه لا يتحدث الناس بأن محمداً يقتل أصحابه[1].

وقد يحاول بعض العلماء من «أهل السنّة والجماعة» إقناعنا بأن المنافقين كانوا معـروفين فـلا نخلطهم بـالصحابـة، وهـذا أمـر مستحيل لا سبيل إليـه، بل المنافقون هـم من جملـة الصحابة الذين لا يعلم خفاياهم إلا الله سبحـانه، وقد كانوا يصلون ويصومون ويعبدون الله ويتقرَّبون إلى النبي بكل الوسائل. وإليك الدليل:

أخرج البخاري في صحيحه بأن عمر بن الخطاب طلب من رسول الله (ص) مـرة أخرى أن يأذن لـه بضرب عنق ذي الخويصرة عندمـا قال للنبي: أعـدل! ولكن النبي (ص) قـال لعمر: دعـه فإن له أصحـاباً يحقر أحـدكم صلاتـه مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية[2].

ولست مبالغاً إذا قلت بأن أكثرية الصحـابة لم يكونوا بعيدين عن النفاق بما

(1) صحيح البخاري ج 6 ص 65، كتاب فضائل القرآن سورة المنافقين، وتاريخ ابن عساكر ج 4 ص 97.
(2) صحيح البخاري ج 4 ص 179.

قـرره كتـاب الله في العـديـد من الآيــات وبها قـرره رسـول الله في العـديـد من الأحاديث. فمن كتاب الله قـوله تعالى: **﴿بل جاءهم بـالحق وأكثرهم للحق كارهـون﴾** (المؤمنون: 70)، وقـولــه: **﴿الأعـراب أشـد كفـراً ونفـاقـاً﴾** (التوبة: 97)، وقولـه: **﴿ومن أهل المدينـة مــردوا على النفـاق لا تعلمهم﴾** (التوبة: 101)، وقــولــه: **﴿وممن حــولكـم من الأعــراب منــافقــون﴾** (التوبة: 101).

وتجدر الإشارة بأن بعض العلماء من «أهل السنّة والجماعة» يحاولون جهدهم تغطيـة الحقـائق، فيفسرون «الأعـراب» بأنهم ليسـوا من الصحـابـة، وإنما هم سكان البادية من أطراف الجزيرة العربية.

ولكننا وجدنـا عمر بن الخطاب عندمـا أشرف على الموت أوصى إلى الخليفة من بعده قائلاً: وأوصيه بالأعراب خيراً فإنهم أصل العرب ومادة الإسلام[1].

فإذا كان أهل العرب ومـادة الإسلام هم أشد كفراً ونفاقـاً وأجدر ألا يعلموا حدود مـا أنزل الله على رسـوله والله عليم حكيم، فـلا قيمة لقـول «أهل السنّة والجماعة» بأن الصحابة كلهم عدول.

ولمزيـد البيــان، وحتى يتحقق البـاحث بـأن الأعـراب هم أنفسهم عـامـة الصحابة، فقد جاء في القرآن الكريم بعـد ذكر الأعراب أشد كفراً ونفاقاً، قال سبحانه: **﴿ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخـر ويتخذ ما ينفق قربات عند الله وصلوات الرسول ألا إنها قربةٌ لهم سيدخلهم الله في رحمته إن الله غفور رحيم﴾** (التوبة: 99).

أما ما قرَّره رسول الله (ص) في السنة النبوية الشريفة فقوله: يؤخذ بأصحابي إلى النار، فأقول: يا رب هؤلاء أصحابي! فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك فأقول: سحقاً من بـدَّل بعدي ولا أراه يخلص منهم إلا مثل همل النعم[2]. إلى أحاديـث أخرى كثيرة ضربنا عنهـا صفحاً من أجـل الاختصار، وليس هـدفنا

---

(1) صحيح البخاري ج4ص206.

(2) صحيح البخاري ج7ص209 باب الحوض.

البحث في حيـاة الصحابـة لكي نطعن بعدالتهم فـالتـاريخ كفانـا مؤونـة ذلك وشهد على البعض منهم بـالزنا وشرب الخمـر وشهادة الزور والارتـداد وارتكاب الجرائم بحق الأبريـاء وخيانة الأمة، ولكن نـريد فقط أن نبرز بأن مقولة عـدالة الصحابـة كلهم هي خـرافة وهميـة جاء بها «أهل السنّـة والجماعة» ليستروا على ساداتهم وكبرائهم من الصحابة الذين أحـدثوا في دين الله وغيّروا أحكامه ببدع ابتدعوها، ولنكشف ثانية بأن «أهل السنّـة والجماعة» باعتناقهم عقيدة «عدالة الصحابة أجمعين» قد أظهروا هويتهم الحقيقية ألا وهي مودة المنافقين والاقتداء ببدعهم التي أحدثوها ليرجعوا بالناس إلى الجاهلية.

وبما أن «أهل السنة والجماعة» قد حرّموا على أتباعهم نقد الصحابة وتجريحهم وأغلقـوا في وجوههـم باب الاجتهـاد وذلك من عهـد الخلفـاء الأمويين وعهـد اختلاق المذاهب، وورث الأتبـاع هذه العقيدة وأورثـوها إلى أبنائهم جيـلاً بعد جيل وبقي «أهل السنّة والجماعة» حتى يـوم الناس هذا يمنعون من الخوض في الصحابة ويترضّون عليهم جميعاً ويكفّرون من ينتقد واحداً منهم.

وخلاصـة القول أن الشيعة أتباع أهل البيـت ينزلون الصحابـة منازلهم التي يستحقونها، فيترضّون على المتقين منهم ويتبرأون من المنـافقين والفاسقين أعداء الله ورسولـه. وبذلك فهم وحدهم أهل السنّة الحقيقيـة لأنهم أحبوا حبيب الله ورسوله من الصحابة، وتبرأوا من أعداء الله ورسوله الذين كانوا السبب الرئيسي في ضلال الأغلبية الساحقة من المسلمين.

مخالفة أهل السنة والجماعة للسنن النبوية

في هذا الفصل لا بد لنا أن نكشف للباحث بصفة إجمالية عن مخالفة «أهل السنّة والجماعة» لمعظم السنن النبوية، كما نوضح في المقابل بأن الشيعة هم الذين تمسكوا بالسنن النبوية ولذلك حق لنا أن نسمي هذا الكتاب بعنوان «الشيعة هم أهل السنّة».

ونريد في هذا الفصل طرح أمهات المسائل التي تبين للباحثين بمزيد اليقين بأن «أهل السنّة والجماعة» قد خالفوا تعاليم الإسلام في كل ما قرره القرآن والرسول (ص) في سنته الشريفة، وتسبَّبوا في ضلال من ضل من الأمة، وانتكاس المسلمين وبالتالي في تخلفهم ومعاناتهم.

وحسب اعتقادي أن سبب الضلالة يرجع إلى عامل رئيسي ألا وهو حب الدنيا، ألم يقل رسول الله (ص): «حب الدنيا رأس كل خطيئة» وحب الدنيا يتمثل في حب السلطة والوصول إلى الحكم، ومن أجل الحكم دمرت الشعوب وخربت الأوطان والبلدان وأصبح الإنسان أخطر من الوحوش الضارية. وهو ما أشار إليه (ص) عندما قال لأصحابه: «إني لا أخاف عليكم أن تشركوا بعدي ولكني أخاف عليكم أن تنافسوا فيها».

لكل ذلك لا بد من دراسة موضوع الخلافة والإمامة أو ما نسميه اليوم نظام الحكم الإسلامي، فهو الطامة الكبرى والبائقة العظمى التي جرَّت على الإسلام وأهله المصائب والمتاعب والضلالة والهلاك.

١ ـ نظام الحكم في الإسلام

يرى «أهل السنّة والجماعة» بأن رسول الله (ص) لم ينص على أحد وترك الأمر شورى بين الناس ليختاروا من شاؤوا، فهذه هي عقيدتهم في الخلافة، وقد أطبقوا على ذلك من يوم وفاة النبي (ص) وإلى اليوم.

والمفروض أن يعمل «أهل السنة والجماعة» بهذا المبدأ الذي يؤمنون به ويدافعون عنه بكل جهودهم. غير أن البحث يوقفنا على أنهم عملوا عكس ما يعتقدون وبقطع النظر عن بيعة أبي بكر التي سموها هم أنفسهم بأنها فلتة وقى الله المسلمين شرها، فإن أبا بكر هو الذي اخترع فكرة ولاية العهد في الإسلام فعهد قبل وفاته بالخلافة لصاحبه عمر بن الخطاب.

كما عهد عمر بن الخطاب عند موته إلى عبد الرحمان بن عوف ليختار واحداً من الخمسة الذين رشحهم ويأمره بضرب أعناق المخالفين الذين يشقّون عصا الطاعة.

ولما وصل معاوية للخلافة طبّق هذا المبدأ (ولاية العهد) خير تطبيق إذ عيّن ولياً لعهده ابنه يزيد وعيّن يزيد ولياً لعهده ابنه معاوية، وبقيت الخلافة من ذلك الوقت يتداولها الطلقاء وأبناؤهم جيلاً بعد جيل فكل خليفة يعهد لولده أو أخيه أو أحد أقاربه، كذلك فعل الخلفاء في الدولة العباسية منذ قيامها إلى أن تلاشت وكذلك فعل خلفاء الدولة العثمانية من قيامها إلى أن ولّى عصر الخلافة واضمحل في عهد كمال أتاتورك في القرن الحالي.

وبما أن «أهل السنّة والجماعة» يمثلون تلك الخلافة أو أن تلك الحكومات المتعاقبة تمثل «أهل السنّة والجماعة» في كل بقاع الدنيا، وعلى مر التاريخ الإسلامي، فإنك ترى اليوم في السعودية وفي المغرب والأردن وفي كل دول الخليج كلهم يعملون بنظرية ولاية العهد التي ورثوها عن «سلفهم الصالح» وكلهم يمثلون «أهل السنّة والجماعة»، وعلى فرض صحة النظرية التي يعتقدونها وهي أن النبي (ص) ترك الأمر شورى والقرآن يقر الشورى، فإنهم خالفوا القرآن والسنّة وقلّبوا نظام الشورى «الديمقراطي» إلى نظام ولاية العهد الملكي الاستبدادي.

أما على فرض أن النبي (ص) نص على علي بن أبي طالب كما يقول بذلك الشيعة، فإن «أهل السنّة والجماعة» خالفوا صريح السنة النبوية وخالفوا القرآن لأن رسول الله لا يفعل شيئاً إلا بإذن ربه.

ولذلك تراهم يشعرون بفساد هذه النظرية «الشورى» لأن الخلفاء الأولين لم يطبقوها ولم يعملوا بها، كما يشعرون بفساد نظرية «ولاية العهد» أيضاً فتراهم يبررون ذلك بأحاديث «الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم ملك عضوض»، وكأنهم يريدون إقناع غيرهم بما اقتنعوا به من أن الملك لله يضعه حيث يشاء، وأن الملوك والسلاطين ولّاهم الله سبحانه على رقاب الناس فتجب بذلك طاعتهم وعدم الخروج عليهم.

وهذا بحث طويل يجرنا إلى القضاء والقدر الذي بحثناه في كتاب «مع الصادقين» ولا نريد الرجوع إليه، ونكتفي بأن نعرف بأن «أهل السنّة والجماعة» يسمون أيضاً بـ«القدرية» لقولهم بذلك.

والنتيجة هي أن «أهل السنّة والجماعة» يؤمنون بولاية العهد ويعتبرونها خلافة شرعية، لا لأن رسول الله (ص) أمر بها، أو أنه عيّن ولياً لعهده، فهم ينكرون ذلك أشد الإنكار، ولكن لأن أبا بكر عهد إلى عمر وعمر عهد إلى الستة، ومعاوية عهد إلى يزيد وهكذا، ولم يقل أحد من العلماء عندهم ولا أحد من أئمة المذاهب الأربعة، بأن الحكم الأموي أو الحكم العباسي أو

الخلافـة العثمانيـة هي غير شرعيـة . بل نـراهـم يسـارعـون إلى البيعـة والتأييـد وتصحيح خـلافتهم بل ذهب أكثـرهم للقول بشرعيـة الخلافـة لكل من تغلّب عليها بالقوة والقهر، ولا يهمهم إن كان براً أم فاجراً تقياً أم فاسقاً عربياً قرشياً أم تركياً وكردياً .

يقول الـدكتور أحمد محمود صبحي في هـذا الصدد : «مـوقف أهل السنة في مسألة الخلافة ، هو التسليم بالأمر الواقع ، دون تأييد أو خروج عليه»[1].

ولكن الواقع أن «أهل السنّـة» يؤيدون أيضـاً ، فقد ذكر أبـو يعلى الفراء عن الإمـام أحمد بن حنبل قـوله : «إن الخلافـة تثبت بـالغلبـة والقهر ولا تفتقـر إلى العقد» .

وقـال في رواية عبـدوس بن مالك العطـار: «من غلب بالسيف حتى صـار خليفة وسمي أمير المؤمنين ، فلا يحل لأحد يـؤمن بالله واليوم الآخر أن يبيت ولا يـراه إمامـاً براً كـان أم فاجـراً» . واحتج بقـول عبدالله بن عمـر: «نحن مع من غلب» ، وبذلك أصبح «أهل السنّة والجماعـة» رهينة هذه البدعة ـ بـدعة ولاية العهد ـ فهم يبايعون الغالب والمتغلـب بقطع النظر عن ورعه وتقواه وعلمه (براً كان أم فـاجراً) والـدليل على أن أغلب الصحابـة الذين قاتلـوا مع النبي (ص) معاوية بن أبي سفيان في عدة غـزوات ، بايعوه فيما بعد على أنه أمير للمؤمنين ، كما قبلوا بخلافة مروان بن الحكم الذي سماه رسول الله «الوزغ» وطرده من المدينة وقال : «لا يساكنني حياً ولا ميتاً» .

بل قبلـوا بخلافـة يزيد بـن معاويـة وبايعوه بـإمارة المؤمنين ولما خـرج عليه الحسين سبط النبي قتلـوه وأهل بيته لتثبيت ملـك اليزيـد وتصحيح خلافتـه ، وذهب علماؤهـم إلى القول بأن الحسين قتل بسيـف جده ومنهم من يكتب حتى اليـوم كتباً على حقـائق «أمير المؤمنين يزيـد بن معـاوية» كل ذلك تأييـداً منهم لخلافة اليزيد و إدانة الحسين لأنه خرج عليه .

و إذا عرفنا كل هذا ، فليس أمامنا إلا الاعتراف بأن «أهل السنّة والجماعة» قد

---

(1) نظرية الإمامة لمحمود صبحي ص23 .

خالفوا السنة التي نسبوها إلى النبي (ص) وهي قولهم بأنه ترك الأمر شورى بين المسلمين.

أما الشيعة فقد تمسكوا في مبدأ الإمامة بقول واحد وهو «النص من الله ورسوله على الخليفة»، فالإمامة عندهم لا تصح إلا بالنص ولا تكون إلا للمعصوم والأعلم والأتقى والأفضل، فلا يجوز عندهم تقديم المفضول على الفاضل، ولذلك نراهم رفضوا خلافة الصحابة أولاً كما رفضوا خلافة «أهل السنة والجماعة» ثانياً.

وبما أن النصوص التي يدعيها الشيعة في شأن الخلافة لها وجود فعلي ومصداق حقيقي في صحاح «أهل السنّة والجماعة» فليس أمامنا إلا الاعتراف بأن الشيعة هم الذين تمسكوا بالسنّة النبوية الصحيحة.

وسواء أقلنا بأن الأمر شورى، أو هو بالنص في شأن الخلافة، فإن الشيعة وحدهم على حق، لأن الشخص الوحيد الذي تعيّن بالنص وبالشورى معاً هو علي بن أبي طالب. ولا قائل من المسلمين شيعياً كان أم سنياً يقول بأن رسول الله (ص) أشار إلى ولاية العهد من قريب أو بعيد.

ولا قائل من المسلمين سنياً كان أم شيعياً يقول بأن رسول الله (ص) قال لأصحابه: «تركت أمركم شورى فاختاروا من شئتم لخلافتي».

ونحن نتحدى العالمين أن يأتونا بحديث واحد من هذا القبيل، فإن لم يفعلوا ولن يفعلوا، فليرجعوا إلى السنّة النبوية الثابتة والتاريخ الإسلامي الصحيح لعلهم يرشدون، أم أنهم يقولون بأن رسول الله (ص) أهمل هذا الأمر الخطير ولم يبيّن معالمه ليدخل أمته في صراع دائم وفتنة عمياء تمزق وحدتهم وتفرق شملهم وتنحرف بهم عن صراط الله المستقيم، ونحن نرى اليوم بأن الفاسقين من الحكّام الجائرين يفكّرون في مصير شعوبهم من بعد خلافتهم فيعمدون إلى تعيين خلفٍ لهم في حالة الشغور، فكيف بمن أرسله الله رحمة للعالمين!؟

2ـ القول بعدالة الصحابة يخالف صريح السنة

إذا نظرنا إلى أفعال النبي (ص) وأقواله تجاه الصحابة نجده قد أعطى كل ذي حق حقه، فهو يغضب لله ويرضى لرضاه وكل صحابي خالف أمر الله سبحانه تبرأ منه الرسول (ص) كما تبرأ مما صنع خالد بن الوليد في قتله بني جذيمة، وكما غضب على أسامة عندما جاءه ليشفع للمرأة الشريفة التي سرقت، فقال قولته المشهورة: «ويلك أتشفع في حد من حدود الله؟ والله لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها، إنما أهلك من كان قبلكم لأنهم كانوا إذا سرق الشريف تركوه وإذا سرق الوضيع أقاموا عليه الحد».

ونجده (ص) أحياناً يبارك ويترضى على بعض أصحابه المخلصين ويدعو لهم ويستغفر لهم، كما نجده يلعن البعض منهم الذين يعصون أوامره ولا يقيمون لها وزناً أحياناً أخرى، مثل قوله: «لعن الله من تخلَّف عن جيش أسامة» وذلك عندما طعنوا في تأميره ورفضوا الالتحاق بجيشه بحجة أنه صغير السن.

كما نجده (ص) يوضح للناس ولا يتركهم يغتروا ببعض الصحابة المزيفين، فيقول في أحد المنافقين: «إن له أصحاباً يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية». وقد يتوقف فلا يصلي على أحد الصحابة الذين استشهدوا في غزوة خيبر ضمن جيش المسلمين، ويكشف على حقيقته ويقول: «إنه غلّ في سبيل الله» ولما فتشوا متاعه وجدوا فيه خرزاً من خرز اليهود.

ويحدثنا الماوردي أن النبي (ص) عطش في غـزوة تبوك فقال المنـافقون: إن محمـداً يخبر بأخبـار السماء، ولا يعلم الطـريق إلى الماء، فنـزل جبريل وأخبره بأسمائهم، وأخبر النبي (ص) بهم سعد بـن عبادة، فقال لـه سعد: إن شئت ضربت أعنـاقهم فقـال النبي (ص): «لا يتحـدث النـاس أن محمـداً يقتل أصحابه، ولكن نحسن صحبتهم ما أقاموا معنا»[1].

وقد سـار فيهم رسول الله (ص) بما أشار بـه القرآن الكـريم في حقهم، فقد رضي الله عن الصادقين منهم وغضب على المنـافقين والمرتدين والناكثين منهم، ولعنهم في العـديد من الآيـات المحكمات، وقـد وافينا البحث لهذا الموضـوع في كتـاب «فاسألـوا أهل الذكـر» في فصل «القـرآن الكريم يكشف حقـائق بعض الصحابة» فمن أراد التحقيق فعليه بالرجوع إلى الكتاب المذكور.

ويكفينـا مثل واحـد من أعمال بعض الصحـابـة المنـافقين التي كشفهـا الله سبحانـه وفضح أصحابها وكـانوا اثني عشر رجـلاً من الصحابـة تذرَّعـوا ببعد المسافة وأن الوقت لا يسعهم للحضور مع النبي، فبنوا مسجداً لأداء الصلاة في وقتها، فهل تـرى إخلاصاً ووفاءً أكبر مـن هذا؟ أن يصرف العبد أموالاً طـائلة لبناء مسجـد حرصاً منه على أداء فـريضة الصلاة في وقتهـا وفي جماعة يجمعهم مسجد واحد؟

ولكن الله سبحانه الذي لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، والذي يعلم خـائنة الأعين ومـا تخفي الصـدور، علم سرائرهم وما تخفي صـدورهم، فأوحى إلى رسوله بأمرهم وأطلعـه على نفاقهم بقوله: **﴿والذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفراً وتفـريقاً بين المؤمنين وإرصـاداً لمن حارب الله ورسولـه من قبل وليحلفنّ إن أردنا إلا الحسنى والله يشهد إنهم لكاذبون﴾** (التوبة: 107).

وكما أن الله لا يستحي من الحق فكذلك رسـوله (ص) كان يقول لأصحـابه صراحـة بأنهم سيتقاتلـون على الدنيـا وأنهم سيتبعون في الضـلالة سنن اليهـود

(1) قـوله (ص): «لا يتحـدّث النّـاس أنّ محمّـداً يقتل أصحابـه، ولكن نحسنُ صحبتهم..» فيـه دليل واضحٌ على أنّ المنـافقين هم من الصّحـابـة، فقـول «أهـل السنّـة والجماعـة» بأنّ المنـافقين ليسـوا من الصّحابة مردود عليهم، لأنّه ردٌّ على رسول الله الذي يُسمّيهم أصحابه.

والنصـارى شبراً بشبر وذراعـاً بـذراع، وأنهم سينقلبـون بعــده على أدبـارهم ويرتدون، وأنهم يوم القيامة سيدخلون إلى النار ولا ينجو منهم إلا القليل الذي عبَّر عنه النبي (ص) بهمل النعم، وأنهم وأنهم. . .

فكيف يحاول «أهل السنّة والجماعة» إقناعنا بعد كل هذا بأن الصحابة كلهم عدول وأنهم في الجنـة جميعاً، وأن أحكـامهم ملزمـة لنا، وأن آراءهم وبـدعهم واجبـة الاتبـاع، وأن الطعـن على أي واحـد منهم مـروق عن الـدين يـوجب القتل؟؟!

إنه قول لا يقبله المجانين فضلاً عن العقلاء، إنه قول زور وبهتان لفقه الأمراء والسلاطين والذين ساروا في ركابهم من علماء السوء المتطفلين على العلم ونحن لا يمكن لنا قبول هذا القول أبداً مادامت لنا عقول لأنه رد على الله ورسوله ومن رد قول الله وقول الرسول فقد كفر، ولأنه يصادم العقل والوجدان.

ونحن لا نلزم «أهل السنّة والجماعة» بالعدول عنه أو برفضه، فهم أحرار فيما يعتقدونه وهم وحدهم المسؤولون عن نتائجه وعواقبه الوخيمة.

ولكن عليهم أن لا يكفّروا من يتبع القرآن والسنة في عـدالة الصحابة فيقول للمحسن منهم: أحسنت ويقـول للمسيء منهـم: أخطأت وأسأت، ويتـولى أولياء الله ورسوله منهم ويتبرأ من أعداء الله ورسوله منهم أيضاً.

وبهذا يتبين لنا أيضاً بأن «أهل السنة والجماعة» خالفوا صريح القرآن وصريح السنّـة، واتبعوا مـا أملتـه عليهم السلطة الأمـويـة والعبـاسية، ضـاربين بكل المقاييس الشرعية والعقلية عرض الجدار.

والغـريب أنك إذا قلت لأحد علماء «أهل السنّـة والجماعة» القـائلين بتكفير من سب صحابيـاً، إذا قلت له: كيف لا تكفِّر معـاوية وكل الصحابـة الذين اتبعـوه على سب ولعن عليّ من فوق المنـابـر؟ فسيجيبك حتماً كما هو معـروف: **﴿تلك أمـة قـد خلت لها مـا كسبت ولكم ما كسبتـم ولا تسألون عما كـانـوا يعملون﴾** (البقرة: 134).

3ـ النبي يأمر المسلمين بالاقتداء بعترته وأهل السنّة يخالفونه

لقد أثبتنا فيما سبق من أبحاث بأن حديث النبي (ص) الذي عُرف بحديث الثقلين، وهو قوله: «تركت فيكم الثقلين ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبداً، كتاب الله وعترتي أهل بيتي، وإن اللطيف الخبير أنباني أنهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض».

وأثبتنا بأن هذا الحديث هو حديث صحيح متواتر أخرجه الشيعة كما أخرجه «أهل السنّة والجماعة» في صحاحهم ومسانيدهم. والمعروف بأن «أهل السنّة والجماعة» نبذوا أهل البيت وراء ظهورهم[1]، وولّوا وجوههم شطر أئمة المذاهب الأربعة الذين فرضتهم السلطات الجائرة والتي حظيت بدورها بتأييد وبيعة «أهل السنّة والجماعة».

وإذا شئنا التوسع في البحث لقلنا بأن «أهل السنّة والجماعة» هم الذين حاربوا أهل البيت النبوي بقيادة الحكّام الأمويين والعباسيين. ولذلك لو فتّشت في عقائدهم وكتب الحديث عندهم فسوف لا تجد لفقه أهل البيت شيئاً عندهم يذكر. وسوف تجد كل فقههم وأحاديثهم منسوبة لأعداء أهل البيت من النواصب والمحاربين لهم كعبدالله بن عمر وعائشة وأبي هريرة وغيرهم.

فنصف الدين عندهم يؤخذ عن عائشة الحميراء وفقيه أهل السنّة هو

(1) ولنا أن نقول بأنّ أهل السنّة والجماعة قد لعنوهم وحاربوهم وقتلوهم، هذا إذا فهمنا بأنّ زعيم أهل السنّة هو معاوية وما جرّأ معاوية عليهم إلاّ أبو بكر وعمر وعثمان، كما اعترف معاوية نفسه بذلك.

عبدالله بن عمر، وراوية الإسلام عندهم هو أبو هريرة شيخ المضيرة، والطلقاء وأبناء الطلقاء هم القضاة والمشرّعون في دين الله عندهم.

والدليل أن «أهل السنّة والجماعة» لم يكن لهم وجود معروف بهذا الاسم، ولكنهم كانوا في مجموعهم المعارضين لأهل البيت من يوم السقيفة وهم الذين تآمروا على انتزاع الخلافة من أهل البيت والعمل على إقصائهم عن المسرح السياسي للأمة.

وتكوّنت فرقة «أهل السنّة والجماعة» كرد فعل على الشيعة الذين تكتلوا وراء أهل البيت وانقطعوا إليهم، وقالوا بإمامتهم اتباعاً للقرآن والسنة.

ومن الطبيعي أن يكون المعارضون للحق هم الأكثرية الساحقة من الأمة خصوصاً بعد الفتن والحروب، أضف إلى ذلك أن أهل البيت لم يتمكنوا من الحكم إلا أربعة أعوام وهي خلافة الإمام علي وقد أشغلوه فيها بالحروب الدامية.

أما «أهل السنّة والجماعة» المعارضون لأهل البيت فقد حكموا مئات السنين وامتد ملكهم وسلطانهم شرقاً وغرباً وكان لهم الحول والطول والذهب والفضة، فكان «أهل السنّة والجماعة» هم الغالبون لأنهم الحاكمون، وكان الشيعة بقيادة أهل البيت هم المغلوبون لأنهم محكومون ومضطهدون بل مشردون ومقتولون.

ونحن لا نريد الإطالة في هذا الموضوع بقدر ما نريد الكشف عن خفايا «أهل السنّة والجماعة» الذين خالفوا النبي (ص) في وصيته وفي تركته التي تضمن الهداية وتمنع من الضلالة، أما الشيعة فقد تمسكوا بوصية النبي (ص) واقتدوا بعترته الطاهرة وتحمّلوا من أجل ذلك العناء والأتعاب.

والحقيقة أن هذا الخلاف والعصيان من «أهل السنّة والجماعة» وهذا القبول والرضا من الشيعة بخصوص الثقلين والتمسك بهما معاً ظهرت معالمه من يوم الخميس الذي سُمّي يوم الرزية، عندما طلب إليهم الرسول إحضار الكتف والدواة ليكتب لهم ذلك الكتاب الذي يعصمهم من الضلالة، فوقف عمر ذلك الموقف الخطير ورفض أمر النبي مدعياً بأن كتاب الله يكفيهم ولا حاجة

للعترة. فكأن النبي يقول تمسكوا بالثقلين القرآن والعترة، وعمر يرد عليه حسبنا ثقلاً واحداً وهو القرآن ولا حاجة لنا بالثقل الثاني، وهذا قوله بالضبط «حسبنا كتاب الله يكفينا».

وقول عمر يمثل موقف «أهل السنّة والجماعة» لأن قريش المتمثلة في أبي بكر وعثمان وعبد الرحمان بن عوف وأبي عبيدة وخالد بن الوليد وطلحة بن عبيد الله كل هؤلاء وقفوا يؤيدون عمر في موقفه. قال ابن عباس: فمنهم من يقول ما قال عمر، ومنهم من يقول قربوا للرسول ليكتب الكتاب.

ومن البديهي أن علياً وشيعته من ذلك اليوم تمسكوا بوصية النبي ولو لم تُكتب وعملوا بالقرآن والسنّة معاً. ولم يعمل أعداؤهم حتى بالقرآن الذي قبلوه في بداية الأمر ولكنهم عطّلوا أحكامه عندما وصلوا إلى الحكم فاجتهدوا بآرائهم ونبذوا كتاب الله وسنة رسوله وراء ظهورهم.

4 - «أهل السنّة والجماعة» ومودة أهل البيت

لا يشك أحد من المسلمين في أن الله سبحانه وتعالى جعل مودة أهل البيت (عليهم السلام) ضريبة على المسلمين مقابل منحهم الرسالة المحمدية وما فيها من فضائل النعم، فقال عزّ وجلّ: ﴿**قلْ لا أسألكم عليه أجراً إلاّ المودّةَ في القُربى**﴾ (الشورى: 23).

وقد نزلت هذه الآية الكريمة تفرض على المسلمين مودة العترة الطاهرة وهم عليّ وفاطمة والحسن والحسين، بشهادة أكثر من ثلاثين مصدراً من مصادر «أهل السنّة والجماعة»[1]، حتى قال الإمام الشافعي في ذلك:

يا أهل بيت رسول الله حبّكم ... فرضٌ من الله في القرآن أنزلَه

فإذا كانت محبتهم نزل بها القرآن وجعلها فرض على أهل القبلة كافة كما اعترف بذلك الإمام الشافعي! وإذا كانت مودتهم هي أجر الرسالة المحمدية كما نطق صريح البيان، وإذا كانت مودتهم عبادة يُتقرَّب بها إليه سبحانه، فما بال «أهل السنّة والجماعة» لا يقيمون لأهل البيت وزناً ولا ينزلونهم إلا دون منزلة الصحابة[2]؟

ولنا أن نسأل «أهل السنّة والجماعة» بل لنا أن نتحداهم أن يأتونا بآية قرآنية

(1) راجع في ذلك كتاب «مع الصادقين» للمؤلّف.

(2) فـ«أهل السنّة والجماعة» كلّهم يقولون بتفضيل أبي بكر وعمر وعثمان على عليّ بن أبي طالب، وإذا كان علي هو سيد العترة وأفضل أهل البيت بعد النّبي (ص)، فإنّ أهل البيت عند «أهل السنّة والجماعة» يأتون بعد الصّحابة الثلاثة المعروفين عندهم بالخلفاء الرّاشدين.

واحدة أو بحديث نبوي واحد يفرض على المسلمين مودة أبي بكر أو عمر أو عثمان أو أي واحد من الصحابة؟!

كلا وأنى لهم مثل ذلك، فلا يوجد في كتاب الله ولا في سنّة رسوله شيء من ذلك، بل يوجد في القرآن آيات عديدة تشير إلى منزلة أهل البيت الرفيعة وتفضلهم على سائر العباد.

وفي السنة النبوية أحاديث كثيرة تفضل أهل البيت وتقدمهم على سائر المسلمين تقديم الإمام على المأموم والعالم على الجاهل.

ويكفينا من القرآن آية المودة التي نحن بصدد ذكرها، وآية المباهلة وآية الصلاة على النبي وآله، وآية إذهاب الرجس والتطهير، وآية الولاية، وآية الاصطفاء ووراثه الكتاب.

ويكفينا من السنة النبوية حديث الثقلين وحديث السفينة، وحديث المنزلة، وحديث الصلاة الكاملة، وحديث النجوم، وحديث مدينة العلم، وحديث الأئمة بعدي اثنا عشر.

ولا نريد القول بأن ثلث القرآن نزل في مدح أهل البيت (عليهم السلام) وذكر فضائلهم كما يقول بعض الصحابة كابن عباس، ولا أن ندعي بأن ثلث السنّة النبوية كله تنويه وتمجيد في أهل البيت وتوجيه الناس إلى فضلهم وفضائلهم كما ألمح لذلك الإمام أحمد بن حنبل.

ويكفينا من القرآن والسنّة ما أوردناه من صحاح «أهل السنّة والجماعة» للدلالة على تفضيل أهل البيت على من سواهم من البشر.

وبعد نظرة وجيزة إلى عقائد «أهل السنّة والجماعة» وإلى كتبهم وإلى سلوكهم التاريخي تجاه أهل البيت، ندرك بدون غموض بأنهم اختاروا الجانب المعاكس والمعادي لأهل البيت (عليهم السلام) وبأنهم أشهروا سيوفهم لقتالهم وسخّروا أقلامهم لانتقاصهم والنيل منهم ولرفع شأن أعدائهم ومن حاربهم.

ويكفينا على ذلك دليلٌ واحدٌ يعطينا الحجة البالغة، وكما قدمنا بأن «أهل السنّة والجماعة» لم يعرفوا إلا في القرن الثاني للهجرة كرد فعل على الشيعة الذين

والـوا أهل البيت وانقطعوا إليهم فإننـا لا نجـد شيئاً في فقههم وعبـاداتهم وكل معتقداتهم يرجعون فيه إلى السنة النبوية المروية عن أهل البيت[1].

ورغم أن أهل البيت أدرى بما فيه فهم ذريـة المصطفى وعترته، ورغم أنهم لم يسبقهم أحد في علم ولا في عمـل، وأنهم واكبوا مسيرة الأمة طـوال ثلاثـة قرون وتداولوا الإمـامة الروحية والدينيـة عبر الأئمة الاثني عشر الذين لم يخالف منهم واحد رأي الثاني، فإننـا نجد «أهل السنّة والجماعة» يتعبّـدون بالمذاهب الأربعة التي لم تخلق إلا في القرن الثالث للهجرة والتي يخالف فيها بعضهم رأي البعض الآخر، ومع ذلك نبذوا أهل البيت وراء ظهورهم ووقفوا منهم موقف العداء بل وحاربوا كل من تشيَّع لهم ولا زالوا يحاربونهم حتى يوم الناس هذا.

وإذا أردنا دليـلاً آخر، فما علينـا إلا أن نحلل موقف «أهل السنّـة والجماعة» من ذكرى يوم عاشوراء ذلك اليوم المشؤوم الذي هُدم فيه ركن الإسلام بقتل سيد شبـاب أهل الجنـة والعترة الطـاهرة من ذريـة المصطفى والنخبـة الصـالحة من أصحابه المؤمنين.

أولاً: نلاحـظ أنهم يقفون من قتلة الحسين مـوقف الراضي الشـامت المعين، ولا يستغرب منهم ذلك فقتلة الحسين كلهم مـن «أهل السنّة والجماعة» ويكفي أن نعرف بأن قائد الجيش الذي ولاَّه ابن زياد لقتل الحسين هو عمر بن سعد بن أبي وقاص. ولذلـك فـ«أهل السنّة والجماعة» يترضـون على الصحابة أجمعين بما فيهم قتلة الحسين والذين شاركـوهم، ويوثّقون أحاديثهم، بل وفيهم من يعتبر الإمام الحسين «خارجياً» لأنه خرج على أمير المؤمنين يزيد بن معاوية!

وقد قدمنا فيما سبق بأن فقيه «أهل السنّـة والجماعة» عبدالله بن عمر قد بايع يزيد بن معاوية وحرَّم أن يخرج أحد من أتباعه على يزيد، وقال: «نحن مع من غلب».

---

(1) وهب أنّهم كما يزعمـون اليوم ويقـولون: نحن أولى بعلي وأهل البيت من الشّيعـة، فلماذا ترك علماؤهم وأئمّة المذاهب عندهم فقه أهل البيت وكان عندهم نسياً منسيّاً؟ واتّبعوا مذاهب ابتدعوها ما أنزل الله بها من سلطان، قال تعالى: ﴿إنّ أولى النّاس بإبراهيم للذين اتّبعوه﴾، أمّا الذين لم يتّبعوه فليسوا أولى به كما لا يخفى.

ثانياً: نـرى بأن «أهل السنّة والجماعة» على مرّ التاريخ من يـوم عاشوراء إلى يوم الناس هذا، يحتفلون بيوم عاشوراء ويجعلـونه عيداً يُخرجون فيه زكاة أموالهم ويوسعون فيه على عيالهم، ويروون بأنه يوم بركات ورحمات.

ولا يكفيهم كل ذلك فتراهم إلى اليوم يشنّعون على الشيعة وينتقدون بكاءهم على الحسين، وفي بعض البلـدان الإسلاميـة يمنعونهم من إقـامة ذكـرى العزاء ويهجمون عليهم بالسلاح ويعملون فيهم ضرباً وتقتيلاً بدعوى محاربة البدع.

وفي الحقيقـة هم لا يحاربـون البدع بقـدر مـا يمثلـون دور الحكّام الأمـويين والعباسيين الذين حاولوا جهدهم القضاء على ذكرى عاشوراء ووصل بهم الأمر إلى نبش قبر الحسين وإعفـائه ومنع النـاس من زيـارته. فهم إلى الآن يـريـدون القضاء على إحياء تلك الذكرى خوفاً من أن يعرف الناس ـ ومن يجهلون حقيقة أهل البيت ـ واقع الأمور فتنكشف بـذلك عورات أسيادهم وكبرائهم، ويعرف الناس الحق من الباطل والمؤمن من الفاسق.

وبهذا يتبيَّن لنا مـرة أخرى، بأن الشيعة هـم أهل السنة النبويـة لأنهم اتبعوا سنّـة النبي (ص) حتـى في الحزن والبكـاء على أبي عبـدالله الحسين، وذلك بروايات ثابتة أنه (ص) بكى على ولـده الحسين عندما أعلمه جبريل بمقتله في كربلاء وذلك قبل الواقعة بخمسين عاماً.

ويتبين لنا أيضاً بأن «أهل السنّة والجماعة» يحتفلون بيوم عاشوراء لأنهم اتبعوا سنة يزيـد بن معاوية وبني أمية في احتفالهم بـذلك اليوم لأنهم انتصروا فيه على الحسين وأخمدوا ثورته التي كانت تهدد كيانهم، وقطعوا بذلك دابر الشغب على حد زعمهم.

والتاريخ يحدثنا بأن يزيد وبني أمية، احتفلوا بذلك اليوم احتفالاً كبيراً حتى وصل إليهم رأس الحسين وسبايـا أهل البيت ففرحوا بذلك وشمتـوا برسول الله (ص) وقالوا في ذلك أشعاراً.

وتقرّب إليهم علماء السوء من «أهل السنّة والجماعة» فوضعوا لهم أحاديث في فضل ذلك اليوم، وأن عاشوراء هو اليوم الذي تاب الله فيه على آدم، وهو اليوم

الذي رست فيه سفينة نوح على جبل الجودي، وهـو اليوم الذي كانت فيه النار برداً وسلاماً على إبراهيم، وهو اليوم الذي خرج فيه يوسف من السجن وردّ فيه بصر يعقوب، وهو اليـوم الذي انتصر فيه موسى على فرعون، وهـو اليوم الذي نزلت فيه على عيسى مائدة من السماء.

وهذه الروايات كلها يرددها علماء «أهل السنّة والجماعة» وأئمتهم على المنابر حتى اليوم بمنـاسبة عـاشوراء، وهي روايات كلهـا من وضع الدجـالين الذين تزيوا بزي العلماء وتقـرّبوا إلى الحكّام بكل الوسائل، فباعـوا آخرتهم بدنياهم فما ربحت تجارتهم وهم في الآخرة من الخاسرين.

وقد أمعنوا في الكذب عندما رووا بأن النبي (ص) هاجر إلى المدينة فصادف دخولـه إليها يوم عـاشوراء، فوجـد يهود المدينة صيـاماً، فسألهم عن السبب، قالوا: هذا اليوم الذي انتصر فيـه موسى على فرعون، فقال النبي (ص): نحن أولى بموسى منكم، ثم أمر المسلمين بصوم عاشوراء وتاسوعاء لمخالفة اليهود.

وهـذا كـذب مفضـوح إذ أن اليهـود يعيشـون معنـا، ولم نسمح لهم بعيـد يصومون فيه يسمونه عاشوراء.

وهل لنا أن نسأل ربنا عزّ وجلّ: كيف جعل هذا اليوم مباركاً على كل أنبيائه ورسله من آدم إلى عيسـى، إلا محمد، فقد كـان عليه هـذا اليوم مصيبـة وعزاء وشـؤماً إذ قُتل فيـه ذريتـه وعترتـه وذُبحوا ذبح الغنم وأُخـذت بنـاتـه سبايـا؟ والجواب: إنه ﴿لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون﴾ (الأنبياء: 23).

﴿فمنْ حـاجَّك فيه من بعـد ما جـاءَك من العلم فقلْ تعـالوا نـدعُ أبناءَنـا وأبناءكُم ونسـاءنا ونسَاءكم وأنفسنـا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنةَ الله على الكاذبين﴾ (آل عمران: 61).

5ـ أهل السنة والجماعة والصلاة البتراء

بعـدما قـدمنا في فصل سـابق نزول الآيـة وتفسيرها من قبل الـرسول نفسـه وتعليمهم كيفية الصلاة الكاملـة، ونهيهم عن الصلاة البتراء التي لا يقبلها الله سبحـانـه، ومع ذلك نجد إصراراً كبيراً مـن طرف «أهل السنـة والجماعـة» على الصلاة البتراء لئـلا يذكـرون آل محمد ضمن الصـلاة، وإذا ما ذكـروهم غصباً تراهم يضيفون الصحابة معهم، وإذا قلت أمام أحدهم: صلى الله عليه وآله، فإنّه يفهـم على الفور بأنك شيعي، وذلك لأن الصـلاة الكاملـة على محمد وآل محمد أصبحت شعاراً للشيعة وحدهم.

وهذه حقيقـة لا مريـة فيها وقد اعتمـدتها شخصياً في بـداية البحث فكنت أعـرف تشيّع الكاتب من قـولـه بعد ذكـر محمـد: صلى الله عليه وآلـه وسلم، وعندما لا أجد إلا لفظة صلى الله عليه وسلـم أعرف أنه سني.

كما أفهم تشيع الكاتب عندما يكتب «عليّ عليه السلام» ولكنه عندما يكتب كرَّم الله وجهه أعرف بأنه سني.

ونرى من خلال الصلاة الكاملة بأن الشيعة اقتدوا بالسنة النبوية الشريفة، بينما خالف «أهل السنّة والجماعة» أوامر النبي (ص) ولم يقيموا لها وزناً، فتراهم دائماً يصلون الصـلاة البتراء، وإذا ما اضطـروا إلى إضافة الآل فـإنهم عند ذلك يضيفون معهم الصحابة أجمعين بـدون استثناء حتى لا يُبقوا لأهل البيت فضلاً ولا خصوصية.

وهـذا كله نـاتج عن موقف الأمـويين تجاه أهل البيت والعـداوة التي كانـوا يحملونها لهم حتى وصل بهم الأمـر أن أبدلـوا الصلاة عليهم بلعنهم على المنـابر وحمل الناس على ذلك بوسائل الترهيب والترغيب .

فـ«أهل السنّة والجماعة» لم يجاروهم في السبّ واللعن لأهل البيت ، ولو فعلوا ذلك لافتضحوا عنـد المسلمين ولعُرفوا على حقيقتهم وتبرأ منهم النـاس ، فتركوا السب واللعن ولكنهم أضمـروا العـداوة والبغضـاء لأهل البيت وحـاولـوا بكل جهودهـم إطفاء نورهـم بأن رفعوا مكـانة أعدائهـم من الصحابـة واختلقوا لهم فضائل خيالية لا تمت للحق بصلة .

والدليل على ذلك أنك تجد «أهل السنة والجماعة» حتى اليوم لا يقولون شيئاً في معاويـة والصحابة الذين لعنـوا أهل البيت طيلة ثمانين عامـاً ، بل ويترضون عليهم أجمعين ، وفي نفس الـوقت يكفّـرون أي مسلم ينتقص أحـداً منهم (من الصحابة) ويكشف عن جرائمه ، فيفتون بقتله .

وقد حـاول بعض الوضـاعين أن يضيف إلى الصلاة الكـاملة ـــ التي علمها رسول الله (ص) إلى أصحابه ـ جزءاً آخـر ظناً منه بأن ذلك سينقص من مكانة أهل البيت وقيمتهم فروى بأنه قال : قولوا اللهم صلّ على محمد وآل محمد وعلى أزواجه وذريتـه . والباحث يفهم بأن هـذا الجزء قد أضيف لكي تلحق عـائشة بركب أهل البيت .

ونحن نقول لهم : لـو سلَّمنا جـدلاً بصحة الـرواية ، وقبلنـا أمهات المؤمنين ضمنهـا ، فإن الصحـابة لا دخـل لهم فيها وأنـا أتحدى أن يأتي أحـد المسلمين بـدليل من القـرآن أو من السنّـة في هذا المعنـى ، فنجوم السماء أقـرب إليـه من ذلك .

والقرآن والسنّة أمرا كل الصحـابة وكل من يأتي بعدهـم من المسلمين إلى قيام الساعة بالصـلاة على محمد وآل محمد . وهذه وحدها مـرتبة عظيمة تقصر عنها كل المراتب ومنقبة جليلة لا يلحقهم فيها لاحق .

فأبو بكر وعمر وعثمان وكل الصحابة أجمعين وكل المسلمين في العالم والذين

يعدون بمئات الملايين عندما يصلون يقولون في تشهدهم: اللهم صل على محمد وآل محمد! وإذا لم يقولوا ذلك فصلاتهم مردودة لا يقبلها الله سبحانه.

وهذا هو المعنى بالضبط الذي قصده الإمام الشافعي عندما قال:

يكفيكم من عظيم الشأن أنكم   من لم يصل عليكم لا صلاة له

وقد اتهم الشافعي بالتشيع من أجل قوله هذا، فإن أذناب الأمويين والعباسيين يتهمون بالتشيع كل من صلى على محمد وآل محمد، أو قال فيهم شعراً أو حدَّث بفضيلة من فضائلهم.

وعلى كل حال فالبحث في هذا المجال واسع قد يتكرر في العديد من الكتب، فلا بأس بالإعادة إذا كان فيها إفادة.

والمهم أننا عرفنا خلال هذا الفصل بأن الشيعة هم أهل السنّة النبوية وصلاتهم كاملة ومقبولة حتى على رأي من خالفهم، و«أهل السنة والجماعة» خالفوا في ذلك صريح السنّة النبوية وصلاتهم بتراء غير مقبولة حتى على رأي أئمتهم وعلمائهم. **﴿أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكاً عظيماً﴾** (النساء: 54).

6ـ عصمة النبي وتأثيرها على «أهل السنة والجماعة»

إن نظرية العصمة مختلف فيها عند المسلمين، وهي في الحقيقة العامل الوحيد الذي يفرض على المسلمين أن يتقبّلوا أحكام النبي (ص) بدون نقاش ولا جدال، إذا ما اعتقدوا في أنه لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، فلا يؤمنون بأن أقوال النبي وأحكامه إذا لم تكن قرآناً يتلى، فهي مجرد اجتهاد منه.

أما إذا اعتقدوا هذا الاعتقاد وسلموا بأن الأمر كله لله وليس النبي إلا واسطة للتبليغ والبيان فقط، فهم شيعة وقد اشتهر كثير من الصحابة بهذا الاعتقاد وعلى رأس هؤلاء الإمام علي (عليه السلام) الذي ما كان يغيّر من سنّة النبي قليلاً ولا كثيراً باعتبارها من وحي الله، فلا يجوز استعمال الرأي والاجتهاد مقابل أحكام الله سبحانه وتعالى.

وأما إذا اعتقدوا أن النبي غير معصوم في أقواله وأفعاله والعصمة لا تختص إلا بالقرآن الكريم وما يتلى من آياته، وما عدا ذلك فهو كسائر البشر يخطىء ويصيب، أما إذا قالوا بهذا فإنهم «أهل السنة والجماعة» الذين يجوّزون أن يجتهد الصحابة والعلماء مقابل أقوال وأحكام النبي (ص) بما يتماشى والمصلحة العامة طبقاً للظروف التي تقتضيها الحال حسب رأي الحاكم في كل زمان.

وإنه غني عن البيان بأن مدرسة الخلفاء الراشدين (باستثناء الإمام علي) قد اجتهدوا بآرائهم مقابل السنة النبوية ثم ذهبوا شوطاً أبعد فاجتهدوا مقابل

النصوص القرآنيـة أيضاً، وأصبحت آراؤهم فيما بعد أحكامـاً عند «أهل السنة والجماعة» يعملون بها ويفرضونها على المسلمين.

وقد تكلمنا عن اجتهادات أبي بكـر وعمر وعثمان في كتاب «مع الصادقين» وكذلك في كتاب «فاسألوا أهل الذكر» وقد نفرد لهم كتاباً خاصاً في المستقبل إن شاء الله تعالى.

وقـد عرفنـا أن «أهل السنـة والجماعـة» يضيفون إلى المصـدرين الأسـاسيين للتشريع الإسـلامي (القـرآن والسنّـة) مصـادر أخـرى كثيرة من جملتهـا سنّـة الشيخين (أبي بكر وعمـر) واجتهاد الصحـابي، وهذا ناتج عـن اعتقادهم بأن النبي (ص) لم يكن معصـومـاً، وإنما كان يجتهـد رأيـه وكان بعـض الصحابـة يصوِّب رأيه ويصلح خطأه.

وبهذا يتبيَّن لنـا بأن «أهل السنة والجماعـة» عندمـا يقولـون بأن النبي (ص) ليس معصومـاً، فهم يجوِّزون بذلك مخالفته وعصيانـه من حيث يشعرون أو من حيث لا يشعرون.

لأن غير المعصوم غير واجب الطـاعة شرعاً وعقـلاً، وما دمنا نعتقـد بخطئه فلا تلزمنا طاعته، كيف نطيع الخطأ؟

كما يتبيَّن لنا في المقابل بأن الشيعة عندما يقولون بعصمة النبي المطلقة، فهم يفرضون بذلك طاعته لأنـه معصوم عن الخطأ، فلا تجوز مخالفته ومعصيته بأي حال من الأحـوال، ومن يخالفه أو يعصيه فقد خـالف وعصى ربه، وإلى ذلك يشير القرآن الكريم في العديـد من الآيات بقوله: ﴿**وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا**﴾ (الحشر: 7)، وقوله: ﴿**أطيعوا الله وأطيعوا الرسول**﴾ (آل عمران: 132)، وقوله: ﴿**قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله**﴾ (آل عمران: 31). إلى آيات كثيرة تفـرض على المسلمين طاعـة النبي وعـدم مخالفته باعتباره معصوماً ولا يبلغ إلا ما أمره به الله سبحانه.

وهذا يفـرض بالضرورة أن يكون الشيعـة هم أهل السنة النبويـة لاعتقادهم

بعصمتها ووجوب اتباعها. كما يفـرض أن يكون «أهل السنة والجماعة» بعيدين عن السنّة النبوية لاعتقادهم بخطئها وجواز مخالفتها.

﴿كان النـاس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنـذرين وأنزل معهم الكتاب بـالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفـوا فيه ومـا اختلف فيه إلا الـذين أوتوه من بعد مـا جاءتهم البينات بغياً بينهم فهدى الله الـذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم﴾ (البقرة: 213).

مع الدكتور الموسوي و«التصحيح»

إلتقيتُ مجموعةً من الشباب المثقّف في بيت أخ تربطني به وشائج القرابة والصّبا في ضواحي باريس بمناسبة وليمة أقامها لمولد ابنه الذي رزقه الله بعد طول انتظار، ودار الحديث بيننا عن الشيعة والسنّة وكان الجميع وأغلبهم من الجزائريين المتحمّسين للثورة الإسلامية ينتقدون الشّيعة ويردّدون تلك الأساطير المعروفة، واختلفوا فيما بينهم بين مؤيد منصفٍ يقول بأنّ الشّيعة إخوتنا في الدّين ومناهضٍ له يصف الشّيعة بكل ضلالة ويفضّل عليهم النّصارى.

ولمّا تعمّقنا في البحث والاستدلال كان بعضهم يهزأ منّي ويقول بأنني من المغرورين الذين بهرتهم الثورة الإيرانية، وحاول صديقي إقناعهم بأنني باحث كبير وأطراني أمام الحاضرين وقال بأنني مؤلفُ كتبٍ عديدة في هذه المواضيع.

ولكنّ أحدهم قال بأنّ لديه الحجّة التي ليس بعدها حجّة. وسكتَ الجميع، وتساءلتُ عن هذه الحجّة، فطلب منّي الانتظار بضع دقائق وذهب مُسرعاً إلى بيته المجاور ورجع يحمل بين يديه كتاب «الشيعة والتصحيح» للدكتور موسى الموسوي وضحكتُ عندما رأيتُ الكتاب وقلتُ: أهذه هي الحجّة التي ليس بعدها حجّة؟ التفتَ إلى الحاضرين وقال:

هذا من أكبر علماء الشّيعة وهو مرجع من مراجعهم وله شهادة في الاجتهاد وأبوه وجدّه من أكبر علمائهم، ولكنّه عرف الحق ونبذ التشيع وأصبح من أهل السنّة والجماعة.

وأنا واثقٌ من أنّ الأخ (ويقصـدني) لو يقرأ هذا الكتـاب لما دافع عن الشّيعة أبداً ولعرف خفاياهم وانحرافاتهم.

وضحكتُ مـرّة أخـرى وقلتُ لـه: وحتّـى تعـرفَ أنّي قـرأتُـه قـراءة بـاحثٍ فسأعطيك أمـام الحاضرين الحجّة التي ليس بعـدها حجّـة من الكتاب نفسـه الذي جئت به!

قال مع الحاضرين بلهفة: هات نسمع منك.

قلتُ: أنا لا أتـذكّر رقم الصّفحـة ولكن أعرف العنـوان وأذكره جيّـداً وهو: أقوال أئمة الشّيعة في الخلفاء الرّاشدين.

قال: وما في ذلك؟

قلتُ: إبحث عنه واقرأه أمام الحاضرين وبعدها سأبين لك الحجّة.

وأخرج الفقـرة وقرأهـا أمام الحاضرين وملخّصهـا أنّ الإمام جعفـر الصّادق (عليه السلام) كان يفتخر بانتسابـه لأبي بكر «الصديق» فيقول «أولدني أبو بكر مرتين» والذين رووا هذه الروايات يروون أيضاً بأنّ الإمام الصادق كان يطعن في أبي بكر من جهة أخرى.

ويعلّق الـدكتـور الموسوي على هـذا بقـوله: «فهل يُعقـلُ أن يفتخر الإمـام الصّادق بجـدّه من جهة ويطعن فيه من جهـة أخرى؟ إنّ مثل هذا الكـلام قد يصدر من السّوقي الجاهل ولكنّه لا يصدر من إمام».

وتساءل الجميع، ما الحجّة في هذا؟! وقالوا إنّه كلام معقول ومنطقي.

قلتُ: إنّ الدّكتـور الموسوي استنتج من قـول الإمام الصّادق: «أولـدني أبو بكر مرتين» بأنّه يفتخر بجدّه مع أنّه ليس في هذه العبارة ما يوحي بالمدح والثّناء على أبي بكـر، ومع أنّ الصّادق ليس هـو حفيد مبـاشر لأبي بكر وإنّما لأنّ أمّـه جدّها أبو بكر. ومع العلم بأنّ الصادق ولـد بعد وفاة أبي بكر بسبعين عاماً فلم يره أبداً.

قالوا: لم نفهم قصْدك من كلّ هذا؟!

قُلتُ : ما رأيُكم فيمن يفتخر بجدّه المباشر والدُ أبيه ويقول بأنّه أعلم أهل زمانه ولم يعرف التّاريخ مثله ، ثم يقول بأنّه درس وتأدّب على يديه ، فهل يُعقَلُ أنْ يطعنَ فيه بعد ذلك ، وهل يقبلُ عاقلٌ أنْ يفتخر بشخص من جهة ثم يكفّره من جهة أخرى؟!

فقالوا جميعاً : لا يُعقلُ ولا يكون ذلك أبداً .

فقلتُ : إقرأ إذاً ما جاء في أوّل صفحة من هذا الكتاب الذي بين يديك ، فسترى بأنّ الدكتور الموسوي هو ذلك الرّجل .

فقرأ : «ولدتُ وترعرعتُ في بيت الزّعامة الكبرى للطائفة الشيعيةودرستُ وتأدّبتُ على يد أكبر زعيم وقائد ديني عرفه تاريخ التشيّع منذ الغيبة الكبرى وحتى هذا اليوم ، وهو جدّنا الإمام الأكبر السيد أبو الحسن الموسوي الذي قيل فيه : «أنسى من قبله وأتعب من بعده» .

قلتُ : الحمد لله الذي أظهر الحجّة على لسان الموسوي نفسه وقد حكم على نفسه بنفسه إذ قال فيما قرأتم : هل يُعقَلُ أن يفتخر بجدّه من جهة ويطعن فيه من جهة أخرى؟ وحكم بأنّ هذا لا يصدر إلاّ من السُّوقي الجاهل .

وإنّ الذي يصف جدّه بهذه الأوصاف العظيمة التي لم تتوفّر لغيره من أفذاذ العلماء ويدّعي بأنّه تأدّب على يديه وأخذ دروسه وعلومه منه ، لا يكفّره بعد ذلك ويطعن في عقيدته ، إلاّ إذا كان سوقياً جاهلاً .

وأطرق الجميع رُؤوسهم ، وابتهج صديقي صاحب البيت قائلاً : ألم أقل لكم إنّ الأخ التيجاني باحث موضوعي ومنطقي؟

وفكّر صاحب الكتاب الذي كان يرعدُ ويزبد وقال : يا أخي ربّما عرف الحقّ الدكتور الموسوي بعد ما كبر وتعلّم فسبحان الله ، طلب العلم من المهد إلى اللّحد!

وأجبتُ : لو كان الأمر كما تقول لوجب على الدكتور أن يتبرّأ من جدّه ومن أستاذه أيضاً الذي أعطاه شهادة الاجتهاد لا أن يفتخر بهما ويحتجّ بشهادتهما وهو يكتب في نفس الوقت تكفيرهما من حيث لا يشعر .

ولـو أردتُ أن أنـاقشكم في كلّ المواضيـع التي كتبهـا لأريتكـم العجب العجاب.

وانتهى ذلك اللقـاء بعـد تـوضيحـات وشروح عن واقع تلك الإشكـالات وكانتْ له نتائج إيجابية بحمد الله إذ استبصر منهم ثلاثة بعد قراءة كُتبي.

وإني أنتهزُ هذه الفُرصة لأقدم للقرّاء الكرام بعض الصفحات التي كتبتُها في هذا الموضـوع على عجالة لأنّ كتـاب «الشيعة والتّصحيح» لـه تأثير في الأوساط التي يتـواجد فيهـا الوهـابيون، وبما أنّ هـؤلاء لهم من الأموال والنّفـوذ في بعض المناطق فقـد يؤثرون في بعض الشّبـاب من المسلمين الذين لا يعرفـون الشّيعة، فيخدعونهم بهذا الكتاب ويمنعونهم من الوصول إلى الأبحاث المفيدة، ومن ثم يقيمون أمامهم حاجزاً للوصول إلى الحقيقة المنشودة.

وهؤلاء المعترضـون جعلوا حجتهم على الشيعـة كتاب «الشيعـة والتصحيح» للـدكتور مـوسى الموسوي الـذي طبع بالملايين وَوُزِّع مجّانـاً في أوساط الشبـاب المثقّف من طرف سلطاتٍ معروفة عرف الخاص والعامُّ أهدافها ومراميها.

وقد ظنّ هـؤلاء المساكين أنهم فَنّـدوا مذهب الشّيعـة الإماميـة بطبع الكتاب ونشره لأنّ مؤلّفه «آية الله» الموسوي وهو من الشيعة لتكون الحجّة من باب وشهد شاهدٌ من أهلها.

وغفل هؤلاء المساكين عن عـدّة أمور لم يحسبوا لها حساباً ولم يقـدّروا نتائجها العكسيّة التي عادت عليهم بالوبال.

وإني شخصيـاً لا أكلّف نفسي شيئاً من الـوقت للردّ على أكـاذيب الدكتـور موسـى الموسوي التي مـلأ بها كتابـه، وأعتقدُ أنّ في كتابي «مـع الصّادقين» ردّاً مقنعاً على مفترياتـه، مع أنه كتب قبل كتابه بـوقت قصير ولم يكن مضمونه إلاّ إظهار معتقـدات الشّيعة التي تـرتكز كلّهـا على القرآن الكـريم والسنّة النبـويّة الصّحيحـة وإجماع المسلمين بمن فيهم «أهل السنّـة والجماعة»، فلم نمـرّ على عقيدة واحدة من عقائدهم إلاّ وأثبتناها في صحاح «أهل السنّة والجماعة».

فتبين بذلك أنّ كلام الدكتور مـوسى الموسوي هراءٌ وافتراء لا يقوم على دليل علمي ولا منطقٍ إسلامي وهو طعن على «أهل السنة» قبل الشيعة.

وتبين أيضاً بأنّ الـذين روّجوا له كتـابه لا يعـرفون من حقائق الإسـلام شيئاً وكشفوا بذلك عن عوراتهم وجهلهم.

وكلّ ما انتقده مُدّعي «التصحيح» من عقائد الشّيعة وشنّع به عليهم موجود بحمد الله في صحاح «أهل السنّة والجماعة».

فالعيبُ ليس على الشّيعة وإنّما العيبُ على موسى الموسوي وعلى «أهل السنة والجماعة» الذين لا يعرفون ما يوجد في صحاحهم ومسانيدهم.

فالقول بالإمامة والنّص على اثني عشر خليفة كلّهم من قريش ليس هو من اختراعات الشيعة وهو موجود في صحاح «أهل السنة والجماعة».

والقول بالمهدي وأنه من العترة الطّـاهرة يملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما مُلئت ظلماً وجوراً، ليس هـو من اختراعات الشيعـة إنما هو موجـود في صحاح «أهل السنّة والجماعة».

والقـول بأنّ الإمـام علي بن أبي طالب هـو وصيّ رسـول الله (ص) ليس من اختراعات الشّيعة وهو موجود في صحاح «أهل السنّة والجماعة».

والقـول بـالتقيّة والعمـل بها ليس هو مـن اختراعـات الشيعة وقـد نزل بها القـرآن وأثبتتهـا السنّـة النبـويـة وكلّ ذلـك مـوجـود في صحـاح «أهل السنـة والجماعة».

والقول بزواج المتعة وأنها حلال ليس هـو من اختراعات الشيعة وإنّما أحلّها الله ورسولهُ وحرمها عمر كما هو ثابتٌ في كتب وصحاح «أهل السنة والجماعة».

والقـول بـوجـوب الخُمس في مكـاسـب الأربـاح ليس هـو من اختراعـات الشيعة، وإنّما أوجبه كتـاب الله وسنة رسوله يشهد بـذلك صحاح «أهل السنّة والجماعة».

أما زيـارة مراقد الأئمة فليس مختصـاً بالشيعة فأهل السنّة والجماعـة يزورون مراقد الأولياء والصالحين بل ويقيمون لهم مراسم وأفراحاً موسميّة.

والقول بالبداء وأنّ الله يمحو ما يشاء ويُثبتُ، ليس هو من خيال الشّيعة بل هو ثابتٌ في صحيح البخاري.

والقول بجمع الصَّلاتين في غير ضرورة ليس هـو من اختراع الشّيعة بل هو ما جاء في القـرآن الكريم وفعله الرّسول العظيم كما هـو ثابتٌ في صحاح «أهل السنّة والجماعة» .

والقول بـوجوب السّجـود على التُّراب وعلى الأرض ليس هو مـن اختراعات الشّيعة ، بل هـو فعل سيّد المرسلين وخاتم النبيّين يشهد بـذلك صحاح «أهل السنّة والجماعة» .

وما عدا ذلك من الأقوال التي ذكرها الدكتور موسى الموسوي والتي لا يقصد من ورائها إلاّ التهويل والتهريج كدعاية تحريف القرآن فـ «أهل السنّة والجماعة» أولى بهذه التّهمة من الشّيعة كما أوضحنا ذلك في كتاب «مع الصادقين» .

والخُلاصة أنّ كتاب «التصحيح» الـذي ألّفه الدكتور الموسـوي كلّه يتناقض مع كتاب الله وسنّة رسول الله و إجماع المسلمين وما أوجبه العقل السّليم .

فكثيرٌ مِمّا أنكره الموسوي هو من ضروريات الدّين التي نزل بها الذكر الحكيم وأمـر بها الرّسـول العظيم وأجمع عليها كلّ المسلمين ، والمنكـر لها كافـر بإجماع المسلمين .

فإن كان يقصد بـ «التّصحيح» إبدال تلـك العقائد وتلك الأحكام فقد كفر وخرج من ربقة الإسلام وعلى المسلمين كافّةً أن يُقاوموه .

و إن كـان يقصد بـــ «التّصحيح» إبـدال عقائده الشّخصيـة التي يُعـاني من مركّبـاتها والتي يظهر منهـا أنّه لم يعـرف من الشّيعة شيئاً ، ولعلّـه نقم عليهم إذ حمّلهم مسؤولية قتـل والده الذي ذُبِحَ كالكبش (كما يقـول هو في صفحة ٥ من كتابه) على يد مجرم في لبوس رجل الدّين .

فنشأ من صغره بتلـك العقدة ناقماً على الشّيعـة بدون ذنب اقترفـوه ، وحوّل وجهـه شطر «أهل السنّـة والجماعـة» وشاركهـم في الحقد والبغض لأتبـاع أهل البيت ، بدون الانتماء إليهم فبقيَ مذبذبـاً لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ، فلم يعرف من الشّيعة غير مـا يردّده أعـداؤهم من الأكاذيب ، ولم يعـرف من «أهل السنّة والجماعة» غير صلاة الجمعة والجماعة (إن كان يحضرها) .

فإذا كان هذا هو المقصود بـالتّصحيح فما عليه إلاّ تصحيح عقائده الفاسدة التي خالف بها إجماع الأمّة.

وإذا كـان الدكتـور موسى الموسـوي قـد نشأ وترعـرع حسب ما يـدّعي (في الصفحة الخامسة من كتابه) ودرس وتأدّب على يـد أكبر زعيم وقائد ديني عرفه تاريخ التشيّع منذ الغيبة الكبرى وحتى هذا اليوم وهو جدّه الإمام الأكبر السيد أبو الحسن الموسوي الذي قيل فيـه: «أنسى من قبله وأتعب من بعده»، فلماذا لم يحفظ دروسـه ولم يتأدّب بآدابـه ولم يقتدِ بهديـه وينهل من علمه، بل نـراه في كتابـه يهزأ ويسخر من عقائد جدّه الإمـام الأكبر والزعيم الديني الأوحـد الذي عرفـه تاريخ الشيعـة. فدلّ بـذلك على أنّه عاقّ لـوالديـه بل تعدّى عقـوقه إلى تكفير جـدّه وأبـويه، وإذا كـان الشيعـة في نظـر الموسوي كـافـرين فـزعيمهم وقائدهم الأكبر إلى الكفر ـ هو جدّه (حاشاه) ـ أقرب.

وإنّه من العار الذي ليس بعده عار أن يجهل الحفيد موسى ما كتبه جدّه أبو الحسن الموسوي (رحمه الله) في كتابه وسيلة النَجاة، ثمّ يدّعي بأنّه درس وتأدّب على يديه.

وإنّـه من أكبر العـار أن يعـرف شـابٌّ تـونسي يبعـدُ عن النّجف آلاف الكيلومترات كتاب وسيلة النَجاة للإمام الأكبر أبي الحسن الموسوي الأصفهاني ويهتدي إلى حقـائق أهل البيت من خلالـه، بينما لا يعرفـه الحفيد الـذي تربى وترعرع في بيته وعلى يديه.

والذي كتبه الإمام الأكبر السيد أبو الحسن الموسوي الأصفهاني (قدس سرّه) في وسيلة النّجـاة، نقضَه حفيـده الدكتور مـوسى الموسوي وسخـر منه واعتبره خروجاً عن الإسلام.

والمنطق يقول: إنْ كانتْ عقيدة الإمام الأكبر والزعيم الديني الذي ما عرف تـاريخ الشيعة مثلـه (كما يعتقـد حفيده) عقيـدة صحيحـة وسليمة، فعقيـدة حفيده كفرٌ وضلال.

وإن كانت عقيدة الحفيد الدكتـور موسى الموسوي هي السّليمة والصّحيحة

فعقيدة جدّه هي الكفر والضّلال، وفي هذه الحالة يجبُ عليه أن يتبرّأ منه ولا يفتخر بالانتماء إليه ولا بالرجوع إلى التربية بين يديه، كما بدأ مقدمة كتابه.

وبهذه الحجّة وبهذا المنطق أيضاً، يُضربُ بالشّهادة العليا التي نالها موسى الموسوي من آل كاشف الغطاء عرض الجدار.

* أوّلاً ـ لأنّ الصورة التي أخرجها في كتابه على أنّها شهادة عُليا في الفقه الإسلامي (الاجتهاد) ليستْ إلاّ إجازة في الرّوايات والتي يعطيها المراجع لأغلب الطّلاّب، وأنا شخصياً عندي منها إجازتان إحداهما لآية الله العظمى الإمام الخوئي في النجف والثانية لآية الله العظمى المرعشي النجفي في قم.

فليست إجازة الرّواية شهادة عليا في الفقه الإسلامي كما يدّعي الدكتور موسى الموسوي للتّمويه على العامّة الذين لا يعرفون تنظيم ومراحل الدّراسة في الحوزات العلمية.

* ثانياً ـ لأنّ حفيد الإمام الأكبر الذي يدّعي التّصحيح قد خان الأمانة التي ائتمنه عليها أستاذه ومعلّمه الذي يدّعي الموسوي أنّه وسمه برتبة الاجتهاد، إذ يقول المرحوم المرجع الديني الأعلى زعيم الحوزة العلمية في النجف الأشرف الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء في تلك الإجازة التي أخرج الموسوي صورة منها في كتابه: «وقد أجزتُ له لأهليّته أن يروي عنّي ما صحّتْ لي روايته من مشائخي العظام وأساتذتي الكرام..».

وقد رأينا الموسوي يفنّد ويسخر من كلّ ما رواه المرجع الديني الأعلى زعيم الحوزة العلمية آل كاشف الغطاء عن مشائخه العظام وأساتذته الكرام في كتابه «أصل الشيعة وأصولها» والذي ذكر فيه كلّ معتقدات الشّيعة وأحكامهم، فأين كتاب «الشّيعة والتّصحيح» الذي ألّفه التلميذ الخائن من كتاب «أصل الشيعة وأصولها» الذي ألّفه المرجع الأعلى كاشف الغطاء.

فإذا كان كاشف الغطاء هو المرجع الدّيني الأعلى وزعيم الحوزة العلمية في النجف الأشرف كما يعترف الموسوي في الصفحة 158 من كتابه، وإذا كان الموسوي يفتخر علينا بالشهادة العليا التي نالها من حضرته قبل ثلاثين عاماً،

فلماذا يسخر ـ الموسوي التلميذ الصغير ـ من معتقدات أستاذه العظيم الذي علّمه وأعطاه شهادة عليا على حدّ زعمه؟

فإن كان المرجع الديني الأعلى وزعيم الحوزة العلمية الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء على حقّ ومعتقداته صحيحة فالموسوي على باطل ومعتقداته كلّها فاسدة.

وإن كان المرجع الدّيني الأعلى على باطل ومعتقداته غير صحيحة فيسخر منها الموسوي ويُفنّدها، فيلزمه في هذه الحالة أن لا يكذب على النّاس ويموّه بأنّ شهادته العليا في الفقه الإسلامي (الاجتهاد) قد حصل عليها من سماحته.

وإذا كانت معتقدات موسى الموسوي هي الصحيحة كما يدّعي هو في كتابه فقد كفّر جدّه السيد أبا الحسن الموسوي الأصفهاني الذي يقول عنه هو نفسه بأنّه أكبر زعيم وقائد ديني عرفه تاريخ التشيّع منذ الغيبة الكبرى وحتّى هذا اليوم.

كما كفّر أستاذه ومانحه الشهادة العليا كاشف الغطاء وكفّر ملايين الشّيعة من نشأتهم بعد السّقيفة إلى يومنا هذا.

وإنّي كما عاهدتُ ربّي أن أتبيّن في الأمر قبل الحكم عليه عندما قرأتُ كتاب موسى الموسوي «الشّيعة والتّصحيح» أقبلتُ عليه بكل جوارحي علّني أُدرك فيه ما فاتني وأكمل ما ينقصني فإذا بي لا أجدُ فيه إلاّ الأكاذيب والتّناقضات وإنكار ما هو ثابت بنصّ القرآن والاستهزاء بسنّة النّبي ومخالفة إجماع المسلمين، وأدركتُ أنّ الموسوي لم يكلّف نفسه قراءة صحيح البخاري فقط والذي هو أصحُّ الكتب عند «أهل السنّة والجماعة» والذي يريد الموسوي حسب «تصحيحه» أنْ ينضمّ إليهم الشّيعة ويتركوا أوامر الله ورسوله، ولو قرأ هذا العالم الفذّ!! الذي حصل على الشهادة العليا في الفقه الإسلامي «الاجتهاد» وعمره على ما يبدو عشرون عاماً (ما شاء الله يؤتي الحكمة مَن يشاء)، لأنّه حصل بعدها على شهادة الدكتوراه في التشريع الإسلامي من جامعة طهران عام 1955 ولا تنسَ أنّه ولد في النجف الأشرف عام 1930، كما حصل على شهادة الدكتوراه في الفلسفة من جامعة باريس «السوربون» عام 1959.

أقول لـو كلّف نفسـه قراءة صحيح البخـاري فقط وهو كتـاب موثـوق عند «أهل السنّة والجماعـة» لما وقع في هذه الورطة التي سـوف لا يجد منها مخرجاً إلاّ بالتّـوبة النّصوحة والـرّجوع إلى الله . وإلاّ سوف لن تنفعه الشهـادات العليا ولا الألقاب الخلاّبة ولا الأموال المبذولة التي تُصرف لتفريق المسلمين . قال تعالى : ﴿إنّ الذين كفروا ينفقون أمـوالهم ليصدّوا عن سبيل الله فسينفقونها ثمّ تكون عليهم حسرةً ثمّ يُغلبُون والذيـن كفروا إلى جهنّم يحشرون * ليميّز الله الخبيثَ من الطيّب ويجعل الخبيث بعضَـه على بعض فيركُمـهُ جميعاً فيجعلـه في جهنّم أولئك هم الخاسرون﴾(الأنفال : 36ـ37) .

وعلى كلّ حال، فكتابه مليءٌ بالتّنـاقُضات التي يتعثّرُ فيها كلّ باحثٍ، وإذا كـان الموسوي يـرى في نفسـه الكفـاءة لتصحيح مذهب الشّيعـة في عقـائدهم وأحكامهم، فأنـا أدعوه لمقـابلة تلفزيـونيّة ونـدوة علميّة يحضرهـا مَن يشاء من الباحثين والمحقّقين ليعرف النّاس بعدهـا مَن هو المحتاجُ إلى التّصحيح وهو ما يدعـو له القرآن الكـريم وما وصل إليه الفكـر الحرّ في أرقى المجتمعات، حتى يتبيّن المسلمون أمرهم فلا يُكفّروا قوماً بجهالة ويصبحوا بعد ذلك نادمين .

﴿قل هاتوا بُرهانكم إن كنتم صادقين﴾ (البقرة : 111) .

بقيَ شيء واحدٌ لا بـدّ لنا أن نُنصفَ فيـه الدكتور الموسـوي وهو مـا ذكره في «تصحيحه» في ثلاثة عناوين رئيسيّة :

1ـ ضرب القامات في يوم عاشوراء .

2ـ الشهادة الثالثة (علي ولي الله) .

3ـ الإرهاب .

أمّا ضرب القامـات بالسّلاسل والزناجيل، فإنّـه ليس من عقائد الشّيعة ولا من الدّين وإنّما هو من أعمال العوام، ولا يختصُّ بـالشيعة وحدهم، فهناك من أهل السنّة والجماعـة ومن الطريقة العيساويـة المعروفة في كل شمال إفـريقيا مَن يفعل أكثر من الشّيعة ولا يقصـدون بها حزناً على الحسين ولا على مصاب أهل البيت (عليهم السّلام) .

ونحنُ نُوافقُ الدكتـور على تصحيحه ونعمل معه لرفع هـذه المظاهر عن كلّ

المسلمين، مادام هناك من علماء الشّيعة المخلصين مَن يحرّم ذلك ويسعى لإبطاله كما اعترف بذلك الموسوي نفسه.

أمّا الشهادة الثالثة (أشهد أنّ علياً وليّ الله)، فإنّ الموسوي نفسه يعرف جيّداً بأنّ كل علماء الشّيعة يقولون بأنّها ليست جزءاً من الأذان، بل إذا جيء بها بنية الوجوب أو بنية أنها جزءٌ من الأذان أو الإقامة بطل الأذان والإقامة. والموسوي يعرف جيّداً هذه الحقيقة، ولكنّه يروم التهريج بأية مفردة تخدم هدفه المريب.

أمّا الإرهاب فنحن نرفضه رفضاً تامّاً كما يرفضه الدكتور الموسوي ولكنْ كانَ على الدكتور الموسوي أن لا يلصق هذه التّهمة الشّنيعة بالشّيعة، فموجة الإرهاب التي عُرِفَتْ في السنوات الأخيرة هي نتيجة حتمية للصراع القائم بين الشرق والغرب، بين الشمال والجنوب، بين المستكبرين والمستضعفين، بين الغاصبين والمغصوبين.

ولماذا يربط الدكتور الموسوي أعمال الحشّاشين بالشّيعة؟ والتاريخ يشهدُ أنّ الشّيعة استُهدِفَتْ على مرّ التاريخ من كلّ الفرق ومن كلّ الحكومات والمستعمرين، ومع ذلك كانوا يرفضون الإرهاب بكلّ أشكاله وألوانه.

ولماذا لا يتكلّم الموسوي عن إرهاب معاوية وما قام به من اغتيالات في صفوف المسلمين حتى اغتال الإمام الحسن بالسمّ. وكان يغتال معارضيه من المؤمنين الصّادقين بالسمّ ثمّ يقول: إنّ لله جنوداً من عسل.

وهل الحركات الإسلامية في العالم والتي اتّصفتْ بالإرهاب في فلسطين وفي مصر والسُّودان وفي تونس والجزائر وفي أفغانستان وغيرها في بلاد الغرب مثل الباسك والكورس وإيرلندا وغيرها من بلاد العالم، هل هؤلاء من الشّيعة؟

وإذا كان الدكتور الموسوي يقصد بالإرهاب هو خطف الرّهائن وتحويل الطائرات ونسفها، فإنّ المناضلين من الشعب الفلسطيني الذين شرّدتهم إسرائيل وطردتهم من بيوتهم هم الذين اختطفوا الرّهائن في ملعب مونيخ إبّان الألعاب الأولمبية لسنة ٧٢ وقتلوا بعض المشاركين من الإسرائيليين وحوّلوا بعض الطائرات ونسفوها، كلّ ذلك ليوقظوا ضمير العالم ويعرّفوا بقضيّتهم ومظلمتهم التاريخية التي لم تعرف البشرية مثلها.

ويشهد الموسوي بأنّ هؤلاء ليسوا من الشّيعة، وإذا كان الدكتور الموسوي يتأثّر بوكالات الأنباء الأجنبيّة التي تحاول جهدها إلصاق هذه التّهمة بالشّيعة من أجل المواقف السياسيّة والعداء المفرط للثورة الإسلامية، فإنّ هذه الأوساط تضع في قائمة الإرهاب الدّولي كلاًّ من ليبيا وسوريا والعراق على رأس القائمة، وكلّ هؤلاء ليسوا من الشّيعة ضرورةً.

فلماذا يخصّص الدكتور الموسوي الشّيعة بالإرهاب في كتابه «الشّيعة والتّصحيح» وهو نفسه يقول في صفحة ١٢٢ بأنّ الدولة الشّيعية الإيرانية لا ولن تستطيع أن تتحدّث باسم الشّيعة جميعاً، بل وحتى باسم الشّيعة في إيران.

وإذا كان الأمر كذلك فعلى الدكتور تصحيح مفاهيمه.

وهكذا وبهذا نكون قد أنصفنا الدكتور الموسوي وبيّنّا الحقَّ من الباطل والصّحيح من السّقيم.

وأثبتنا للقرّاء الكرام بأنّ عقائد الشّيعة الإماميّة كلّها صحيحة وسليمة لأنّها وليدة القرآن الكريم والسنّة النبويّة.

وأنّ ما يحاوله المُغرضون والمشاغبون أعداء الله ورسوله وأعداء الإسلام من اتّهامات مُزيّفة وإشاعاتٍ باطلة للطعن بعقائد المتمَسّكين بالعترة الطّاهرة سيبوءُ كلّه بالفشل ويذهب جفاء، قال تعالى:

﴿فأمّا الزبدُ فيذهبُ جفاء وأمّا ما ينفعُ الناسَ فيمكثُ في الأرض كذلك يضربُ اللهُ الأمثال﴾ (الرعد: 17).

ونسأله سبحانه وتعالى أن يهدينا جميعاً ويوفّقنا لما يحبّ ويرضى ويلهمنا رشدنا، ويرفع مقته وغضبه عنّا، ويفرّج كربتنا بحضور الحجّة المنتظر، ويعجّل لنا ظهوره، إنّهم يرونه بعيداً ونراه قريباً.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين وأفضل الصّلاة وأزكى التسليم على المبعوث رحمةً للعالمين سيّدنا ومولانا محمّد وعلى آله الطيّبين الطّاهرين.

المذنب الذي لا يرجو إلاّ رحمة ربّه وشفاعة رسوله

محمد التيجاني السّماوي

مصادر الكتاب

القرآن الكريم

١ التفسير الكبير للفخر الرّازي .
٢ تفسير الطبري .
٣ تفسير ابن كثير.
٤ تفسير الخازن .
٥ تفسير السيوطي .
٦ أحكام القرآن للجصّاص .
٧ تفسير القرطبي .
٨ تفسير الألوسي .
٩ تفسير غرائب القرآن للنيسابوري .
١٠ شواهد التنزيل للحسكاني .
١١ الدر المنثور في التفسير بالمأثور.

كتب الأحاديث

١ صحيح البخاري .
٢ صحيح مسلم .
٣ صحيح الترمذي .
٤ صحيح النّسائي .
٥ صحيح ابن ماجه .
٦ صحيح أبي داود .
٧ مستدرك الحاكم .
٨ مسند الإمام أحمد .
٩ سنن الدارمي .
١٠ سنن الدارقطني .
١١ سنن البيهقي .
١٢ موطأ الإمام مالك .
١٣ تنوير الحوالك .
١٤ خصائص النّسائي .
١٥ كنز العمّال .
١٦ منتخب كنز العمّال .
١٧ منهاج السنّة لابن تيميّة .
١٨ الجامع الصغير للسيوطي .
١٩ الجامع الكبير للسيوطي .
٢٠ جمع الجوامع للسيوطي .

٢١ أصول الكافي .
٢٢ بصائر الدّرجات .
٢٣ لسان الميزان للذهبي .
٢٤ لسان الميزان لابن حجر.
٢٥ اللؤلؤ والمرجان .
٢٦ مناقب الشافعي .
٢٧ مناقب أحمد بن حنبل .
٢٨ مصنّف الهداية .

كتب التاريخ

١ تاريخ ابن عساكر
٢ تاريخ بغداد للخطيب البغدادي .
٣ تاريخ الخلفاء لابن قتيبة .
٤ تاريخ الخلفاء للسيوطي .
٥ تاريخ المدائني .
٦ تاريخ الواقدي .
٧ تاريخ الطبري «الكبير» .
٨ تاريخ ابن الأثير «الكامل» .
٩ تاريخ المسعودي .
١٠ تاريخ أعثم .
١١ تاريخ أبي الفداء .
١٢ تاريخ اليعقوبي .

كتب السّيرة

١ الإصابة في تمييز الصّحابة .
٢ أسد الغابة لابن الأثير.
٣ الطبقات الكبرى لابن سعد .
٤ طبقات الفقهاء .
٥ طبقات الحنابلة .
٦ الملل والنحل للشهرستاني .
٧ العقد الفريد لابن عبد ربّه .
٨ الصواعق المحرقة لابن حجر.
٩ البداية والنّهاية لابن كثير.
١٠ تذكرة الحفّاظ للذهبي .
١١ ينابيع المودّة للقندوزي الحنفي .
١٢ فرائد السمطين للحمويني .
١٣ مقدّمة ابن خلدون .
١٤ ظهر الإسلام لأحمد أمين .
١٥ مناقب الخوارزمي .
١٦ شرح نهج البلاغة للمعتزلي .
١٧ شرح نهج البلاغة لمحمد عبده .
١٨ أعلام الموقّعين .
١٩ أنساب الأشراف للبلاذري .
٢٠ الاستيعاب لابن عبد البر.
٢١ الرّياض النضرة للطبري .
٢٢ أعلام النّبلاء للذهبي .
٢٣ تلخيص الذهبي .

كتب مختلفة

١ تقييد العلم للخطيب البغدادي .
٢ جامع بيان العلم لابن عبد البر.
٣ الصّلة بين التصوّف والتشيّع .
٤ معالم المدرستين للعسكري .
٥ الفتنة الكبرى لطه حسين .
٦ تهذيب التهذيب لابن حجر.
٧ أحمد بن حنبل لأبي زهرة..
٨ أصول الفقه للشيخ أبي زهرة .
٩ ملخّص أبطال القياس لابن حزم .
١٠ النصائح الكافية لابن عقيل .
١١ رسائل الخوارزمي .
١٢ المعجم الكبير للطبراني .
١٣ فيض القدير للشوكاني .
١٤ المحلّي لابن حزم الظاهري .
١٥ الفتاوى الواضحة لباقر الصّدر.
١٦ شرح المواهب للزرقاني .
١٧ المراجعات لشرف الدّين .
١٨ النّص والاجتهاد لشرف الدّين .
١٩ عبقرية خالد لعبّاس العقّاد .
٢٠ الاحتجاج للطبرسي .
٢١ أبو هريرة لمحمود أبي ريّة .
٢٢ فتح الباري لابن حجر.
٢٣ مقالات الإسلاميين .
٢٤ تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة .
٢٥ غاية المُرام .
٢٦ الإمام الصادق للشيخ أبي زهرة .
٢٧ جمهرة رسائل العرب .
٢٨ الصّحابة في نظر الشيعة الإمامية .
٢٩ كتاب الكبائر للذّهبي .
٣٠ كتاب الصّارم المسلول .
٣١ كتاب معين الحكّام .
٣٢ كتاب تلقيح فهوم الآثار.
٣٣ إحياء علوم الدّين للغزالي .
٣٤ نظرية الإمامة لمحمود صبحي .
٣٥ ثمّ اهتديت للمؤلّف .
٣٦ مع الصّادقين للمؤلّف .
٣٧ فاسألوا أهل الذّكر للمؤلّف .

فهرس الموضوعات